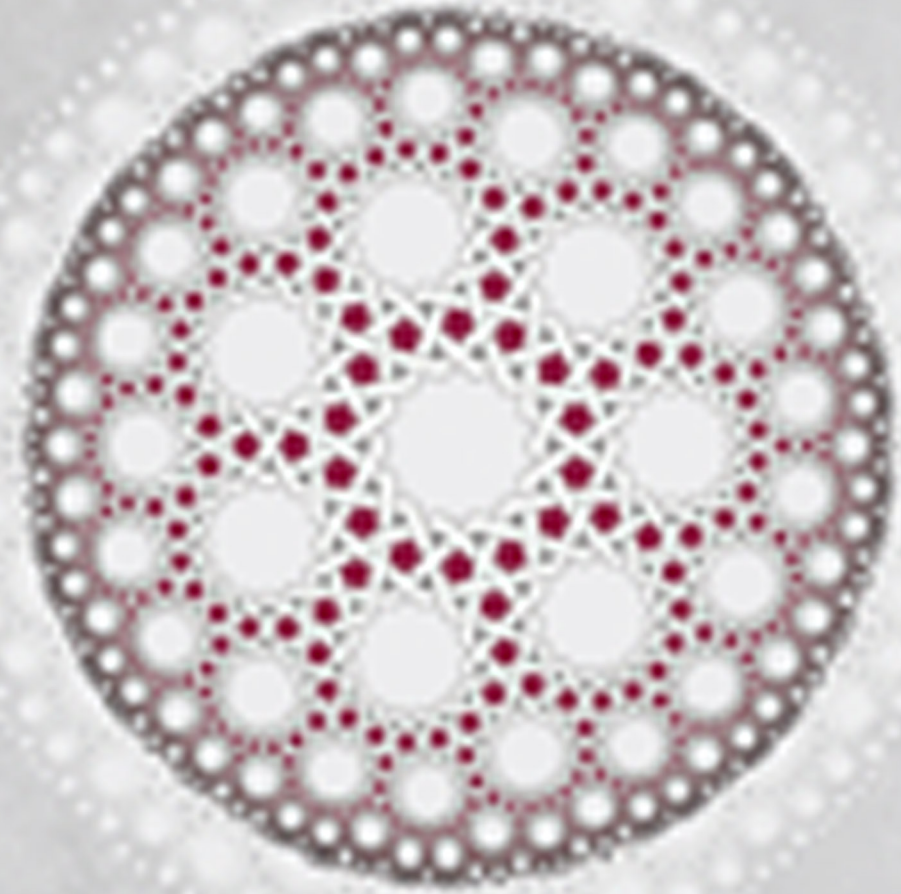

نساء مؤمنات عبر التاريخ قبل الإسلام
في ضـــوء القـــرآن والسنـــة

موسوعة المرأة المسلمة

إعداد وتجميع
الدكتورة: شيرين أديب خورشيد
الأستاذة: هيام كامل عباني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نساء مؤمنات عبر التاريخ

قبل الإسلام

في ضـــوء القــرآن والسنـــة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكتاب الثاني من موسوعة المرأة المسلمة

نساء مؤمنات عبر التاريخ

قبل الإسلام

في ضـــوء القــرآن والسنـــة

موسوعة من

أبحاث ودراسات في المرأة المسلمة

إعداد وتجميع

الدكتورة: شرين لبيب خورشيد

الأستاذة: هيام كامل عيتاني

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولىٰ

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيّد المرسلين محمّد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

بات واضحًا افتراء الشيطان ومكائده، حين توعّد بإغواء الإنسان، لقد كرّم الله – عزّ وجلّ – الإنسان بفرعية الرجل والمرأة علىٰ حدّ سواء، وساوىٰ بين الرجل والمرأة عبر التاريخ في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فما تدّعيه المرأة اليوم بتقدّمها إلىٰ أخذ حقوقها والمساواة بينها وبين الرجل فذلك بجهلها وأميّتها التي أعمت القلوب والأبصار، وإتّباع الغرب بكل حضاراته ومدنيّته، فإن حرمت المرأة اليوم في عصرنا الحالي من حقوقها فذلك لإتباع الأنظمة الموضوعة والقوانين التي نصّت عليها الحكومات من دون العودة إلىٰ منهج الله – عز ّوجلّ – وشرعه.

فالمرأة اليوم يُساء إليها، إساءة العشرة من الزوج، وتُستغل أيّما استغلال، ويحرم البعض منهنّ من التعليم، حتّىٰ أنّ منهن من تحرم من إبداء رأيها أو مشورتها، وتفقد احترامها كإنسان له كيان مثلها مثل الرجل . وقد صدّقت المرأة المسلمة اليوم إدّعاءات الغرب بالكلمات المعسولة، والاتفاقيات المنشودة تحت شعار برّاق (وثائق تحرير المرأة، وثيقة ضدّ العنف علىٰ المرأة- مع العلم أنّ هذا هو العنف ضدّ المرأة – ووثيقة لماذا نرفض إتفاقية القضاء علىٰ جميع أشكال التمييز ضد المرأة) فشككوا في الدين والإسلام، وزينّوا الحقّ بالباطل،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكلّه بسبب بعد الإنسان اليوم عن منهج الله وشرعه . وبعد تبيان الحقيقة المرّة التي عاشتها المرأة ردحا من الزمن، آن الأوان أن تزيح الغشاوة عن عينيها وقلبها لتعود إلىٰ جادة الصواب، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1] أما آن الأوان لك أيتها المرأة، (عامة) والمسلمة خاصة، أن تصحي صحوة تعودين فيها إلىٰ السير علىٰ الصراط المستقيم فتحفظي حقوقك وحقوق أسرتك من كيد الأعداء؟

وبعد نظرة متأنية لأحوال المرأة، ومواصفاتها بيولوجيا وسايكولوجيا، ومعرفتنا بأنّ التكاليف قد عرضت علىٰ ذرية آدم – عليه السلام – رجالا ونساء عبر التاريخ، وبعد أن أدركنا أنّ المرأة مكلّفة شرعا كالرجل تماما، وهي مطالبة بالإيمان والعبادات والأخلاق والمعاملات وسائر الأحكام الشرعية كالرجل سواء بسواء، وأنه لا فرق بينهما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[2]، يأتي هذا الكتاب الذي نستعرض فيه قصص نساء مؤمنات عبر التاريخ، قصص مستقاة من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ.

- **لماذا القصص؟ وما الهدف منها ؟**

نحن إن تتبعنا قصص السابقين في القرآن الكريم نجد أن الجزء الأكبر

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منها تنزل على قلب رسول الله ﷺ في مكة المكرمة، وتنزلت بالتدّرج، لكي يتمّ التغيير في أخلاق الصحابة وعقيدتهم تدريجيّا من أدران الجاهلية، ولترسّخ العقيدة الثابتة في قلوب الرجال والنساء على حَدٍّ سواء، وهذا ما حدث خلال فترة ثلاثة عشر عاما في مكة المكرمة.

والسبب في ذلك أن القَصص القرآني هي من علم الغيب، ولا يعلمها إلا الله – عزّ وجلّ – ومنها قَصص بعض الأنبياء، وقَصص غير الأنبياء، وهذه القَصص هي وسيلة من وسائل التربية غير المباشرة لتغيير فكر واعتقاد الأمم السابقة الخاطئ.

وممّا لا شك فيه أنّ نتيجة تدبّر آيات هذه القَصص على الإنسان وفهمها، واستخراج العبر والعظات منها، كانت أن طبّقها على نفسه، وفي حياته اليوميّة من دون فرض أو زجر. وكما علمنا سابقًا أنّ النفس التي بين جنبينا لا تحب الزجر أو الفرض (إفعل ولا تفعل)، ولكن عندما يتمّ حوارها بما يناسبها وتقتنع أن هذا الأمر هو مناسب لحاجياتها تطبقه بقبول وسرور إذ إنّ النفس قد أعطيت ما تحب، وبخاصة أنها تعوّدت أن تتلقى المعلومة.

ثمّ تتسائل عن أسباب معرفتها، وتتفكّر بأهمية معرفة هذه المعلومة، ليبدأ بعدها الصراع الداخلي بين معوّقات النفس وبين الالهامات التي وهبها الله للإنسان، فتعتبر وتتّعظ وتبدأ بالتغيير فكريًا ثمّ سلوكيًا ومعاملة...

أما الغرض من عرض سيرة نساء مؤمنات في ضوء القرآن والسنة فهو كالتالي :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أولاً: قَصَص[1] القرآن الكريم لها فائدة كبيرة في تثبيت الفؤاد ولولا ذلك ما قصّها الله – عزّ وجلّ – فالأيام دول وسجال والتاريخ يعيد نفسه عبرالأيام. فهل من معتبر ومتعظ؟

ثانياً: هو إثارة التفكّر عند الناس واتعاظهم، فالأصل عودة الإنسان إلىٰ الفطرة التي فطر عليها وأن يترك العنان للعقل لكي يميّز بين الخبيث والطيب قال تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

ثالثًا: لأخذ العبر والعظات قال تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ هذه الآيات تنزلت تعقيبا علىٰ قصة يوسف – عليه السلام – قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

رابعًا: القصص القرآني يحقّق أهم هدف وهو السير في التربية والدعوة والإصلاح والجهاد والمواجهة، ويتمّ ذلك عندما يقفون مع القصص القرآني ويتدبرونه ويفهمونه.

- **هل أحداث هذه القصص هي من أنباء الغيب؟**

نعم قال تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[3].

إنّ الغيب لايعلمه إلاّ الله لقصور الإنسان الذاتي، لأن جميع حواسه

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، ص ٣٢- ٣٥، والمطوع، نسيبة عبد العزيز، القصة سحر العقول والقلوب، سلسلة رؤية تربوية، دولة الكويت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. بتصرف.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محدوده وخياله محدود وعقله محدود، فهولن يتعرف علىٰ الأمور الغيبية إلا إذا جاءت من لدن الحكيم العليم حين قصها علىٰ الرسل السابقين من لدن آدم – عليه السلام – إلىٰ خاتم النبيين والمرسلين.

وستكون أمّة محمد ﷺ هي الشاهدة علىٰ هذه الأمم، وهذه كرامة لرسوله الكريم، بدءا من نوح – عليه السلام – ففي حديث أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته . فيقول الله له: هل بلغت؟**

فيقول نوح : نعم اي ربّ!

فيقول لأمته : هل بلّغكم؟

فيقولون: لا ما جاءنا من نبي ؟

فيقول لنوح: من يشهد لك؟

فيقول : محمد ﷺ وأمته!

قال – عليه الصلاة والسلام – وهذا هو قوله تعالىٰ: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[1]، والوسط : العدل.

قال عليه – الصلاة والسلام: فيدعون . فيشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم»[2].

والله – عزّ وجلّ – يرسل المعلومات الغيبية لعباده عبر الرسل رحمة منه – جلّ وعلا – ليس لنتعظ بالحوادث التاريخية للسرد والتمتع فقط، بل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٣٣٩، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله عزّ وجلّ: ﴿ولقد أرسلنا نوحًا إلىٰ قومه﴾ [هود:٢٥]

شبكة الألوكة - قسم الكتب

للاستفادة العملية من نتائج الحدث ولتكون التجربة جاهزة أمام السامع[1].

إن القصة القرآنية من أنباء الغيب وأهميتها في إصلاح الفكر والاعتبار، ولذلك جاء في كتاب الله تعالىٰ: هذا السرد القصصي من أنباء الغيب لتكون فائدة فكرية وعمليه للأنبياء وللأمم، فإصلاح الفكر يمثّل أهمّ ما يملك الإنسان بما يملك من أفكار ومبادىء ومعتقدات، ووظيفة القصص هي تقديم معلومات صحيحة وقواعد ثابتة تشغل العقل والقلب والجوارح لإصلاح العطب[2].

(وقد جاءت القصة لتعين الأنبياء صلوات الله عليهم علىٰ الدعوة وعلىٰ الصبر والاحتساب، وكأن القصة توصل معلومة الصبر والاحتساب اللازمة للدعوة بشكل سلس، فبدلا من أن يكون الأمر بشكل مباشر بما معناه اصبروا واحتسبوا تربحوا في الدارين، تسرد القصة بتفاصيل أحداثها ثم بنهايتها التي يمكن أن تفعل الأعاجيب في عقل المستمع كنتيجة منطقية لقوانين الله – عزّ وجلّ.

قال تعالىٰ: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾[3].

لماذا القصص القرآني عبرة واعتبار لذوي العقول الذين يشغلون عقولهم فقط؟

فقط الذين يشغلون عقولهم يتحرّرون من أعداء الإنسان التي في داخله (شيطان – هوىٰ – نفس أمارة بالسوء).

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الأول، ص ٢١٤.

(٢) المطوع، نسيبة عبد العزيز، القصة سحر العقول والقلوب، رؤية تربوية، الكويت، ٢٠٠٤هـ/ ١٤٢٥م، ص ٤٦ بتصرف.

(٣) سورة هود، الآية: ١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأن الإنسان يستقبل المعلومة فيأخذ المفيد منها ويعتبر من نتائج القصص الكونيّة الثابتة في التاريخ فيوفّر علىٰ نفسه همّ التجربة والخطأ فيعرف أن من اعتبر بالثابت من الحقائق هو الرابح بإذن الله تعالىٰ. فقد وفّر علىٰ نفسه الوقت والجهد والمعاناة النفسية والخسائر.

اللهمّ نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، ونسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، ونسألك القصد في الفقر والغنىٰ، ونسألك نعيما لا ينفذ، ونسألك قرّة عين لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك لذّة النظر إلىٰ وجهك والشوق إلىٰ لقائك في غير ضرّاء مضرّه ولا فتنة مضلّة، اللهم زيّنا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين.

الدكتورة شيرين لبيب خورشيد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خطة الكتاب

المقدمة:

التمهيد:

خمسة فصول:

الفصل الأول: المرأة عبر التاريخ ما لها وما عليها.

المبحث الأول: مقدمة تاريخية.

المبحث الثاني: حقوق المرأة عبر التاريخ.

المبحث الثالث: المرأة قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية.

الفصل الثاني: في عهد إبراهيم عليه السلام.

المبحث الأول: مقدمة.

المبحث الثاني: سارة رضي الله عنها.

المبحث الثالث: هاجر رضي الله عنها.

الفصل الثالث: في عهد موسىٰ عليه السلام.

المبحث الأول: مقدمة.

المبحث الثاني: أم موسىٰ وأخته وامرأة فرعون وماشطة ابنة فرعون.

المبحث الثالث: بنتا الرجل الصالح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الرابع: ملكة سبأ.

المبحث الأول: مقدمة.

المبحث الثاني: الهدهد والنبأ العظيم.

المبحث الثالث: ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام.

الفصل الخامس: في عهد زكريا وعيسىٰ عليهما السلام.

المبحث الأول: مقدمة.

المبحث الثاني: زوجة زكريا وزوجه عمران (أم مريم).

المبحث الثالث: مريم بنت عمران.

الخاتمة.

المراجع.

الفهرس.

*****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التمهيد

بعد خلق الله حواء لتكون زوجاً لآدم – عليه السلام – ومشاركة له العيش في الجنّة، أذِنَ الله لهما أن يتجوّلا في الجنة ويستمتعا فيها، ويأكلا ما شاء من طعامها وخيراتها، ولم ينبههما، إلا عن شجرة واحدة. قال تعالىٰ: {وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾}[1].

وقال تعالى: {وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾}[2].

خاطب الله آدم وزوجه في الجنة وكلّمهما وحذّرهما، وسمع آدم وحواء كلام الله وفهماه. ثم نبّه الله آدم أن إبليس عدوّ له ولزوجه فعليهما أن لا يطيعاه فيضرّهما. ترىٰ ما سبب هذه العداوة وآدم لم يتحدّث إلىٰ إبليس بعد؟ ولم يتعامل معه؟

إبليس عدوّ لآدم، لأن الله فضّل آدم عليه، فكرهه وأبغضه، وعاداه وحقد عليه، ولم يصطدم آدم به، ولم يخطيء معه، لكنها عداوة الحاقد المبغض المتكبّر والمتعالىٰ، وقد قطع إبليس علىٰ نفسه عهداً أمام الله بإغواء بني آدم، بل

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩.
(٢) سورة طه، الآيات: ١١٦ – ١١٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيسعىٰ إلىٰ محاولة إغواء آدم أولاً، ولإيقاعه في المعصية فيغضب الله عليه فيطرده من الجنة كما طُرد هو من أجل آدم.

وعادىٰ إبليس آدم، لا لذنب ارتكبه الأخير ضدّه، بل لأنه طيّب صالح، ولأنه يُذَكِّر إبليس بالمعاني الفاضلة الخَيِّرة، التي ماتت في نفس أبليس، منذ أن رفض السجود!

وعادىٰ إبليس الزوج حواء أيضـًا، مع أنّ حواء لم تخطيء معه مثل آدم، لكنه عاداها وأبغضها لأنها مؤمنة بالله ذاكرة له.

إنّ إبليس عاهد الله أن يعادي كل مؤمن طيّب سيكون مصيره الجنة، ولهذا اتخذ أوّل شخصين من البشر عدوّين، ثم عادىٰ الصالحين والصالحات من ذريّتهما.

لمّا أخبر الله آدم – عليه السلام – بعداوة إبليس له ولزوجه، ونبّهه أنّ هدف إبليس وهو إخراجه هو وحواء من الجنة، ليكونا مثله، والله حكم علىٰ إبليس بالإخراج من الجنّة لاستكباره وكفره، وهو في الجنة ينتظر تنفيذ حكم الطرد والإخراج والإبعاد، قال تعالىٰ: {قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٣٥ }[1].

ولا يعلم إبليس متىٰ سيخرجه الله من الجنة، لأنّ وقت التنفيذ لا يعلمه إلاّ الله، فهداه خبثه ولؤمه إلىٰ أن يستغل هذه الفترة بمحاولة إيقاع آدم وحواء في الذنب، ليغضب الله عليهما مثله، ويخرجهما من الجنة مثله، ويكونا مثله

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٣٤، ٣٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محرومين من ذلك النعيم[1].

علم إبليس أنّ الله نهىٰ آدم وحواء عن الاقتراب من الشجرة، وفكّر في وسيلة شيطانية يتمكّن فيها من إغوائهما وإيقاعهما في المعصية.

لقد نهىٰ الله آدم وحواء عن الاقتراب من الشجرة، وهو أول تكليف يكلفهما الله به، وإن نجح إبليس في حملهما علىٰ الأكل من الشجرة، حقّق هدفه وأخرجهما من الجنة، قال تعالىٰ: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

أطلق الله تعالىٰ علىٰ إبليس هنا صفة وليست لاسمه، لأنّ اسمه "إبليس" فوصفه بـ "شيطان"، "فوسوس لهما الشيطان" والوسوسة إيحاء من الشيطان لهما، وحديث متواصل منه معهما، هذا الفعل "وسوس" يشير إلىٰ أنهما بقيا حذرين منه متذكرين عداوته لهما، متيقّنين من تحذير الله لهما.

وهنا تذكر الآيات الهدف من وسوسة الشيطان لهما. "فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما".

سوءاتهما جمع سوءة، وهي العورة، التي يسوء للرجل وللمرأة كشفها، ويخجلان من إظهارها، ويحرصان علىٰ سترها وتغطيتها!

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[3].

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٨٧- ٨٨ بتصرف.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إنّ هدف الشيطان إذاً، مستعيناً بجنوده من شياطين الإنس والجن، **هي تعرية بني آدم رجالاً ونساءً من الحياء ومن الستر، ونزع ملابسهم عنهم، وكشف عوراتهم وسوءاتهم!** وما الغاية من ذلك؟ وماذا يكسب بذلك؟ الهدف من هذه التعرية نشر الفواحش بينهم، واستباحة أعراضهم، ومحاربة أخلاقهم وفضائلهم[1]!

عندما وسوس إبليس لآدم وحواء – عليهما السلام – أظهر لهما أنه حريص عليهما، ويريد الخير لهما، وأن الله – عزّ وجلّ – حينما نهاهما عن الأكل من هذه الشجرة، لأنّ هذه الشجرة هي شجرة الخلد التي إن أكلا منها أصبحا خالدين في الجنة، فهو في ذلك دخل عليهما من غريزتين، حب التملك وحب الخلود...

لم يصدّق آدم وحواء تبرير إبليس لهما للأكل من الشجرة، لأنهما مؤمنان بالله، يعلمان أن الله حكيم في نهيهما عن الأكل من الشجرة، وبقي آدم وحواء – عليهما السلام – حذرين من إبليس ووساوسه فترة يعلم الله مدتها، ولكنّ إبليس لجأ إلىٰ وسيلة شيطانية ماكرة، لا يهتدي إليها إلا فاسق مثله، ولا تخطر علىٰ بال أحد غيره! قال تعالىٰ: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾[2].

إذاً، لجأ إبليس إلىٰ الناحية الإيمانية، آدم وحواء يؤمنان بالله ويطيعان كلامه! إذاً، فليقسم بالله! وأقسم لهما اليمين، وحلف لهما بالله قائلاً: أقسم لكما بالله أنني صادق معكما ناصح لكما!

وهذه أوّل يمين كاذبة في تاريخ البشرية، وقد صدرت عن إبليس اللعين،

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٩٠- ٩٢ بتصرف.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهو أوّل من تكبّر، وأوّل من أقسم يميناً كاذبة لغاية دفينة في نفسه.

ولعلها كانت أوّلَ يمين سمعها آدم وحواء في الجنة، ولعلهما فوجئا باليمين من إبليس، فنسيا تحذير الله لهما بعدم الأكل من الشجرة، قال تعالىٰ: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[1].

ماذا فعل آدم وحواء بعد ما بدت لهما سوءاتهما؟

قال تعالىٰ: ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

نادىٰ الله الإثنين آدم وحواء، ولا مهما علىٰ أكلهما من الشجرة، وذكَّرهما بنهيه السابق لهما، وقال لهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة، فهذه إشارة إلىٰ تحميل المسؤولية لكل منهما، فمسؤولية المعصية لا تقع علىٰ آدم وحده، ولا علىٰ حواء وحدها وممّا يؤكد ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾، ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾، ﴿ وَأَقُل لَّكُمَآ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، فالآيات صريحة علىٰ تحميل المسؤولية لكل من آدم وحواء معاً[3].

شعر آدم وحواء كلاهما بخطأ ما فعلاه، وتحملا مسؤولية ذلك الفعل، واعترفا بما صدر عنهما، قال تعالىٰ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٣.

(٣) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ١٠٥ بتصرف.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتلقىٰ آدم كلمات من الله، أي: أوحىٰ الله بها إليه، وآتاه إياها وهذا من رحمة الله به، وإنقاذه له.

أخذ آدم الكلمات التي تلقاها من الله، وعلّمها لزوجه حواء، التي وعتها وفهمتها... ثمّ تضرّعا معًا إلىٰ الله بالذكر والمناجاة والدعاء، وقالا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

علم الله صدقهما في التوبة، وشعورهما بالندم علىٰ ما حصل، فمنّ عليهما بالتوبة والرحمة، لأنه غفور يغفر زلاّت عباده التائبين، رحيم يرحمهم ويوفقهم لما فيه الخير، ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[2] المهم أن يشعر المذنب بالخطأ، وأن يندم علىٰ ما فعل، وأن يسارع بالتوبة والاستغفار، وأن يؤمن أن الله غفور رحيم، فهذا المؤمن يغفر الله له، ويتوب عليه، كما تاب علىٰ أبويه آدم وحواء[3]. اعترف آدم وحواء بما فعلا، واعتبراه ظلمًا، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[5].

عهد الله لآدم – عليه السلام – عدم الاقتراب من الشجرة، وحذّره من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٧.

(٣) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ١٠٨- ١٠٩ بتصرف.

(٤) سورة طه، الآيتان: ١٢١.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عداوة الشيطان، وذكر الله – جل جلاله – أن الشيطان هدفه إخراجهما من الجنة، ولكنّه بعدما أقسم لهما الشيطان أنه لهما ناصح أمين، نسي عهد الله بعدم أكل الشجرة، وأكل من الشجرة من غير قصد وعمد وتصميم مسبق، وإنما كان عن سهو وغفلة ونسيان!

والخلاصة في معاني هاتين الآيتين: يخبر الله أنه عهد إلىٰ آدم بعدم الأكل من الشجرة فنسي ذلك العهد بعد يمين إبليس، وأكل من الشجرة ناسيا، ولم يجد الله له عزمًا علىٰ المخالفة، ولا قصداً وتعمداً في الأكل[1]!

شاء الله أن تنتهي أحداث قصة آدم – عليه السلام – في الجنة بعدما تاب وأناب، وتاب الله عليه، واجتباه واصطفاه. أمر الله – عزّ وجلّ – بإنزال الثلاثة إلىٰ الأرض، آدم وحواء – عليهما السلام – وعدوَّهما، أبليس. قال تعالىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، سيرة آدم عليه السلام، عمان، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٩٠- ٩٢ بتصرف.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٣٦-٣٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[1].

هذه هي بداية حياة الإنسان علىٰ الأرض، تحذير من الله لآدم وحواء أن أوّل السير علىٰ طريق الهداية هو معرفة العدوّ لإبليس وإتخاذه عدواً، وحتىٰ لا يكون للناس حجة يوم القيامة، لن يتركهم تائهين ضائعين من غير هداية. ولكنّ الله سيرسل لهم الرسل والأنبياء، وينزّل عليهم الهدىٰ من الله والرحمة، فالناس جميعهم أولاد آدم – عليه السلام – وأوامر الله – عزّ وجلّ – من لدن آدم – عليه السلام – أن يسير علىٰ الصراط المستقيم، وبيّن له أنّ هذا الصراط المنهج الثابت بسنن وقوانين كونية ثابتة، فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقىٰ أما من أعرض عن هذا المنهج فله معيشة ضنكا ويحشره يوم القيامة أعمىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[2].

أي أنّك يا أيها الإنسان ستعيش علىٰ هذه الأرض التي سخرتها لك وسخرت لك جميع المخلوقات في رحلة الامتحان التي ستمتحن بها بعدما أكرمتك وجعلتك عنّدي مكرّمـًا، فمن سار هذا الصراط المستقيم وفق منهج الله الذي فطر الناس عليه، سيعود مرة أخرىٰ للحساب، إمّا إلىٰ جنّة عرضها السموات والأرضين أو إلىٰ نار جهنم خالداً مخلداً فيها، قال تعالىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن

(١) سورة طه، الآية: ١٢٣.

(٢) سورة طه، الآيات: ١٢٤-١٢٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢١٣﴾ ﴾[1].

وسيبقىٰ الصراع بين الحقّ والباطل قويّاً محتدّاً مستمراً، حتىٰ قيام الساعة، وسينقسم الناس في هذا الصراع إلىٰ قسمين: أصحاب الحق وأصحاب الباطل وأصحاب الحقّ هم من قال الله عنهم ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2].

❊❊❊

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الأول:
المرأة عبر التاريخ ما لها وما عليها

المبحث الأول: مقدمة تاريخية.

المبحث الثاني: حقوق المرأة عبر التاريخ.

المبحث الثالث: المرأة قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول:
مقدمة تاريخية

شاء الله أن تنتهي أحداث قصة آدم – عليه السّلام – في الجنّة، بعدما تابَ وأنابَ، واجتباه واصطفاه.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[2].

بذلك، ولحكمة بالغة من وجود الشيطان وجنوده كمصدر للشر، وبناءً علىٰ طلب إبليس من الله – جلّ جلاله – أن يُنظره إلىٰ يوم أن تنتهي دار الابتلاء والامتحان، ولكي يمتحن الله – عزّ وجلّ – مراتب العبودية عند الناس بمجاهدة عدوّ الله وحزبه، شرع الله للناس شرائع، وسنّ لهم صراطًا مستقيمًا، لتكون العبادة لله وحده، والاستعانة به وحده، وهذا الصراط المستقيم جليٌّ واضحٌ لا عِوَجَ فيه ولا عثرات، ولأنّ العباد عاجزون عن تحديد هذا الصراط بكل عناصره ومقتضياته، كان لا بدّ من إرسال رسل لهدايتهم وتعليمهم شرائع الله تعالىٰ وأحكامه ونصائحه ووصاياه وليبيّنوا لهم الحكمة من خلقهم والغاية

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من تواجدهم في دار الابتلاء والامتحان. هذه الشرائع تنزّلت من لدن آدم – عليه السّلام – إلىٰ وقت خاتم النبيين محمد ﷺ وهذا الصراط هو منهج الحياة الصحيحة، وهو الطريق الواضح الحيّ والمستقيم، لا عوج فيه ولا انحراف عن الحقّ أو الخير؛ وقد اصطفىٰ الله تعالىٰ لعباده هذا الدّين بشرائعه وأحكامه وبياناته للمحافظة علىٰ سلامة الكون بما فيه من مخلوقات وكواكب مراعين القوانين والنظم التي أوجدها الله في تقديره لجزيئات وكليات هذه المخلوقات وللمحافظة علىٰ نعم الله التي أنعمها عليهم مسخّرة لراحتهم ولاستمرار حياتهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[2].

وقد أكدت النصوص الكثيرة جداً أن صراط الله الديني الذي اصطفاه لعباده جميعـًا هو عقيدة واحدة ثابتة وهو صراط مستقيم يشهد الخلق جميعـًا، بأن الله هو الخالق الواحد الأحد، وأنه لا شريك له بأسمائه الحسنىٰ ولا بصفاته

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة المائدة، الآيات: ٤٨-٥٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العليا، لا تعدّد فيه ولا تغيير بأركانه، وهو الدين الذي بينّه الله تعالىٰ لآدم – عليه السّلام – ولسائر النبيين والمرسلين من ذرّيته. قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾[1].

عاش آدم وحواء – عليهما السّلام – علىٰ الأرض، ورزقا الأولاد والذريّة، وتكاثر الأولاد وتبعهم الأحفاد وهكذا كثر الناس، وعمرت الأرض بالنسل والعمران، تحقيقًا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾[3].

ترىٰ هل كان خطاب الله تعالىٰ في دعوة الأنبياء والرسل فقط للذكر دون الأنثىٰ؟

وهل جعل تعالىٰ التكاليف والحساب والجزاء والعقاب أيضًا للذكر دون الأنثىٰ؟ تساؤلات دفعتنا لاستعراض الآيات الدالّة علىٰ أنّ الذكر والأنثىٰ هما سواء في التكاليف الشرعيّة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٣-٨٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٠.
(٣) سورة هود، الآية: ٦١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[4].

وقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٤) سورة النساء، الآية:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[1].

وهكذا تبيّن لنا الآيات الكريمة أنّ خطاب الله – جلّ جلاله – في القرآن والسنّة موجه إلىٰ الرجال وإلىٰ النساء علىٰ حدّ سواء، بدءاً من خلق آدم – عليه السّلام – وزوجه حواء – عليها السّلام – وإلىٰ نهاية الكون إيمانـًا منّا بأن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالىٰ الصالح بمنهجه الإلهي لكل زمان ومكان.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[2].

وقال أيضـًا: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾﴾[3].

***

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٩٠-١٩٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٣) سورة الليل، الآية: ٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني:
حقوق المرأة عبر التاريخ:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الله تعالىٰ خلق البشر علىٰ اختلاف أجناسهم وألوانهم وأزمنتهم وأمكنتهم لاتباع الدين الذي أنزله الله تعالىٰ، وللتحاكم إلىٰ الشريعة التي أرادها الله أن تكون قانونـًا عامـًا وعالميّـًا للناس جميعـًا. فمنذ بعثة سيدنا نوح – عليه السّلام – إلىٰ خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ كشف الله – عزّ وجلّ – عن وقوف المرأة بجانب الرجل، إما مؤمنة بالله –عزّ وجلّ – وموحدّة له، ومطبّقة شرعه – عزّ وجلّ – أو كافرة، جاحدة نعم الله مخالفة أوامره – عزّ وجلّ – لقد منّ الله – عزّ وجلّ – علىٰ هذه البشرية أن سخرّ لهم ما في السموات والأرض، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ (١).

ومن نِعَمْ الله – عزّ وجلّ – أيضـًا تسخير المسخّرات في الكون كالشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والجبال والليل والنهار والأنعام .... وغيرها.

ومن أجلّ نعم الله – عزّ وجلّ – علىٰ الإنسان أن وهبه الحواسّ الظاهرة والباطنة ليكتشف بيئته ويطوّر عيشة، ويحسن التعامل مع مخلوقات الله مراعيـًا حقوقهم وحوائجهم، وساعيـًا لتأمين حاجاته طمعـًا بعيش أفضل وخلافة أعظم وحياة سعيدة. ومن نعم الله – عزّ وجلّ – إرسال الرسل تترا، وعبر الأزمان،

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مبشرين ومنذرين، ليهدوا الناس جميعاً إلىٰ الحقّ الذي اصطفاه الله لعباده، ومن نعمه تعالىٰ أن أنزل الكتب السماوية وختمها بإنزال القرآن الكريم الحاوي كلّ ما فيه هداية للبشر، وإرشادهم إلىٰ طريق ومنهج سعادتهم.

ولقد أورد الله في القرآن الكريم قَصص السابقين من الأنبياء والرسل، وهذه القَصص هي من غيب الماضي، وهذا الغيب كشفه الله لسيدنا محمد ﷺ وأعلمه به، ولولا ذلك لما عَلِمَه رسول الله ﷺ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾[1].

ولقد ذكر القرآن الكريم قصص نساء مؤمنات ونساء كفرن بما أنزل الله – عزّ وجلّ – من شريعة. وبيّن الله – عزّ وجلّ – حقوق المرأة عبر التاريخ ما لها وما عليها ونحن بدورنا نستعرض الآيات المبينّة لذلك مستقين العبر والعظات علّها تكون رادعاً للمرأة اليوم وداعياً لها إلىٰ العودة إلىٰ الصراط المستقيم حيث لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

حريّة المرأة في الاعتقاد:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[1].

بعد وفاة آدم – عليه السّلام – كان الناس مؤمنين موحّدين لله بالرغم من تعرّضهم لوسوسة الشيطان الذي أقسم أمام الله تعالىٰ ليغوينّهم أجمعين، ومرت أجيال منهم تمسّكت بالإيمان بالله تعالىٰ وبشريعته، كما قال ابن عباس – رضي الله عنه: «كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلّهم علىٰ شريعة من الحقّ، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين»[2].

بعد هذه الأجيال تمكّن الشيطان من إغوائهم فأبعدهم عن الإيمان والتوحيد، وقادهم إلىٰ الكفر والشرك بالله.

روىٰ الإمام مسلم في صحيحة، تحت عنوان كتاب الجنة، وباب الصفات التي يُعرف بها، في الدنيا، أهل الجنة وأهل النار، عن أبي غسان المسمعي، ومحمد بن المثنىٰ، ومحمد ابن بشار بن عثمان واللفظ لأبي غسان وابن المثنىٰ، قالا: حدّثنا معاذ بن هشام، حدّثني أبي، عن قتادة، عن مطرف بن عبدالله بن الشخير، عن عياض بن حمّار المجاشعي: أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنّ ربي أمرني أن أُعَلِّمَكُمْ ما جعلتم ممّا علّمني يومي هذا: كلُّ مالٍ نَحِلْتَهُ عبداً حلالٌ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلّهم، وإنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[3] عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنْزِل به سلطانـًا، وإنّ اللهَ نظر إلىٰ أهل الأرض فمقتهم[4]، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنّما بَعَثْتكَ لأبتليك وأبتليَ بك، وأنزلت عليك**

(١) سورة التحريم، الآيات: ١٠-١٢.

(٢) أخرجه الحاكم: ٢/ ٥٤٦-٥٤٧، وقال صحيح علىٰ شرط البخاري.

(٣) اجتالتهم عن دينهم: حولتهم عن دينهم وقصدهم إلىٰ غير دين الحق.

(٤) فمقتهم: أبغضهم أشد البغض لبعدهم عن ما يريد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤُهُ نائماً ويقظان ... »[1].

هذا ممّا يدلّ علىٰ أنّ الشرك جاء طارئاً بعد الإيمان بالله وتوحيده، حيث أتت الشياطين الناس، وصرفتهم عن دين الحقّ وحلّلت لهم ما حرّمه الله عليهم، وحرّمت عليهم ما أحلّ الله لهم، وأمرتهم أن يكفروا بالله، وأن يشركوا معه الأصنام والأوثان، توسُّلاً بها ثم عبادة لها.

عند ذلك بعث الله نوحاً – عليه السّلام – نبيّاً ورسولاً، روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنهم، أن رسول الله ﷺ قال: في حديث "الشفاعة" الطويل: «... **فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح: أنت أول الرّسل إلىٰ الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلىٰ ربك ...** »[2].

وكانت رسالة نوح إلىٰ قومه الدعوة إلىٰ الإستسلام لمنهج الله – عزّ وجلّ – والسير علىٰ الصراط المستقيم، وطاعة لأوامره، وإيماناً صادقاً وثابتاً بأسماء الله الحسنىٰ، وأفعاله، والإيمان باليوم الآخر وبالحساب والجنة ولتعريفهم بما خلق الله من حولهم من الملائكة والجن، والسماوات والأرض، والشمس والقمر.

قال تعالىٰ: ﴿ **۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ** ﴾[3].

وبقي نوح يدعو قومه مدّة تسع مائة وخمسين عاماً، لكنّ قومه لم يُؤمنوا

---

(١) أخرجه الإمام مسلم، برقم: ٢٨٦٥.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٣٤٠، ومسلم، حديث رقم: ١٩٤.

(٣) سورة شورىٰ، الآية: ١٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

به، إلا عدد قليل منهم. وكان من بين هؤلاء الذين كفروا امرأة نوح: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

فقد خانته في عقيدته، ورفضت الإيمان بها، والمراد بالخيانة، الخيانة في الدين، حيث اختارت الكفر، رغم أنها امرأة نبيّ رسول، وهي تعيش معه في بيته، ولا يراد بالخيانة هنا الخيانة في العرض، أو ارتكاب فاحشة الزنا، ففراش الأنبياء طاهر، لم تلوّثه امرأة أحدهم بالزنا ولم يطأ فراش النبي أو امرأته أحدٌ غيره[2].

ونرىٰ في هذه الآية دليلاً واضحاً علىٰ حرّية الاعتقاد، فقد دعا سيدنا نوح – عليه السّلام – زوجته للإيمان، ولكنّها أبت اتباعه، فكانت من الكافرين.

قال رسول الله ﷺ: «**إن نبي الله نوحاً – عليه السلام – لـمّا حضرته الوفاة، قال لابنه: "إني قاصٌّ عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين. آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات والأرضين السبع لو وضعن في كفّة ووضعت لا إله إلا الله في كفّة، لرجحت بهنّ، ولو أنّ السموات السبع والأرضين السبع، كنّ حلقة مبهمة، لقصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده، فإنهما صلاة كل شيء، وبها يرزق كل شيء، وأنهاك عن الشرك والكبر" فقلت – أو قيل: يا رسول الله! هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر، هو أن يكون لأحدنا حلة يلبسها؟ قال: "لا" قال: فهو أن يكون لأحدنا دابّة يركبها؟ قال: "لا" قال: فهو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال: "لا" قال: يا رسول الله! فما الكبر؟ قال: سَفَهُ**

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، دار القلم، دمشق: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، الجزء الأول ص١٨٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحقّ [1]**، وغمص الناس** [2]"[3].

أما امراة لوط – عليه السلام – فقد اختارت هي أيضاً الكفر بالله – عزّ وجلّ – ولم تتأثر بعقيدة زوجها، ونبوّته، ولم تدخل في دينه، بل آثرت أن تكون علىٰ دين قومها الكافرين الشاذّين، مع أن لوطاً – عليه السلام – دعا امرأته عدّة مرّات إلىٰ الله لكنها أغلقت قلبها، ورفضت تلك الدعوة الإيمانية، فرفضها للإيمان بعقيدة التوحيد التي آمن بها زوجها يُعتبر خيانة منها، لأنها تركت الحقّ ولجأت إلىٰ الباطل، وحادت عن الإيمان إلىٰ الكفر، ولم تتّبع زوجها وهو نبيّ كريم. وإن كانت امرأة لوط قد كفرت بالله، فلم ينفعها كونها امرأة نبي، ولم يدفع ذلك عنها العذاب، بل كانت من الغابرين الهالكين، وفي الآخرة لن يشفع لها زوجها، ولن يمنعها من دخول النار مع الخالدين [4].

أمّا قصّة امرأة فرعون، المؤمنة بالله، فقال تعالىٰ فيها: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [5].

وامرأة فرعون قد بيّن رسول الله ﷺ اسمها عندما أشار إلىٰ إيمانها وفضلها.

فقد روىٰ البخاري ومسلم عن أبي موسىٰ الأشعري – رضي الله عنه –

---

(١) سفه الحق: الاستخفاق بالحق وأن لا يراه ما هو عليه من الرجحان والرزانة.

(٢) غمص الناس: هو احتقارهم وأن لا يراهم شيئاً.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب الكبر، دار البشائر الإسلامية، بيروت: الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. حديث رقم: ٥٤٨.

(٤) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الثاني ص٥١٢.

(٥) سورة التحريم، الآية: ١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عن رسول الله ﷺ قال: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران، وأسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وفضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام**»[1].

آسية امرأة مؤمنة صالحة، كملت في إيمانها وعقلها، وهي من أفضل نساء العالمين، بشهادة رسول الله ﷺ وهي امرأة فرعون، هذا الكافر الذي ادعىٰ الألوهية، وبطش وقتل وظلم فأوجع.

أما مريم ابنة عمران، فقال تعالىٰ فيها: ﴿**إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾**﴾[2].

فهذه مريم وهناك أيضـًا، امرأتان صالحتان، عرفتا حقوق الله عليهما فحفظتاها، وعلمتا شرع الله فاتبعاه راضيتين مؤمنتين بعطاءاته وفضله.

حياء المرأة كمالها:

قال تعالىٰ: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ**

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٤١١، ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٤٣١.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٣٥-٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾[1].

عندما خرج موسىٰ – عليه السلام – هربا من بطش فرعون وصل إلىٰ أرض مدين، وعند عين الماء وجد جماعة من الرعاة يسقون أغنامهم ومواشيهم من العين، ووجد هناك امرأتين تجلسان بعيداً عن الماء، بالرغم من وجود أغنامهما وماشيتهما معهما، وكانتا حريصتين علىٰ أن لا تقربا من العين في أثناء تجمّع الرجال. لفت هذا المنظر نظر سيدنا موسىٰ – عليه السلام – فتوجّه نحوهما، وسألهما ما شأنكما وما قصّتكما؟ ولماذا تقومان برعي الغنم؟ ولماذا لا تزاحمان الرجال علىٰ الماء؟

أجابت المرأتان موسىٰ – عليه السلام – قائلتين: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[2].

نرىٰ في هذا الجواب حرص المرأتين علىٰ عدم الاختلاط بالرجال، وعدم مزاحمتهم، وهذا التصرف هو التصرف الفطري الذي يتّفق مع طبيعة المرأة التي فطرها الله عليها، فالله قد فطر المرأة السويّة الحييّة علىٰ عدم الرغبة في مخالطة الرجال الأجانب ومزاحمتهم. حفاظًا منها علىٰ أنوثتها وحيائها ورقّتها. وهناك مدلول آخر لجوابهما، يثبت أن عمل المرأة ليس مستهجنًا ولا محرّمًا بل قد يكون ضرورة تلبيّ من خلاله حاجاتها وضرورات حياة عائلتها ولكن المرأة بفطرتها اللطيفة لا تقبل بأي عمل، وإنما نراها تختار العمل الذي لا يتطلّب

(١) سورة القصص، الآيات: ٢٢-٢٥.
(٢) سورة القصص، الآية: ٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جهداً جسديـًا، أو فكريـًا، أو يفرض عليها مخالطة الرجال. ولا مزاحمتهم في أثناء العمل. فهي تفضل أن تبقىٰ أنثىٰ رمزاً للطف، والرقّة والعطف والحنان، وليس الهدف من عملها منافسة الرجل في عمله. فالرجل فطره الله علىٰ تحمّل الشدائد والمشاق، والقيام بالأعمال الصعبة، أما النساء فقد فطرهنّ الله علىٰ النعومة والرقّة، فلا تقوم المرأة بعمل الرجل إلا إذا اضطرت لذلك. وتكتشف ولو بينها وبين نفسها أنها مرهقة وأنها في غير مكانها الطبيعي وأنها لم تخلق لهكذا عمل مُشْق ومتعب يبعدها عن الشعور بالرضىٰ والقناعة.

ذكر المرأه إلىٰ جانب الرجل في الإيمان:

١- ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾(١)

2- ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾(٢)

3- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٧١ – ٧٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

4- ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[2].

5- ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[3].

6- ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾[4].

7- ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن

(١) سورة النحل، الآية:٩٧.
(٢) سورة طه، الآيات: ١١٧-١٢٣.
(٣) سورة نوح، الآية: ٢٨.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

8- ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾﴾[2].

9- ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[3].

10- ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ ﴾[4].

بعد هذا العرض لآيات الله – عزّ وجلّ – الدالّة علىٰ أن التكاليف الشرعية وجهت إلىٰ الرجل كما وجهت للمرأة سواء بسواء، وأن المنهج الذي اصطفاه الله – عزّ وجلّ – منذ خلق آدم – عليه السلام – إلىٰ خاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم هو واحد، اختاره الله تعالىٰ وكلّفه به كما اختاره للمرأة وكلّفها به، وأظهرت الآيات أن المرأة منذ بدء وجود الإنسان تشاطر الرجل في السكن علىٰ الأرض والإصلاح والإعمار، ولها الجزاء والثواب والعقاب مثلها مثل الرجل. فهل هذا دالّ علىٰ تهميش المرأة عند الله تعالىٰ؟؟ وهل في الآيات ما يدلّ علىٰ إذلال أو تحقير لها كما هو الوضع اليوم؟

---

(١) سورة غارف، الآية: ٤٠.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٢.

(٤) سورة النور، الآية: ١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذكر المرأة إلىٰ جانب الرجل في التصدق:

١- ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

٢- ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[2].

أين التي تفتش عن حقوقها وتدعو إلىٰ المساواة بينها وبين الرجل؟؟ هل قرأت كتاب الله، وتأكّدت من أنّ الله لن يضيّعها؟

فالمرأة والرجل سواء في الثواب، ولن ينقص من أجورهنّ شيئًا.

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[3].

المرأة وكسبها للحسنات بجانب الرجل:

١- ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

٢- ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ﴾[2].

٣- ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

هذا هو وعد الله لك أيّتها المرأة ووعد الله حقّ، جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدة فيها ويكفّر عنك سيئاتك، فهل من رجل أو عمل أو منعم قادرٌ أن يعدك مثل هذا الوعد؟؟! وهل من واعد في هذا الوجود قادر علىٰ تحقيق مثل هذا الوعد؟! فعودي سيّدتي إلىٰ كتاب ربك واعملي بما فيه تجدين السعادة والرضا.

المرأة وعملها الصالح:

١- ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾[4].

٢- ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٥.

(٣) سورة الفتح، الآية: ٢٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٥) سورة النحل، الآية: ٩٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾[1].

إلىٰ كلّ امرأة أصيبت بالقنوط من رحمة الله – عزّ وجلّ – وإلىٰ كلّ امرأة فكّرت بتهميش نفسها وعدم معرفة الهدف من وجودها في هذه الحياة، أقول: هل تريدين أكثر من ذلك أدلّة أرسلها الله لك من خلال رسوله الكريم ﷺ لكي تعودي إلىٰ جادّة الصّواب، وتلتزمي بالصراط المستقيم لتحصلي علىٰ ما تريدين؟

المرأة وإبداء رأيها:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[2].

إحدىٰ الفتاتين تطالب أباها في أن يعمل موسىٰ – عليه السلام – عندهم، لشهامته وقوّته وأمانته، وقد عمل الوالد برأي ابنته، وطلب من موسىٰ أن يعمل عندهم لفترة محدّدة بيّنها الله تعالىٰ في قوله: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾[3].

وبهذا نرىٰ أنّ المرأة كانت تُبدي رأيها، وتعبّر عمّا في نفسها، وأنّ الأهل كانوا يعملون بهذا الرأي إن رأوه صوابًا.

وقد ورد حديث لرسول الله ﷺ عن أبي ذرّ الغفاري – رضي الله عنه –

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سُئلت: أي الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ فقل خيرهما وأتمّهما وأبرّهما.

وإذا سئلت أيّ المرأتين تزوج؟ فقل: الصغرىٰ منهما، وهي التي جاءت وقالت يا أبت استأجره، إن خير من استأجرت القوي الأمين.

قال: وما رأيت من قوّته؟

قالت: أخذ حجراً ثقيلاً فألقاه في البئر.

قال: وما الذي رأيت من أمانته؟

قالت: قال لي: امشي خلفي، ولا تمشي أمامي»[1].

ونستدل من هذا الحوار الذي دار بين الوالد وابنته، أن الفتاة كانت واعية وذات خبرة وحنكة، استطاعت أن تستخلص بعض صفات موسىٰ الخُلُقيّة من تصرّفاته ومن أعماله. وهذه الصفات التي تجلّت في حوارها تدلّ علىٰ أنها معتادة الحوار وأنها جريئة في قول ما تريد، ما يدلّ علىٰ مستوىٰ اجتماعي راقٍ وعلىٰ قدرة علىٰ التواصل حتىٰ مع الغرباء.

المرأة وتعرّضها للشدائد:

١- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[2].

٢- ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟

(١) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط، انظر الأحاديث الصحيحة، رقم: ١٨٨.

(٢) سورة النساء، الآية: ٧٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[1].

٣- ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾[2].

٤- ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[3].

٥- ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[4].

٦- ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾[5].

٧- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾[6].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.
(٢) سورة البروج، الآيات: ٤-١٠.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٩.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٢٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٤١.
(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٨- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾[1].

٩- ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٢٥﴾[2].

تعرّضت المرأة عبر التاريخ لمصاعب كثيرة منها القتل والبغي والسبي فهل تركت دينها؟؟ وهل تركت طاعتها لله -عزّ وجلّ-؟؟ فأين أنت اليوم من تلك المرأة التي صانت نفسها وحفظت حقّها في الدنيا والآخرة رغم تعذيبها وإذلالها؟!

حقوقها والمهر:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٢٨﴾[3].

أين مهر المرأة اليوم؟ وهل يحفظ الزواج المدنيّ لها أيّ حقّ من حقوقها التي شرعها الدين الإسلامي لها؟ ومتىٰ تحظىٰ المرأة علىٰ مهرها اليوم أبَعْدَ طلاقها أم بعد وفاة زوجها؟؟؟

أيتها المرأة المسلمة تسلّحي بدينك لتحفظي حقوقك!!!

---

(١) سورة القصص، الآية: ٤.

(٢) سورة غارف، الآية: ٢٥.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المرأة وذكاؤها:

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

لم يكن قصد رسول الله ﷺ حينما قال: «**ناقصات عقل ودين**» أنها ستكون غبية!!

لكي يتسلط عليها الرجل فتكون جارية لديه!!!

إنّما كان يعقّب عن وضع المرأة بحسب التشريع من زاويتين، قضائيًا فهي شاهدة تسيطر عليها عاطفتها لذلك تعتبر شهادتها بنصف شهادة. وهي امرأة تعرف الدورة الشهرية التي تحرمها من العبادة والصلاة مدّة أسبوع أو أكثر كل شهر، فهي إذا ناقصة عقل وناقصة دين في هاتين الحالتين فقط.

المرأة وفتنتها للرجل:

١- ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾[2].

٢- ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾﴾[3].

٣- ﴿۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٢.

(٢) سورة يوسف، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

جعل الله – عزّ وجلّ – النساء فتنة للرجال. إنّ هوىٰ القلب يتعلّق بالدنيا ومشتهياتها ولحكمة من الله تعالىٰ كانت المرأة من أبرز هذه المشتهيات قال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[1]

وقال رسول الله ﷺ: «**إنّ الدنيا حلوة خضرة، وإنّ الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإنّ فتنة بني إسرائيل كانت من النساء**»[2].

وهذه الآية والحديث يظهران لأي مدىٰ تستطيع المرأة أن تغيّر مجرىٰ حياة الرجل، ولأي مدىٰ قادرة علىٰ تغيير موازين القواعد الاجتماعية السائدة نحو الصلاح والخير إن كانت المرأة كذلك، أو نحو الخراب والضياع والدمار إن كانت المرأة خبيثة سيئة الطباع وماكرة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

(٢) رواه مسلم، كتاب: الرقاق، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان فتنة النساء.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا ما حدث مع يوسف – عليه السلام – فقد آتاه الله شطر الحسن والجمال، فاعجبت فيه زوجة العزيز وقرّرت أن تراوده عن نفسه لعلّه يجاريها ويشفي عشقها له ويروي تعطّشها إليه، قال تعالىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

لقد سيطرت الشهوة علىٰ كيان امرأة العزيز، فألغت تفكيرها وعقلها، وأعمت بصيرتها، وأصبح همّها الوحيد هو قضاء وطرها من معشوقها وإن كان فتاها. هذا المشهد يوحي بقدرة المرأة عامة علىٰ إغواء الآخرين، وقدرتها علىٰ ستر الحقّ وإحلال الباطل، في إغواء يوسف – عليه السلام – والأهم من ذلك هو إعراض يوسف – عليه السلام – عنها ومغادرة المكان، فتوجّه نحو الباب، ولكنّ الباب مغلق بل مقفل، وتتسارع الأحداث لنرىٰ امرأة العزيز قد هاجت وماجت من تصرف يوسف إذ كيف يعرض عنها وهي من هي من مركز وجمال وسمعة!!

(١) سورة يوسف، الآيات: ٢٣-٢٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وتوجّهت تسبقه نحو الباب، لتعيق خروجه، وتجذب يوسف من قميصه وتشدّه إليها محاولة نهية عن الخروج، وجذبته بقوّة وعنف فمزّقت قميصه ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ وهنا، ظهر كيد النساء، ومكرهن، القميص ممزّق، والمرأة حانقة غاضبة وزوجها في الباب يحاول أن يكتشف ما جرىٰ وما يجري، موقف محرج ومعيب خرجت منه بدهاء فقالت: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هكذا وبمكرها برّأت نفسها، وألقت اللّوم علىٰ الفتىٰ الضعيف أمام الحاكم القويّ. أما العزيز فاكتشف الحقيقة وأعلن صراحة عن كيد النساء وأنّ كيدهن عظيم ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وقال لها: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ وهكذا ظهر ضعف الحاكم أمام كيد النساء، لكن لماذا؟ وكيف يحكم؟ وما موقفه من الفتىٰ البريء؟ ولم تكتف امرأة العزيز بذلك، بل سلّطت كيدها علىٰ نسوة المدينة، وهنّ نسوة من الطبقة المترفة الحاكمة اللواتي يجتمعن، ويتحدّثن عن الفضائح والشهوات والمآكل والمشارب والملابس، ولمّا دار الحديث بيهنّ عن تدنّي مستوىٰ امرأة العزيز بمراودة خادمها وفتاها عن نفسه، وكيف أحبته وعشقته، ورغبت في معاشرته، وكيف شغفها حبًّا، دعتهن لزيارتها في المنزل وهي تكمن لهنّ مكيدة توقعهنّ بها في شرّ كلامهنّ، وتمنعهنّ عن لومها.

فلمّا سمعت امرأة العزيز بحديثهنّ، عزمت أن تبيّن لهنّ سبب حبها ليوسف – عليه السلام – فهداها مكرها وكيدها إلىٰ حيلة عجيبة ومؤامرة خبيثة، فقد دعتهنّ إلىٰ حفلة في بيتها وهيّأت لهنّ الفرش والمساند والبسط ورتّبت لهنّ جلسة مريحة ناعمة، وقدمت لهن الصحون، والسكاكين لتقشير وتقطيع الفاكهة، وطلبت منهنّ البدء بتقشير الفاكهة، وفي اللحظة عينها أمرت فتاها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يوسف أن يخرج عليهنّ، خرج يوسف –عليه السلام– علىٰ النسوة وهنّ منهمكات في استعمال السكاكين ففوجئن به، وبهرتهن طلعته الوضّاءة، وسحَرهنّ جماله النادر، فنسين السكاكين التي بأيديهنّ وتحرّكن بحركة لا إرادية، حيث فقدن السيطرة علىٰ أنفسهن، فآذين أنفسهن بجرح أيديهنّ، وكان ذلك بالنسبة لامرأة العزيز تبريراً لوقوعها في حب هذا الفتىٰ الوسيم، الذي بطلّة واحدة عليهن سلبهن الشعور والعقول وجعلهن يقطعنّ أيديهنّ!!

ملكة سبأ الحاكمة القوية والجازمة كما ذكرها القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم قصّة الهدهد مع سيّدنا سليمان – عليه السلام – والمهمّ في موضوع القصة هو، ماذا وجد الهدهد؟ وكيف وصف ملكة سبأ.

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ۝٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩﴾[1].

قال الهدهد بإيجاز : رأيت ملكة سبأ وقومها يسجدون للشمس من دون الله، مع أنّ الله أنعم علىٰ سبأ وأهلها بنعم كثيرة، جميع مظاهر الخير وألوان الرزق والقوّة والتمكين، فقد منحها الله كلّ شيء، سواء في السياسة أو في الاقتصاد أو في الاجتماع والدلالة علىٰ ذلك أنّ لها عرشاً عظيماً[2].

ووصف القرآن الكريم وعي الملكة وذكاءها وحكمتها، وحسن إدارتها

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٣– ٢٦.

(٢) الخالدي، صلاح، مع قصص السابقين في القرآن، ٣، دار القلم، دمشق: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، الطبعة الثانية، ص١٩٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

للحكم، وحسن تواصلها مع الملوك، وبيّن تعالىٰ أنها اعتمدت الشورىٰ في حكمها وفي اتخاذ قراراتها، وهذا الأمر في حينه يدلّ علىٰ الحنكة والوعي، وحسن الإدارة للأمور، وهذه الصفات، صفات الحاكم القويّ، اتصفت بها ملكة سبأ، قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٣-٣٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث:
المرأة قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية:

١- قتل الأنثى: وهي طفلة.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾[2].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾[3].

٢- تحريم بعض الطيّبات عليها:

﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾[4].

٣- منع توريثها وجعلها كالمتاع، وتضييق حرّيتها في الزواج:

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٥٨-٥٩.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣١.
(٣) سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٣٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾(١).

٤- ابتذال علاقتها الأسرية الحميمة عن طريق الزواج:

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَمَقۡتٗا وَسَآءَ سَبِيلًا ٢٢ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّٰتُكُمۡ وَخَٰلَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمۡ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمۡ تَكُونُواْ دَخَلۡتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٣﴾(٢).

بعد عرضنا لقيمة المرأة التي أكرمها الله – جلّ جلاله – في القرآن الكريم، وبعدما تعرّضت المرأة في الشرائع السماوية السابقة؛ حين بعدهم عن تطبيق منهج الله – عزّ وجلّ – إلىٰ الاستباحة والقتل أو الرقّ ليصبحن إماء لدىٰ الرجال، لذا نجد أن المنهج الإلهي موضوع ليعمل به في كل بيئة وفي كل زمان، و في كل مرحلة من مراحل النشأة الإنسانية، فالإنسان هو الإنسان في هذه الحياة إمّا أن يأخذ منهج الله – عزّ وجلّ – ويرتقىٰ بنفسه إلىٰ أعلىٰ المراتب أو لا يتخذه في حياته فيشقىٰ، وكان ظاهر هذا الأمر منصبًا علىٰ حياة المرأة في تاريخ الذين انصرفوا عن هدىٰ الله تعالىٰ، وتركوا شريعة الله التي أنزلها لسعادة

(١) سورة النساء، الآية: ١٩.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ٢٢، ٢٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنسان. فإنّ الجاهلية هي الجاهلية في كل عصر وفي كلِّ أمة من بعثة نوح – عليه السّلام – إلىٰ وقتنا الحاضر، فالجاهلية هي جهل هذه الأمم لشرع الله – عزّ وجلّ – في كل زمان ومكان، فدين الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله – عزّ وجلّ – لجميع الأمم، والاستسلام لهذا المنهج الرباني هو الإسلام عند جميع الأمم، وطاعة الله – عزّ وجلّ – وطاعة رسله عليهم صلوات الله هي واحدة لجميع الأنبياء والرسل، فالجاهلية هي جاهلية قلوب خلت من عقيدة إلهية تحكم أهواءهم وتصوراتهم وحياتهم.

وقد كان لكل جاهليّة[1] من حولهم أرجاسها، وكان للعرب جاهليّتهم وأرجاسهم.

من أرجاسهم هذا الذي وصفه جعفر بن أبي طالب وهو يحدّث نجاشي الحبشة في مواجهة رسولي قريش إليه، وقد جاءا إلىٰ النجاشي لعله يُسَلِّمهما المهاجرين من المسلمين عنده...يقول جعفر:

(أيها الملك. كنا قومـًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف...

فكنّا علىٰ ذلك حتىٰ بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلىٰ الله وحده لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئـًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام...). ومن أرجاسها ما حكته عائشة –

(١) فائز، أحمد، دستور الأسرة ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ط٣، ص٩-١٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

رضي الله عنها – وهي تصوّر أنواع الاتصال بين الجنسين في الجاهلية كما جاء في صحيح البخاري، " إن النكاح في الجاهلية كان علىٰ أربعة أنحاء. فنكاح منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلىٰ الرجل وليّته أو بنته، فيصدقها، ثم ينكحها. نكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: ارسلي إلىٰ فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها ولا يمسها أبداً حتىٰ يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه.

فإذا تبيّن حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد. فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون علىٰ المرأة، كلهم يصيبها. فإذا حملت ووضعت، ومرَّ عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت اليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتىٰ يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمىٰ من أحبت منهم باسمه، فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

ونكاح رابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون علىٰ المرأة لا تمتنع ممّن جاءها – وهنّ البغايا – كنّ ينصبن علىٰ أبوابهن رايات تكون علماً – فمن أرادهنّ دخل عليهنّ، فإذا حملت احداهن ووضعت حملها، جمعوا لها، ودعوا لهم القافَةَ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط به، ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك، فلمّا بعث محمد ﷺ بالحق، هدم نكاح الجاهلية كلّه إلا نكاح الناس اليوم"[1].

هذه الصور تدلّ علىٰ هبوط التصوّر الانساني وبهيميّته ولا تحتاج إلىٰ

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٥١٢٧، كتاب: النكاح، باب: من قال لا نكاح إلا بولي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعليق، بل يكفي تصوّر الرجل، وهو يرسل امرأته إلىٰ فلان لتأتي له منه بولد نجيب، تمامًا كما يرسل ناقته أو فرسه أو بهيمته إلىٰ الفحل النجيب، لتأتي له منه بنتاج جيد.

ويكفي تصوّر الرجال – ما دون العشرة – يدخلون إلىٰ المرأة مجتمعين – كلهم يصيبها! ... ثم تختار هي أحدهم لتلحق به ولدها!

أما البغاء – وهو الصورة الرابعة – فهو البغاء! يزيد عليه نتاجه برجل من البغاة! لا يجد في ذلك معرة! ولا يمتنع من ذلك!

إنه الوحل، الذي طهَّر الاسلام منه العرب، ولولا الإسلام –لكانوا غارقين إلىٰ الأذقان فيه!

ولم يكن هذا الوحل في العلاقات الجنسية إلا طرفًا من النظرة الهابطة إلىٰ المرأة في الجاهلية.

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه القيّم "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين":

" وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضه غبن وحيف، تُؤكل حقوقها، وتُبتز أموالها، وتحرم من إرثها، وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجًا ترضاه، وتورث كما يورث المتاع أو الدابة، عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حموه، فهو أحق بامرأته، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتىٰ تفتدي بصداقتها، أو تموت فيذهب بمالها"[1]....

وقال عطاء بن أبي رباح : " إن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل، فترك

(١) الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٥٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

امرأة حبسها أهله علىٰ الصبي يكون فيهم".

وقال السدي: إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فإذا مات وترك امرأته، فإن سبق وارث الميت فألقىٰ عليها ثوبه فهو أحقّ بها أن ينكحها بمهر صاحبه، أو ينكحها فيأخذ مهرها. وإن سبقته فهي أحقّ بنفسها.

وكانت المرأة في الجاهلية يُطفف معها الكيل، فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع هي بحقوقها، يُؤخذ مما تؤتىٰ من مهر، وتُمسك ضراراً للاعتداء، وتلاقي من بعلها نشوزاً أو اعراضـًا، وتُترك في بعض الأحيان كالمعلقة. ومن المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم علىٰ الإناث. وكان يسوغ للرجل أن يتزوّج ما يشاء من غير تحديد.

وقد بلغت كراهة البنات إلىٰ حدّ الوأد، ذكر الهيثم بن عدي – علىٰ ما حكاه عنه الميداني – أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد وبتركه عشرة. فجاء الإسلام، وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد البنات. فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحق العار بهم من أجلهنّ. ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء. أو شيماء (سوداء) أو برشاء (برصاء) أو كسحاء (عرجاء)، تشاؤمـًا منهم بهذه الصفات، ومنهم كان يقتل أولاده خشية الانفاق وخوف الفقر.

وكانوا يقتلون البنات ويئدوهنّ بقسوة نادرة في بعض الأحيان، فقد يتأخر وأد الموؤودة لسفر الوالد وشغله، فلا يئدها إلا وقد كبرت، وصارت تعقل، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات. وقد كان بعضهم يلقي الانثىٰ من شاهق[1].

(١) بلوغ الإرب في أحوال العرب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه هي الجاهلية تفعل لأهلها ما تفعل تشقيهم وتهلكهم... ولا مناص للإنسان حين يبتغي سعادته وراحته وطمأنينة باله وصلاح حاله، من الرجوع إلىٰ منهج الله في ذات نفسه، وفي نظام حياته، وفي منهج مجتمعه، ليتناسق مع النظام الكوني كله. فلا ينفرد بمنهج من صنع نفسه [1].

وقد أورد الأستاذ الدكتور محمد رواس قلعة جي[2] في كتابه **دراسة تحليلية لشخصية الرسول** ﷺ الحالة الاجتماعية في شبه الجزيرة العربية قبل بعثة رسول الله ﷺ، كانت العرب تحرّم نكاح الأصول كالأمهات، والفروع كالبنات، وفروع الأب كالأخوات، والطبقة الأولىٰ من فروع الجد كالخالات والعمات، ولكنهم كانوا يُحِلُّون نكاح زوجة الأب، فكان الرجل إذا مات قام أكبر ولده فألقىٰ ثوبه علىٰ امرأة أبيه فورث نكاحها، فإن لم يكن له حاجة فيها تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، وقد فرّق الإسلام بين رجالٍ ونساء آبائهم بعد أن أسلموا وهم كثير منهم: منظور بن زبّان بين سيار بن عمو الفزاري الذي كانت تحته مُليكة بنت خارجة بن سنان المرّي، فولد لهما خولة بنت منظور التي تزوجها الحسن بن علىٰ بن أبي طالب، ثم عبدالله بن الزبير بعد الحسن، وكان منظور يحب مليكة، ففرق بينهما عمر بن الخطاب لأنها زوجة أبيه.

ومنهم محصن بن أبي قيس بن الأسلب، ألقىٰ ثوبه علىٰ امرأة أبيه كبيشة بنت معين من بني خطمة – فورث نكاحها، ثم تركها لا يدخل عليها ولا ينفق عليها فاشتكت إلىٰ رسول الله ﷺ حالها فأنزل الله تعالىٰ من سورة النساء: ﴿**وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا**

(١) فائز، أحمد، دستور الأسرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م، ط٣، ص٩-١٢.

(٢) قلعة جي، محمد رواس، دراسة تحليلية لشخصية الرسول ﷺ، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، طبعة أولىٰ، ص٢٢-٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَسَآءَ سَبِيلاً ﴿٢٢﴾[1].

وكانوا يُحلون الجمع بين الأختين في النكاح، وقد جمع بين الأختين أبو أَحَيْحَة سعيد بن العاص، جمع بين صفية وهند بنتي المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، وجمع قسي وهو ثقيف بن منبه بين آمنة وزينب بنتي عامر بن الظرب في نكاح واحد؛ وجمع هنّام بن سلمة العائشي بين أختين.

وكانوا يبيحون للرجل أن يجمع في عصمته من الزوجات ما شاء دون التقيّد بعدد، وكان الذين جمعوا بين أكثر من أربع زوجات أكثر من أن ينالهم العدّ، وقد جاء الإسلام وفي ثقيف مسعود بن معتب، ومسعود بن عمرو بن عمير، وعروة بن مسعود، وسفيان بن عبدالله، وغيلان بن سلمة، وأبو عقيل مسعود بن عامر بن معتب، تحت كل واحد منهم عشر زوجات، ففارق كل من غيلان وسفيان وأبو عقيل ست زوجات لـمّا أسلموا، ومات عروة مسلمـًا قبل نزول تحديد النساء بأربع.

وكانوا يمارسون الطلاق، ولم يكن للطلاق عندهم عدد محدّد، فكان الرجل يطلّق امرأته ثم يراجعها، ثم يطلّقها ثم يراجعها هكذا أبداً، وبقي هذا الأمر معمولاً به في صدر الإسلام إلىٰ أن أنزل الله تبارك وتعالىٰ قوله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان العرب يُعيّرون بالبنات، لأن البنت لا تخرج في الغزو، ولا تحمي البيضة من المعتدين عليها، ولا تعمل فتأتي بالمال شأن الرجال، وإذا ما سُبِيَت اتخذت للوطء تتداولها الأيدي لذلك، بل ربّما أكرهت علىٰ احتراف البغاء، ليضم سيّدها ما يصير إليها من المال بالبغاء إلىٰ ماله –وقد كانت العرب تستبيح ذلك كما تقدّم – وقد كان هذا يورِثُ الهمَّ والحزن والخجل للأب عندما يولد له بنت، وقد حكىٰ لنا القرآن الكريم حالة من يولد له بنت فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1].

وكثيراً ما كانوا يختارون دسَّها في التراب، ووأدها حيّة، ولا ذَنْب لها إلاّ أنها أنثىٰ، ولذلك أنكر القرآن الكريم عليهم هذه الفعلة الشنيعة بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾[2].

ونهىٰ نهياً قاطعاً عن ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾[3].

وكانت المرأة إذا مات زوجها اعتدَّت لموته سنة، أما إن طلّقها زوجها فليس له عليها عدّة، وتستطيع أن تتزوّج بعد طلاقها ولو كانت حاملاً منه، كما حكىٰ ذلك أبو جعفر محمد بن حبيب في المحبَّر، وحكىٰ القرطبي أنه كانت عندهم للمطلقة عدّة معلومة مقدّرة، ولكنه لم يذكر قدرها، والحقُّ ما ذكره القرطبي، وما ساقه أبو جعفر من واقعات تزوّج فيها المطلقات وهن حوامل،

(١) سورة النحل، الآيتان: ٥٨، ٥٩.
(٢) سورة التكوير، الآيتان: ٨، ٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وولدن علىٰ فرش أزواجهن الآخرين، فهي لا تعبِّر عن قانون عام يطبقه العرب، وإنما هي حوادث فردية شاذة خرج فيها النساء عن القانون العام، خاصة وأن بعض هذه الحوادث حدثت في ظل دولة الإسلام، وقضىٰ فيها عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، وبعضها وطءُ إنسانٍ – لم يملك إرْبَهُ- السبايا الحوامل، ونحو ذلك.

وكانوا لا يورِّثون البنات ولا النساء ولا الصبيان، ولا يورّثون إلاّ من حاز الغنيمة وقاتل علىٰ ظهور الخيل، وممن عرف عنه أنه ورّث البنات في الجاهلية فأعطىٰ البنت سهمـاً والابن سهمين هو ذو المجاسد اليشكري وهو عامر بن جشم بن حبيب، ولكن ذلك لم ينتشر عند العرب، وبقي حرمان النساء والصغار من الميراث عرفـًا معمولاً به عندهم، إلىٰ أن توفي أوس بن ثابت – في عهد رسول الله – وترك بنتين، كانت بهما دمامة، وابنـًا صغيراً، فجاء ابنا عمه – وهما عصبته – فأخذا ميراثه كله، فقالت امرأته لهما: تزوجا البنتين، فأبيا ذلك لدمامتهما، فأتت رسول الله. فقالت: يا رسول الله توفي أوس وترك ابنـًا صغيراً وابنتين، فجاء ابنا عمه خالدٌ وعرفطة فأخذا ميراثه، فقلت لهما تزوجا ابنتيه فأبيا، فقال ﷺ : (**لا تحركا من الميراث شيئـًا**) ونزل قوله تعالىٰ في سورة النساء ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾[1] ونزل قوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾[2][3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١.

(٣) قلعة جي، محمد رواس، دراسة تحليلية لشخصية رسول الله ﷺ من خلال سيرته الشريفة، دار النفائس، بيروت: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ط١، ص٢٣-٢٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثاني:
نساء مؤمنات في عهد إبراهيم -عليه السلام

المبحث الأول: المقدمة.

المبحث الثاني: سارة -عليها السلام.

المبحث الثالث: هاجر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول:
المقدمـة

قبل الحديث عن سيّدتنا سارة لا بدّ لنا أن نتحدّث عن زوجها سيّدنا إبراهيم – عليه السلام.

تعريف بإبراهيم – عليه السلام [1]:

هو أبو الأنبياء، إبراهيم الخليل – عليه الصلاة والسلام – وهو من أولي العزم من الرسل من بعد نوح – عليه السلام – بعثه الله تعالىٰ رسولا إلىٰ قومه في بلاد العراق، حيث كانوا يعبدون الأصنام والكواكب من دون الله تعالىٰ .

وكان أبوه من عابدي تلك الأصنام، واسمه آزر، بنص القرآن، وقد أصرّ أبوه آزر علىٰ كفره، فتبرأ إبراهيم – عليه السلام – منه.

بدأ إبراهيم – عليه السلام – دعوته في العراق، مع أبيه أولا، ثم مع قومه ثانيا، ثم مع الملك الظالم الكافر بعد ذلك، ولما لم يستجيبوا له حطّم أصنامهم، فحكموا بإحراقه في النار، ولكنّ الله نجّاه منها، ثم أمره بالخروج والهجرة من العراق، فغادرها غربا إلىٰ البلاد المباركة المقدسة التي بارك الله تعالىٰ فيها ومعه لوط – عليه السلام.

قال تعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ

(١) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، طبعة ثانية الجزء الأول، ص ٣١٨-٣٦٧ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

- **ما هي دعوة إبراهيم – عليه السلام؟:**

لقد دعا إبراهيم – عليه السلام – إلىٰ الإسلام.

قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ

(١) سورة الممتحنة، الآيات: ٤-٦.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧١.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾[3].

قال الله – عزّ وجلّ – في سورة الحج خطاباً لرسوله محمد ﷺ.

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[4].

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٧٧، ٨٧.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ١٣٠-١٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآيات: ١٣٦-١٤٠.

(٤) سورة الحج، الآيتان: ٦٩، ٩٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذه هي دعوة إبراهيم – عليه السلام – فهو إمام الناس، هو وذريته الصالحون المسلمون، يؤمنون بالله الواحد الأحد، يوحدون الله – عزّ وجلّ – مؤمنين أنّ الله واحد لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فهو سبحانه ربُّ العالمين خالق الكون ومدبّره، وهو المستحق للعبادة وحده.

المستحق وحده إفراده في الخلق، فالله وحده هو الذي خلق كل هذا العالم، والخلق يقتضي الرزق والإحياء والإماته والتدبير... فهو الخالق وحده لا شريك له، وإفراد الله سبحانه في الملك، فهو المالك الحقيقي لخلقه.

الله سبحانه له الخلق والأمر كله: فلا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر إلا الله وحده، ولا مالك إلا الله، فإن هذا يوجب تعلّق القلوب بالله – عزّ وجلّ – وحده والتوكّل عليه وسؤاله والافتقار إليه، لأنه سبحانه خالقنا ورازقنا ومالكنا.

ويؤمن أنه يجب أن يتخذ الله سبحانه حكماً وعدم الخضوع لكل حكم غير حكم الله، وكل أمر غير أمر الله، وكل قانون غير شرع الله، وكل وضعٍ أو فهمٍ أو فكرةٍ لم يأذن بها الله، ومن قبل شيئاً من ذلك فقد أبطل حقيقة أساسية من حقائق التوحيد، لأنه ابتغىٰ غير الله حكماً: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ﴾[2] .

فإذا كان الله سبحانه هو الخالق الحاكم المشرّع فيجب أن تكون الطاعة والعبادة لله وحده.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالعبادة حقّ الله علىٰ عباده وهي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1] .

أيتها المرأة هل حدّدت هدفك وتعرفت علىٰ هويّتك؟

هل تفكّرت في هذا الكون ونظرت إعجاز الله في خلقه؟

هل نظرت إلىٰ نفسك وتأمّلت في خلق الله – عزّ وجلّ؟

هل عرفت حقيقة الصراط المستقيم؟

هل عرفت معنىٰ الدين؟ وهل صدّقت بهذه الآيات الدالّة علىٰ هذه المعاني؟

هل تحركت هذه النفس التي بين جنبيك إلىٰ التصديق بما أخبر به الله – عزّ وجلّ – عن طريق تصديق الخبر بما جاء به رسول الله ﷺ؟

وهل أعلنت الطاعة لله وحده لا شريك له؟

هل ستسلمين زمام قيادتك في هذه الحياة إلىٰ ربّ العالمين الخالق البارئ القابض الباسط الرّازق القهار، ثمّ لرسوله المبلّغ عن ربّه، المأذون من قبله بتوجيه الأمر والنهي، وبقيادة مسيرة الذين آمنوا وأسلموا من النساء السابقات؟ لأجل ذلك نطلب منك إعداد هذه النفس التي بين جنبيك لاستماع الأوامر والنواهي والتوجهات والوصايا، المنزّلة من عند الله، والاستماع لما كلّف الله به الإنسان.

والآن نطلب منك حسن الاستماع من أعماق نفسك، وفهم الكلام الذي تنزّل علىٰ قلب رسول الله ﷺ وهو يذكر قَصص السابقين من النساء المؤمنات الصالحات القانتات... ولتسألي نفسك هل تريدين أن تكوني معهم في الجنة؟؟

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني:
قصّة سارة -رضي الله عنها

سارة المؤمنة زوجة إبراهيم – عليه السلام – كانت مع سيّدنا إبراهيم – عليه السلام – في الأرض المقدّسة. ذكرت سارة في القرآن الكريم وفي أحاديث رسول الله ﷺ، حيث ورد اسمها صريحاً حيث روىٰ البخاري في حديث طويل الحادثة العجيبة التي جرت لإبراهيم – عليه السلام – وزوجه، عندما توجها إلىٰ مصر، والكرامة التي أكرم الله بها سارة، وعصمها من ذلك الملك الجبار، أمّا في القرآن الكريم فقد ذكرت حين بشّرتها الملائكة بغلام علىٰ الكبر وكانت عقيماً، وقد ذكرت في ثلاث سور، وبحسب ترتيب النزول ذكرت أولاً في سورة هود وبعدها في سورة الحجر وبعدها في سورة الذاريات، والسور الثلاث تحدّثت عن ضيف إبراهيم – عليه السلام – والبشارة التي جاءوا بها إليه وما سيفعلون بقوم لوط.

فما هي الأسباب التي ذكرت فيها قصة سيّدتنا سارة زوجة إبراهيم –عليه السلام – أول نبي ورسول من أولي العزم، أرسل بعد سيّدنا نوح – عليه السلام؟

ولماذا بشّرت علىٰ الكبر باسحاق ومن بعد اسحاق يعقوب – عليهما السلام – وكلاهما نبيّ؟

وما هي قصة ملك مصر؟ وماذا حدث مع سارة عند الملك؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما أهميّة رواية هذه القصّة؟ وهل يمكننا الاستفادة منها وأخذ العبر والعظات في يومنا هذا؟

وهل ستكون لنا رادعـًا لهذه النفس الأمارة بالسوء؟

هذا ما سنراه خلال عرض قصّة سيّدتنا سارة –رضي الله عنها– في ضوء القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ﷺ.

أقام إبراهيم – عليه السلام – في الأرض المباركة فلسطين، وكان معه زوجه المؤمنة سارة رضي الله عنها، وارتحل إلىٰ مصر وهناك جرت لهما قصّة مع ملك مصر. (لم تذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم، وإنما ذكرت في حديث رسول الله ﷺ).

روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **(لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهنّ في ذات الله، قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا)**.

وبينما هو ذات يوم وسارة إذ أُتي به علىٰ جبّار من الجبابرة، فقيل له: إنّ هاهنا رجلاً، معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه، فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال أختي، فأتىٰ سارة فقال: يا سارة، ليس علىٰ وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإنَّ هذا سألني، وأخبرته أنك أختي، فلا تكذّبيني. فأُرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأُخِذَ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرّك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها ثانية، فَأُخِذَ مثلَها، أو أشدّ. فقال: ادعي الله لي ولا أضرّك، فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته، فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما بشيطان، فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يُصلي، فأومأ بيده: مهيا، قالت: ردّ الله كيد الكافر، أو الفاجر، في نحره، وأخدم هاجر".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال أبو هريرة: فتلك أمّكم يا بني ماء السماء [1].

فقد ذكر الحديث إيمان سيّدتنا سارة – رضي الله عنها – مع إبراهيم – عليه السلام – والحادثة التي وقعت في مصر مع ذلك الملك الجبار حيث [2]:

- كان ذلك الملك جباراً من الجبابرة، وكان فاجراً شهوانيًا، وكان مرتكبًا للفاحشة، ملاحقًا للنساء، وكانت له حاشية أو عصابة، مهمتها البحث عن النساء الجميلات وإحضارهن إليه طوعًا أو كرهًا، ليفجر بهنّ. وتحويل مهمة الملك ليكون "زير نساء" وصاحب شهوات وفجور، وفجوره بنساء دولته بدل حمايته لهنّ، وتحويل رجاله وحاشيته ليكونوا "صائدي نساء" وهذا من سمات الأنظمة الجاهليّة في كل مكان وزمان.
- أمر الله إبراهيم ليقول عن سارة إنها أخته. وقد أورد الحديث ثلاث كذبات مع أنها ليست كذلك ولكنها معاريض تشابه الكذب في الظاهر، وتخالفه في الحقيقة، حيث لم يكن إبراهيم – عليه السلام – حين قال: ﴿إني سقيم﴾ عندما كان في العراق وكان قومه يعبدون الأصنام لم يكن كاذبًا في قوله بل كان صادقًا في ذلك ومعنىٰ ﴿سقيم﴾ مريض، ومرضه ليس مرضًا عُضويّاً جسميّاً ماديّاً، بل كان مرضه في نفسه، فهو سقم نفسيّ معنويّ، لأنه قرب حلول عيد

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٣٥٨، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ، النساء، الآية: ١٢٥، وقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا ﴾ ، النحل، الآية: ١٢٠، وقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ ، التوبة، ١٢٤، ولأخرجه مسلم، حديث رقم: ٢٣٧١.

(٢) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ط٢، المجلد الأول، ص٣٧٨-٣٨١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قومه، الذين كانوا يفجرون ويكفرون فيه، فلمّا حل العيد تألم إبراهيم وحزن مما يفعلونه، وأصيبت نفسه بالضيق فقال ﴿إني سقيم﴾ لذا استخدم إبراهيم –عليه السلام – طريقة المعاريض ليتركوه ويذهبوا هم إلىٰ احتفالهم ظنّاً منهم أنه مريض جسديّاً. وأيضاً حين قال عن سارة إنها أخته، أراد بها الأخوة في الدين، ولَمّا سمعها حاشية الملك الفاجر منه، حملوها علىٰ الأخوة النسبيّة، وفهموا أنّها أخته في النسب، وليست زوجة له، ولهذا قدّموها للملك. وقد وضّح إبراهيم – عليه السلام – ذلك حين قال لسارة: يا سارة ليس علىٰ وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، رضي إبراهيم – عليه السلام – تسليم سارة للملك لأنّ الله هو الذي أوحىٰ إليه ووجّهه، فالله هو الذي أمر بإرسالها وتسليمها، وعليه أن يطمئن ولا يقلق، فستكون عند الملك في رعاية الله وحفظه، ولن ينال الملك منها شيئاً وكان إبراهيم واثقاً بوعد الله، مسلّماً أمره إليه، لقد عصم الله سارة من فجور الملك، وقدّم لها كرامة بارزة، وقدّم لذلك الفاجر الجبّار آية علىٰ قوة الله وقدرته وعلىٰ عجز ذلك الجبار! فلمّا مدّ يده لها أول مرة قبضها الله وعطّلها، فعجز الملك عن تحريكها أو التحكم فيها، فتعجّب واستغرب لأنها أول مرة تحصل معه، وطلب من سارة أن تدعو ربّها ليطلق يده، ولن يؤذيها، ولَمّا فعلت ذلك عاود الملك الكرّة مرة ثانية، ثمّ مرّة ثالثة، عند ذلك علم الملك أنه ممنوع من الوصول إليها، وأيقن بعجزه عن مسّها، وأن هناك قوّة أخرىٰ تحفظها وتعصمها وتحميها منه، وهذا هو المراد من الحادثة، وهذه هي الحكمة، أراد الملك إكرام هذه المرأة المحفوظة العفيفة، فقدّم لها إحدىٰ النساء

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لتكون خادمة لها، وجارية عندها، وهي هاجر، وأعادها إلىٰ إبراهيم معزّزة مكرّمة عفيفة مصونة، وكان إبراهيم – عليه السلام – أثناء غياب امرأته عند الملك ملتجئًا إلىٰ الله، يصلّي له، ويدعوه ويستنصره، ويطلب منه حفظ امرأته وعصمتها، وعادت إليه سارة وهو يصلّي مصونة مكرّمة.

وهذه هي مهمة الصلاة الإيجابيّة، إذا وقع المؤمن في ضيق يفزع إلىٰ الصلاة!

أعادت سارة قوّة إيمانها بالله، وأسندت الحفظ والرعاية إلىٰ الله، وأعادت الفضل إلىٰ مانحه سبحانه وتعالىٰ، وذلك في قولها: ردّ الله كيد الفاجر في نحره، وأخدم هاجر.

لقد قدّم أبو هريرة – رضي الله عنه – تعقيبًا وذلك في قوله: فتلك أمّكم يا بني ماء السماء وهو بهذا يخاطب الصحابة، ويقول لهم: هاجر المصريّة القبطيّة هي أمّكم، لأن إبراهيم عليه السلام – جعلها سريّته فيما بعد، وأنجبت له إسماعيل، وبما أنكم أبناءُ إسماعيل فهاجر أمّكم. ومعنىٰ قوله: " يا بني ماء السماء" : أن العرب في بلادهم يعتمدون علىٰ ماء السماء وهو المطر – في الزراعة والكلأ والعشب والرعي، ولذلك كأنهم صاروا أبناء ماء السماء.

عاد إبراهيم – عليه السلام – وزوجه سارة من مصر إلىٰ فلسطين، وأقام فيها، ومع سارة جاريتها "هاجر" وكانت سارة لا تنجب ولا تلد، وقد تقدّم العمر بإبراهيم – عليه السلام – وليس له أولاد.

ولاحظت سارة هذا وعزّ عليها أن لا يكون لزوجها أولاد، وبما أنها عقيم،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلماذا لا تهديه وتهبه جاريتها هاجر، لتكون جارية له، يتسرىٰ بها، ويعاشرها لعلّها تحمل منه؟

قدمت سارة جاريتها هاجر هدّية إلىٰ إبراهيم، ووهبتها له، فأصبحت ملك يمينه، يتصرّف بها كما يشاء، يتسرّىٰ بها ويعاشرها – وهكذا كان نظام الجواري والإماء في ذلك الزمان!

- **عبر نستخلصها من قصّة سارة – رضي الله عنها:**
- المطّلع علىٰ قصّة السيّدة سارة – رضي الله عنها – يجد أنها لم تكن إنسانة غير عادية، إلاّ أنّ الإيمان كان قويّـًا في قلبها، إيمانها بالله تعالىٰ خالقها وبدينه الحنيف، وكذلك إيمانها بصدق رسالة زوجها سيّدنا إبراهيم – عليه السلام – كانت السيّده سارة – رضي الله عنها – نِعمَ الزوجة المطيعة الوفيّة... سافرت مع زوجها واحتملت مشاقّ السفر للدعوة إلىٰ دين الله تعالىٰ بصبر وثبات ... لم تتأفّف ... ولم تخذله . بل وقفت معه تؤازره وتشدّ من عضده...
- وكانت تؤمن بالله تعالىٰ إيمانـًا شديداً وتلجأ إليه، وذلك في مصر مع الملك الظالم، لم تترك خوفها يشلّها عن التفكير، أو ببعدها عن التضرّع لله والالتجاء إليه، فهي عرفت الله تعالىٰ في الرخاء وعرفته في الشدّة، وهل هناك موقف أشدّ من موقفها – رضي الله عنها – مع ملك مصر الظالم؟
- التجأت إلىٰ الله تعالىٰ وهي علىٰ يقين أنّه سيساعدها، وسينقذها من بطش الظالم.
- أمّا موقفها – رضي الله عنها – مع السيّدة هاجر، وموافقتها زواج

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سيّدنا إبراهيم – عليه السلام – زوجها من امرأة أخرىٰ "السيّدة هاجر فهو موقف يدل علىٰ تفهّمها وكبر عقلها. فهي لم تدع الغيرة تقف حائلاً بينها وبين تحقيق حلم زوجها بأن يكون أبًا. بل نراها تغلبت علىٰ غيرتها وقدّمت له برضىٰ السيدة هاجر لتكون زوجه وأمًّا لولده، وهنا نلمس مدىٰ تضحية السيّدة سارة وتقديمها المصلحة العامة علىٰ مصلحتها الشخصيّة.

- فمَنْ مِنَ النساء اليوم تنسىٰ نفسها وغيرتها وتقبل بزواج زوجها من امرأة ثانية؟
- مَنْ مِنَ النساء اليوم تجعل مصلحة زوجها أوّلاً وتؤثرها علىٰ مصلحتها الشخصيّة؟
- مَنْ مِنَ النساء من تؤازر زوجها وتقف معه في سرّائه وضرائه دون تململ أو منّة؟

قصة السيّدة سارة – رضي الله عنها – مجموعة دروس، علىٰ المسلمة أن تعيها وتحفظها و تجعلها منهجًا لها في حياتها الزوجيّة.

أما ذكر سارة – رضي الله عنها – في القرآن الكريم فكان:

أولاً في سورة هود قصته مع الملائكة: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾[1].

أما في سورة الحجر فقال تعالىٰ: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

وفي سورة الذاريات: قال تعالىٰ: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

إسحاق – عليه السلام – هو الابن الثاني لإبراهيم – عليه السلام – وقد بشره الله به ووهبه له علىٰ الكبر، ولما بشر به كان إبراهيم – عليه السلام – مقيمًا في فلسطين، وكان شيخًا كبيراً، وامرأته سارة عجوز عقيم.

وقد أرسل الله لإبراهيم نفراً من الملائكة، في صورة رجال، فلم يعرف إبراهيم حقيقتهم، وظنّهم ضيوفًا، وقدّم لهم الطعام، فلم يأكلوا منه، وأخبروه عن مهمّتهم، وبشّروه بإسحاق نبيًّا من الصالحين[4].

---

(١) سورة هود، الآيات: ٦٩-٧٣.

(٢) سورة الحجرات، الآيات: ٥١-٥٦.

(٣) سورة الذاريات، الآيات: ٢٤-٣٠.

(٤) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ط٢، المجلد الأول، ص ٤١١ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما قصة سارة – رضي الله عنها – في سورة هود:

سورة هود تنزّلت علىٰ قلب رسول الله ﷺ في مكة، بعدما أُمِرَ رسول الله ﷺ بالجهر بالدعوة إلىٰ الله لأهل مكة جميعـًا، وموضوعات سورة هود هي في صميم العقيدة، وموقف أهل قريش في ذلك الوقت، ومن هم علىٰ شاكلتهم في يومنا هذا، هو موقف المعاند المكابر والكافر الجاحد لأمر الله تعالىٰ.

❊❊❊

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث:
قصة هاجر -رضي الله عنها:

أما قصّة هاجر – رضي الله عنها – فقد وردت في أحاديث رسول الله ﷺ وذُكِرَ في القرآن الكريم قصة سيدنا اسماعيل – عليه السلام – حين قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ [1].

عاشر إبراهيم – عليه السلام – جاريته هاجر، وقدّر الله أن تحمل منه، فولدت له ابنه البكر إسماعيل. بعدما أنجبت له هاجر إسماعيل في فلسطين، أمر الله إبراهيم – عليه الصلاة والتسليم – أن يأخذ الرضيع وأمه إلىٰ بلاد الحجاز، وأن يضعهما هناك في وادٍ غير ذي زرع، لأمر يريده الله سبحانه.

وإبراهيم – عليه السلام – منفّذ لأوامر الله، ملتزم بها، لا يخالفها ولا يخرج عليها، كما أنه مستسلم لله، متوكّل عليه واثق به، مفوّض أمره إليه.

توجه إبراهيم – عليه السلام – بهاجر وإسماعيل، ووضعهما في بلاد الحجاز، في واد غير ذي زرع، تنفيذاً لأمر الله، ولمّا غادرها توجه إلىٰ الله، ودعاه خاشعاً منيباً، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

الراجح أن البيت الحرام لم يكن قد بني، عندما وضع إبراهيم هاجر وإسماعيل في تلك البقعة، وأن البلد لم يكن قد وجد، لعلّ الله هو الذي أخبره بأنه سيكون أفضل وأشرف مكان علىٰ وجه الأرض، وعند ذلك دعا الله بهذا الدعاء. لقد كان واديًا قفرا خاليًا من الزرع، وخاليًا من الماء، وخاليًا من الأشجار المثمرة، وخاليًا من الناس، ولم تكن به مظاهر الحياة.

ويطلب إبراهيم من ربه أن يحوّله إلىٰ وادٍ مثمر فيه ماء، وفيه زرع، وفيه حياة، ويسكنه أناس ويقيمون فيه، واستجاب الله دعاء إبراهيم – عليه السلام.

روىٰ البخاري [2]في حديث طويل عن سعيد بن جبير: قال ابن عباس: أوّل ما اتخذ النساء المنطق[3]من قبل أم اسماعيل، اتخذت منطقًا لِتُعَفي أثرها علىٰ سارة، ثمّ جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه، حتىٰ وضعها عند البيت، عند دوحة [4] فوق زمزم في أعلىٰ المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندها جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثمّ قَفّىٰ إبراهيم منطلقًا، فتبعته أمّ اسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٥-٣٨.

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٣٦٣.

(٣) المنطق: الحزام الذي تشد به المرأة ثوبها علىٰ وسطها.

(٤) الدوحة شجرة صحراوية كبيرة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتتركنا بهذا الوا دي، الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آللهُ الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: اذن لا يضيّعنا، ثمّ رجعت.

فانطلق إبراهيم حتىٰ إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثمّ دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ حتىٰ بلغ: ﴿يَشۡكُرُونَ﴾ [1] وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتىٰ إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوىٰ، أو قال يتلبّط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، ثمّ استقبلت الوادي تنظر هل ترىٰ أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتىٰ إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود[2] حتىٰ جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترىٰ أحداً، ففعلت ذلك سبع مراتٍ.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**فذلك سعي الناس بينهما**» فلما أشرفت علىٰ المروة سمعت صوتاً فقالت: صه [3]– تريد نفسها – ثمّ تسمّعت، فسمعت أيضاً، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالمَلَكِ عند موضع زمزم، فبحث بعقبه [4]، أو قال: بجناحه، حتىٰ ظهر الماء، فجعلت تحوّضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «يرحم الله أمّ اسماعيل، لو تركت زمزم –

---

(١) سورة إبراهيم الآية: ٣٧.

(٢) الإنسان المجهود: الإنسان المتعب، الذي بذل جهداً شاقاً في أمر ما.

(٣) صه: كلمة تنبيه للانتباه والاستماع لمعرفة ماذا يحدث.

(٤) بعقبة: بحث بعقبة أو بجناحه: ضرب الأرض برجله أو بجناحه، فظهر ماء زمزم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أو قال: لو لم تغرف من الماء – لكانت زمزم معيناً [1]! قال : فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة[2]، فإنّ ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإنّ الله لا يضيّع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله.

فكانت كذلك حتىٰ مرّت بهم رفقة من جُرْهُمْ، أو أهل بيت من جرهم، مقبلين من طريق كداء[3]، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً[4]، فقالوا: إنّ هذا الطائر ليدور علىٰ الماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين[5] فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأم اسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت : نعم، ولكن لا حقّ لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «**فألفىٰ ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس**»[6] فنزلوا وأرسلوا أهليهم معهم، حتىٰ إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشبّ الغلام وتعلّم العربية منهم، وأنفسهم وأعجبهم حين شبّ فلما أدرك[7] زوجوه امرأة منهم.

وماتت أم اسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا (أي يطلب الرزق لنا).

---

(١) أي: لو أن هاجر لم تجمع ماء زمزم فيما يشبه الحوض، لكان زمزم عيناً جارية.

(٢) الضيعة: الهلاك والضياع والفناء.

(٣) كداء: هو ثنية (كدىٰ) التي في أعلىٰ مكة.

(٤) الطير العائق: هو الذي يحوم فوق الماء.

(٥) الجري: هو الرسول الذي يستطلع لأصحابه.

(٦) أي كانت تحب الاختلاط بالناس، ولا تحب العزلة والوحشة ففرحت بهم عندها .

(٧) لما أدرك: عندما كبر وبلغ مبلغ الرجال.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضيقٍ وشدّة، فشكت إليه.

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، وقولي له يغيّر عتبة بابه!!

فلما جاء إسماعيل كأنّه آنس شيئًا، فقال: هل جاءكم من أحد؟

قالت: نعم. جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنّا في جهد (التعب والضيق والضنك) ومشقّة.

قال: فهل أوصاك بشيء؟

قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: غَيِّرْ عتبة بابك.

قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك! اِلْحقي بأهلك. فطلّقها، وتزوّج منهم بأخرىٰ.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله. ثمّ أتاهم، فلم يجده فدخل علىٰ امرأته، فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغي لنا.

قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم.

فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت علىٰ الله.

فقال: ما طعامكم؟

قالت: اللحم.

قال: فما شرابكم؟

قالت: الماء.

قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال النبي ﷺ: ولم يكن لهم يومئذ حبّ (وهو القمح والشعير) ولو كان لهم لدعالهم فيه.

قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام، ومريه يثبت عتبة بابه!

فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟

قالت: نعم. أتانا شيخ حسن الهيئة – وأثنت عليه – فسألني عنك، فأخبرته، فسألني كيف عيشنا، فأخبرته أنّا بخير.

قال: فهل أوصاك بشيء؟

قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبّت عتبة بابك.

قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسك. ثم لبث عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلمّا رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا اسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربّك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتًا، وأشار إلىٰ أكمة مرتفعة علىٰ ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتىٰ إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال: فجعلا يبنيان حتىٰ يدورا حول البيت وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [1][2].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٣٦٤. كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول ﴿يزفون﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العبر من قصّة السيّدة هاجر – رضي الله عنها:

نستخلص من قصّة السيّدة هاجر – رضي الله عنها – أموراً عديدة منها:

- أنها إنسانة متواضعة لم ترفض أن تكون زوجة ثانية وهي تعرف عظم حبّ واحترام سيّدنا إبراهيم –عليه السلام– لزوجه سارة، بل وافقت وآثرت المصلحة العامة علىٰ المصلحة الخاصة، وقمعت الغيرة التي تنتاب المرأة في مثل هذه المواقف.
- إنّها إنسانة ذات إيمان شديد، فهي ما إن علمت أنّ الله تعالىٰ هو من أمر نبيّه إبراهيم عليه السلام بأخذها وابنها إلىٰ مكة وتركهما في أرض غير ذي زرع حتّىٰ ارتاحت وأيقنت أنّ الله تعالىٰ لن يضيّعهما.
- إنّها امرأة لا تعرف اليأس، لا تستسلم بسهولة، حيث سعت سبع مرات بين الجبلين الصفا والمروة وهي في حالة من التعب والعطش بحثًا عن مساعد ومعين.

هاذان نموذجان من نساء مؤمنات: الزوجة الصالحة، والجارية الصالحة، حتىٰ لا تكون لك حجة أيّتها المرأة إن كنت في أي موقع من هذه الواقعة، فالمرأة المؤمنة بالله هي المرأة ذاتها تؤمن بالله وتتوكل علىٰ الله وتصبر علىٰ قلة المال والمتاع في الحياة الدنيا... فأين أنت من هذه القَصص؟

❊❊❊

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثالث:
في عهد موسى – عليه السلام

المبحث الأول: مقدمة.

المبحث الثاني: أم موسىٰ وأخته وامرأة فرعون وماشطة ابنة فرعون.

المبحث الثالث: بنتا الرجل الصالح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول:

المقدمة

قبل بدء الحديث عن أم موسىٰ، سنتحدث عن الفترة الزمنية التي عاشها بنو إسرائيل، والسبب في وجودهم في مصر.

بشارة الملائكة لإبراهيم وسارة – عليهما السلام – باسحاق ويعقوب – عليهما السلام – هذا فضل الله – عزّ وجلّ – علىٰ أهل بيت إبراهيم – عليه السلام – لأنهم من أفضل الناس عند الله، وهذا البيت من أشرف البيوت وأكرمها عند الله، لأنه بيت النبوّة والدعوة والعبادة والطاعة [1].

قال تعالىٰ: {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾}[2].

لقد بشّرت الملائكة سارة أنها سترزق ابنها اسحاق، وهؤلاء الأنبياء كرام، الأب والابن والحفيد وابن الحفيد، روىٰ البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: أكرم الناس أتقاهم.

---

(١) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، المجلد الثاني، ص٤٥، بتصرف.

(٢) سورة هود، الآيات: ٧١-٧٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فقالوا: ليس عن هذا نسألك.

قال: فأكرم الناس: يوسف نبيُّ الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله[1].

وهب الله – عزّ وجلّ – إسحاق لإبراهيم –عليه السلام – علىٰ الكبر وطمأن الله – عزّ وجلّ – إبراهيم وسارة – عليهما السلام – أنهما سيعيشان إلىٰ أن يكبر إسحاق – عليه السلام – وسيشبّ الحفيد في حضن جدّيه –عليهما الصلاة والسلام – فهذا من كمال فضل الله علىٰ إبراهيم –عليه السلام.

أما يعقوب – عليه السلام – فلقّب باسم اسرائيل حيث ذكر اسم إسرائيل في القرآن مرتين:

المرة الأولىٰ: في سورة مريم، عند الحديث عن شجرة النبوّة، المتفرّعة عن إبراهيم وعن يعقوب – عليهما السلام: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾[2].

المرة الثانية: في سورة آل عمران:

﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾[3].

أمّا مناسبة نزول هذه الآية، فقد روىٰ الترمذي وأحمد عن ابن عباس

---

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٣٥٣، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رضي الله عنهما قال: حضرت عصابة من اليهود نبيّ الله يومـًا فقالوا: يا أبا القاسم، حَدِّثنا عن خِلالٍ نسألك عنهن، لا يعلمهنّ إلا نبيّ.

قال: سلوني عمّا شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمّة الله، وما أخذَ يعقوب علىٰ بنيه، لئن حدّثتكم شيئـًا فعرفتموه لتبايِعُنّي علىٰ الإسلام.

قالوا: فذلك لك.

قال: فسلوني عمّا شئتم.

قالوا: أخبرنا عن أربع خلالٍ نسألك عنهنّ: أخبرنا أيّ الطعام حرّم إسرائيل علىٰ نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء الرجل وماء المرأة، وكيف يكون الذكر منه؟ وأخبرنا كيف هذا النبيّ الأميّ في النوم؟ ومن وليّه من الملائكة؟

قال: فعليكم عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم لتتابِعُنّي!

فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق.

قال: فأنشدكم بالذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ – عليه السلام: هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب – عليه السلام – مرِض مرضـًا شديداً، وطال سقمه، فنذر لله نذراً، لئن شفاه الله من سقمه، ليحرِّمنَّ أحبَّ الشراب إليه، وأحب الطعام إليه، وكان أحبّ الطعام إليه لحم الإبل، وأحبُّ الشرابِ إليه ألبانها؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: اللهم أشهد عليهم. فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ: هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وأن ماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، إن علا ماء الرجل علىٰ ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله، وإن علا ماء المرأة علىٰ ماء الرجل كان أنثىٰ بإذن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: اللهم أشهد عليهم، فأنشدكم بالذي أنزل التوراة علىٰ موسىٰ: هل تعلمون أن هذا النبيّ الأميّ تنام عيناه ولا ينام قلبه؟

قالوا: اللهم نعم.

ثم قالوا:وأنت الآن حدّثنا من وليُّك من الملائكة؟

فعندها نجامعك أو نفارقك.

قال: فإن وليّي جبريل – عليه السلام – ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليّه.

قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليُّك سواه من الملائكة لتابعناك وصدّقناك!!

قال: فما يمنعكم من أن تصدّقوه؟

قالوا: إنه عدوّنا.

قال ابن عباس: فعند ذلك قال الله – عزّ وجلّ: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدًى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾[1][2].

يعقوب – عليه السلام – هو الفرع الثاني لنبوّة إبراهيم – عليه السلام – قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[3].

ذكرت الآية أربعة أنبياء: آدم ونوح وإبراهيم وإسرائيل – عليهم السلام – أجمعين.

وذكر آدم – عليه السلام – باعتباره أبا البشر.

وذكر نوح – عليه السلام – باعتباره أبا البشرية الثاني بعد الطوفان.

وذكر إبراهيم – عليه السلام – لأنّ النبوة انتهت إليه، وشجرة النبوة استقرّت عنده، فهو أبو الأنبياء وقد تفرّع من شجرة النبوّة فرعان.

الفرع الإسماعيلي: المتمثّل في اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام – وهذا الفرع خُتم بخاتم الأنبياء والمرسلين رسول الله محمد ﷺ سيّد ولد اسماعيل، بل سيد ولد آدم، بل أفضل المخلوقين جميعًا، وأحبّهم إلىٰ الله.

والفرع الإسرائيلي: المتمثّل بإسرائيل – يعقوب – حفيد إبراهيم –عليهما الصلاة والسلام – وهو أبو بني إسرائيل، وأصل أسباطهم، وكلُّ أنبيائهم من أبناء يعقوب حتىٰ عيسىٰ ابن مريم – عليهم الصلاة والسلام – فهو من ذرّيّة إسرائيل من جهة الأم، لأنه لا أبَ له، يعقوب – عليه السلام – ولد في الأرض

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٩٧-١٠١.

(٢) أخرجه الترمذي مختصراً رقم: ٥١٢١ وأحمد: ١: ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٥٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقدّسة فلسطين، ونشأ وشبّ بها. وكانت ولادته وطفولته في حياة جدّه إبراهيم – عليه السلام.

وتزوج وأنجب أبناءَه وهو في الأرض المقدسة. وأبناؤه الذكر، اثنا عشر ولداً، نعرف منهم نبي الله يوسف – عليه السلام.

وعندما حصل مع يوسف وإخوته ما حصل له وانتقل يوسف – عليه السلام – إلىٰ مصر وعاش في قصر عزيز مصر، وما حدث في النهاية من لقاء جمع بين يوسف وأبيه في مصر، وهذا هو سبب انتقال يعقوب – عليه السلام – إلىٰ مصر، وبقي يعقوب – عليه السلام – مقيماً مع أبنائه في مصر إلىٰ أن توفاه الله وعند وفاته أوصي بنيه بالإسلام، قال تعالىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[1].

وذلك عند وفاة[2] يعقوب – عليه السلام – حين أراد الاطمئنان علىٰ دين وعبادةِ أبنائه، بعد وفاته. فيأتيه الجواب المطمئن من أبنائه، ونحن له مسلمون. أي نحن مستسلمون لله، خاضعون لله، داخلون في دين الله، ملتزمون لطاعة الله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

هذه وصيّة يعقوب – عليه السلام – لتكون علماً لبنيه:

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٣٢-١٣٤.

(٢) الحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن، ل.ت ص١٣ – ١٨، وصلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل، المجلد الثاني، ص ٦٨- ٧٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوصيّة التي كرّرها يعقوب في آخر لحظات حياته، والتي كانت شغله الشاغل الذي لم يصرفه عنه الموت وسكراته، فلتسمعها البشرية كلها، وليسمعها بنو إسرائيل بقلوب مفتوحة. ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[1].

إنه الإسلام... هو ملّة إبراهيم ويعقوب. والإسلام هو دين بني إسرائيل حين قالوا عند عبادتهم نعبد إلها واحداً ونحن له مسلمون . صورة التوحيد المطلق الناصع القاطع.. الإسلام هو الإستسلام المطلق لما شرع الله – عزّ وجلّ – هو الطاعة والإتباع، هو تحكيم الله في أمور العباد، وقيام الحياة البشرية علىٰ اتباع هذا الدين في كل شؤون حياتهم.

هذا المشهد بين يعقوب – عليه السلام – وبنيه في لحظة الموت والاحتضار مشهد عظيم الدلالة، قوي الإيحاء، عميق التأثير... مشهد ميّت يحتضر. فما هي القضيّة التي تشغل باله في ساعة الاحتضار؟ ما هو الشاغل الذي يعني خاطره وهو في سكرات الموت؟ ماهو الأمر الجلل الذي يريد أن يطمئن عليه ويستوثق به؟ ما هي التركة التي يريد أن يخلّفها لأبنائه ويحرص علىٰ سلامة وصولها إليهم فيسلمها لهم في محضر، يسجل فيه كل التفصيلات؟

إنها العقيدة.. هي التركة.. وهي الذخر. وهي القضية الكبرىٰ، وهي الشغل الشاغل، وهي الأمر الجلل، الذي لا تشغل عنه سكرات الموت وصراعاته: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾.

ومن أهمّ معالم سيرة يعقوب – عليه السلام – هو التعليم والتربية، فقد

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كان صلب العقيدة، ثابتاً علىٰ المحن والخطوب، عاش لدينه ودعوته، وكان هدفه – كسائر الأنبياء – هو تصحيح العقيدة في الله تعالىٰ، وتصحيح الصلة بين العبد وربّه، والدعوة إلىٰ إخلاص الدين، وإفراد العبادة لله وحده، وأنه الأحد – سبحانه – المستحقّ للعبادة والتوجّه والدعاء والإلتجاء، وكانت مهمة يعقوب – عليه السلام – العقيدة الناصعة والعبودية لله وحده: ﴿ **مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى** ﴾ ، إنّ محاربة الشرك بكلّ صوره وألوانه ومراتبه كانت هدف يعقوب – عليه السلام – هدف النبوّة الأساسي، وأساس دعوة الأنبياء، منها يبدأون وإليها ينتهون: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

لقد أشار القرآن الكريم إلىٰ وصيّة يعقوب – عليه السلام – لتكون عَلَماً لبنيه: بني إسرائيل علىٰ مرّ الزمان والأيام، فقد وضع لبني اسرائيل هذا الجيل البشري في تاريخه الطويل أسس الحق ودعائم التوحيد: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾ هكذا قال لبنيه حين حضره الموت.

وها هم أولاد يعقوب – بنو إسرائيل – يقولون بنص واضح لا لبس فيه ولا غموض: يعبدون إلها واحداً هو إله إسرائيل وإله آبائه إبراهيم واسماعيل واسحاق: ﴿ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

الإسلام: طاعة واتباع وتحكيم وقيام الحياة البشرية علىٰ الدينونة لله وحده في كل شؤون الحياة، في الاعتقاد والتصوّر، وفي الشعائر والمناسك، وفي الأخلاق والسلوك، والقيم والموازين، وفي كلّ جانب الحياة الفرديّة والجماعيّة علىٰ السواء، القاعدة الراسخة هي الالتجاء إلىٰ الله وحده، لا يجد سنداً إلا

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سنده... لا شيء إلا الله. لا قوة إلا قوته.. لا حول إلاّ حوله... لا إرادة إلاّ إرادته... لا ملجأ إلا إليه... عندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها التصور الصحيح.

فالخلق والأمر لله... كل شيء بإرادته ومشيئته، كلّنا لله... كلّ ما فينا ... كلّ كياننا وذاتياتنا لله ... وإليه المرجع والمآب في كل أمر وفي كل مصير... التسليم المطلق... فأولىٰ مراتب الإيمان الاعتقاد واليقين بأنّ الحول والقوّة والحركة كلّها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه الحقيقة الضخمة هي التي عني القرآن بتقريرها في نفوس المؤمنين حتىٰ تستقرّ في كلّ نفس، وتعمر كلّ قلب. وتختلط بالدم وتجري في العروق، لقد كان يعقوب – عليه السلام – مثلاً لهذه الحقيقة الإيمانية.

ها هو يعقوب – عليه السلام – يقول لبنيه بعد أن أخذ موثقًا من الله عليهم أن يعودوا بأخيهم في رحلتهم إلىٰ مصر بعد أن منع منهم الكيل: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾[1].

... إن الحكم إلا لله عليه توكّلت وعليه فليتوكّل المتوكّلون... إنها كلمة المطمئن، المؤمن بالله وحده هو المتصرف، المؤمن الذي يشعر بأن الحكم لله وحده، قلب موصول بالله لا يخطئ الشعور بوجوده سبحانه. فالمؤمن لا يرجو سوىٰ الله، ولا يقصد إلا إياه، ولا يلوذ إلا بجنابه، ولا يرغب إلا إليه، ويعلم أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يكون... وأنه المتصرّف في الملك لا شريك له ﴿إن الحكم إلا لله﴾ ولا معقّب لحكمه، ومن ثمّ كان التوكّل عليه هو

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جماع الإيمان، ذلك هو نبي الله اسرائيل – يعقوب عليه السلام – الذي تشرّفت الأرض بدعوته ويقينه، وتشرّف المؤمنون بالانتساب إليه، فقد أكرمه الله أن جعل ذرّيته أئمة الهدىٰ والتقىٰ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[1] .

لقد اصطفىٰ الله سبحانه بني إسرائيل، وجعلهم ملوكـًا، وآتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، فقد اتبعوا سبل السلام، واقتفوا خطوات أبيهم النبي الإمام، قال تعالىٰ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾[2] .

وهكذا يطوي يعقوب حياته، فقد صَدَقَ الله قولاً وفعلاً، كان مستسلمـًا لمشيئة ربّه وقدره، ثمّ حمل بنو إسرائيل هذا الميراث الإيماني العظيم إلىٰ العالمين... ومكّن الله لبني إسرائيل في الأرض، بدأ هذا الفضل الإلهي في حياتهم منذ قدومهم إلىٰ يوسف – عليه السلام – في مصر، وعاش بنو إسرائيل في رعاية الله ورحمته، عاشوا في عزّ وكرامة، فقد حقّقوا في حياتهم منهج الله الممثّل فيما أنزل عليهم من التعاليم الإلهية، كما أنزلها الله، فصلحت حياتهم وفاضت عليهم البركات والأرزاق.

قد أقاموا فترة من الزمن معزّزين مكرّمين من قِبَل المصريّين، إلىٰ أن توفي يوسف – عليه السلام – واستمر بنو اسرائيل في التناسل والتكاثر في مصر، وجاءت منهم أجيال جديدة، وحدثت في مصر حوادث جديدة، أدّت إلىٰ قيام الفراعنة باضطهاد بني اسرائيل وتعذيبهم.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥٣.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه الفترة بين موسىٰ – عليه السلام – وبين يوسف – عليه السلام – مسكوت عنها في مصادرنا الإسلامية الموثوقة [1].

تغيير لقب الحاكم من ملك إلىٰ فرعون:

وممّا يلفت النظر أن آيات القرآن أشارت إلىٰ تغيير نظام الحكم في مصر من خلال إخبارها حاكم مصر، حيث كان يلقب حاكم مصر زمن يوسف – عليه السلام – بلقب ملك، واستمر اللقب فترة بعد وفاة يوسف –عليه السلام– ولا نعرف عدد الملوك الذين حكموا مصر في هذه الأثناء كما أننا لا نعرف أسماء هؤلاء الملوك.

ولمّا أخبرت آيات القرآن عن اضطهاد بني اسرائيل بعد ذلك أطلقت علىٰ الحاكم لقب "فرعون" يقول المؤرخون أنّ لقب ملك كلمة عربية أصيلة، ولعل إطلاقها علىٰ حاكم مصر زمن يوسف عليه السلام دليل علىٰ أن حكام مصر وقتها كانوا عربـًا.

أما " فرعون" فإنها كلمة أعجمية، ولعلّ إطلاقها علىٰ حاكم مصر زمن اضطهاد بني إسرائيل، دليل علىٰ عودة حكم مصر إلىٰ الفراعنة! والله أعلم [2].

كان فرعون[3]مصابـًا بمرض نفسي، يصيب القادة والحكام، عندما يبتعدون عن الله، ولا يدينون بدين الحق، إنه مرض الكبر والتفاخر إنه مرض الفرعونيّة!!

---

(١) الحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن ، ل ت، ص ١٤-١٦، بتصرف، والخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، الجزء الثاني، ص٦٨-٧٠، بتصرف.

(٢) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، القصص القرآني، المجلد الثاني، ص٢٦٠-٢٦١.

(٣) الحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن ، ص٣٠-٣٨، بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إنّ هؤلاء يرون أنفسهم حكاماً مسؤولين، آمرين ناهين، ويرون الآخرين أذلّاء مستسلمين، فينسون أنهم بشر كباقي البشر، وأنّ حكمهم للآخرين فرصة لخدمتهم وتقديم الخير لهم، وعندما ينسون ذلك تسوّل لهم أنفسهم أنهم آلهة وأرباب، فيدعون أتباعهم إلىٰ تأليههم وعبادتهم، ويتعاملون معهم بمنتهىٰ درجات الازدراء والاستخفاف والاحتقار!

لقد آتىٰ الله بني إسرائيل من نعمته مالم يؤت أحداً من العاملين ورزقهم من فضله فجعلهم سادة الدنيا وملوكها، فقد مكّن لهم في الأرض وجعلهم خلائف فيها... وهذا كله إنما أعطاه الله لهم ابتلاءً منه وامتحاناً، لينظر أيشكرون أم يكفرون؟ لكنهم كفروا بنعمة الله ولم يشكروا فضله، وطغوا وبغوا بما أُعطوا، واستولت عليهم الدنيا، وغرّهم بالله الغرور، وقست قلوبهم، وزاغوا، وانحرفوا، وضلوا، وفسقوا، وظلموا، .... فماذا كان؟

والله سبحانه قد وضع سنته في عباده يمضي بها قدره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٥٣﴾﴾[1].

إنها سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً. ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] عدل الله في معاملة العباد، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيّروا نواياهم، ويبدّلوا سلوكهم، ويقلبوا أوضاعهم ويستحقّوا أن يُغَيّر ما بهم ممّا أعطاهم إياه للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يقدّروها ولم يشكروها ﴿ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا

(١) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

ها هم أولاء بنو إسرائيل الذين وهبوا نعمة الله من الإيمان، والعزّ بسلطان الله، فإذا هم يتركون هذا كله، ويدانوا لسلطان شهواتهم وأهوائهم، ونبذوا شرع الله ومنهجه في حياتهم... ها هم أولاء يهوون من تلك العلياء التي رفعهم الله إليها، فهم في ظلم وعتوّ وإنحراف، تراكمت علىٰ قلوبهم الأوزار الكبار ففسدت أفئدتهم وجرىٰ في عروقهم الظلم والفسوق والعصيان، فخوت أرواحهم، وطمست قلوبهم، ففقدت النور ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾[2].

عاشوا للدنيا في بذخ وترف، فانطفأت شعلة الحقّ في وجدانهم، وآثروا الهوىٰ علىٰ الإيمان، والظلمات علىٰ النور... لقد امتلأت مصر ببني اسرائيل فإذا هم عددهم كثير ، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، يلهثون وراء المال والهوىٰ، يفرقون قلوبهم من الموت.

لما انتقل الحكم في مصر إلىٰ الفراعنة، قام فرعون باضطهاد بني أسرائيل وتعذيبهم، وكان بنو إسرائيل في مصر مؤمنيين بالله، موحدين له بينما كان المصريون كافرين مشركين بالله، يعبدون الأوثان والأصنام ويعتبرون فرعون نفسه إلهاً، قال تعالىٰ: ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾[3]، أراد فرعون استعباد بني إسرائيل، وأراد أن يبقيهم عبيداً له ولقومه، يخدمونهم،

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١١.
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٩.
(٣) سورة القصص، الآيات: ١-٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويعملون لهم، وأراد أن لا يكون لهم وجود ولا كيان ولا تمكين ولذلك كان يذبح أبناءهم، ويستحي نساءهم.

إنّ حلقة مولد موسىٰ – عليه السلام – وما أحاط بهذا المولد من ظروف قاسية في ظاهرها، وما صاحبها من رعاية الله وعنايته تكشف عن تحدّي قدرة الله – عزّ وجلّ – للطغيان الباغي. وفيها يتجلّىٰ ضعف قوّة فرعون وحيلته وحَذَره عن دفع القدر المحتوم والقضاء النافذ ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾[1].

ولا يعرف علىٰ وجه التحديد من هو فرعون الذي تجري حوادث القصة في عهده، فالتحديد التاريخي ليس هدفًا من أهداف القصّة في عهده، فالتحديد التاريخي ليس هدفًا من أهداف القصة القرآنية، ولا يزيد في دلالتها شيئًا. ويكفي أن نعلم أن هذا كان بعد زمان يوسف – عليه السلام.

هذه هي الظروف التي تجري فيها قصة موسىٰ – عليه السلام – عند ولادته، كما وردت في سورة القَصص.

ولكنها إرادة الله، قال تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[2].

أراد الله أن يمنَّ علىٰ بني إسرائيل المستضعفين عند فرعون ويحوّلهم من حالة الاستضعاف علىٰ يد فرعون وآله، إلىٰ حالة التمكين في الأرض، ليكونوا أئمّة وقادة للآخرين، يقودونهم، إلىٰ الخير، ويؤمّنونهم في الدين، ويكونون

(١) سورة القصص، الآية: ٦.

(٢) سورة القصص، الآيتان: ٥، ٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وارثين، يرثون فرعون وآله وقومه. فالمسلم – كما أراد له الإسلام – عزيز، وهو خليفة مكرّم، وعبوديّته لله هي مثار عزّة وكرامة، لأنها تعبير عن إرادة حرّة في معرفة الحقّ واتباع طريقه المستقيم، فالإنسان هو عبد لله تعالىٰ، والعبد في طاعة الله هو في تعبيد النفس لطاعة الله –عزّ وجلّ–فالعبادة في المفهوم اللغوي العام: سلوك إراديّ نفسيّ أو ظاهر ذو دوافع باطنة يقصد به إرضاء معبودٍ يرىٰ عابده فيه أنّه الربّ وحده لا شريك له المستحق للطاعة بغاية الخضوع والتذلّل، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۝٤٥ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ۝٤٦ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ۝٤٧﴾[1] [المؤمنون: ٤٥ – ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٢٢﴾[2].

***

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني:

أم موسى وأخته وأمرأة فرعون وماشطة ابنة فرعون [1]

لقد ذكرت الآيات القرآنية قصة موسىٰ – عليه السلام – وفيها ثلاث نساء هنَّ أم موسىٰ وأمرأة فرعون وأخت موسىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٤ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ۝٦﴾[2] .

لقد ولد موسىٰ في ظل تلك الأوضاع القاسية، ولد والخطر محدق به، والموت يتلفّت عليه، والشفرة مشرعة علىٰ عنقه، تهمّ أن تحتزَّ رأسه.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ﴾[3] .

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، قصص القرآني، المجلد الثاني، ص ٢٧٩ – ٢٩٢ بتصرف، والحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن ، ص ٣٨ – ٤٥ بتصرف.

(٢) سورة القصص، الآيات: ١-٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ها هي أمّه حائرة به، خائفة عليه، تخشىٰ أن يصل نبؤه إلىٰ الجلّادين، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطريّ، حينها ألهمها الله تعالىٰ أن أرضعيه فإن خفت عليه فألقيه في اليمّ.

ماذا أوحىٰ الله – عزّ وجلّ – لقد ألهمها أن تقوم بهذا التصرف، وهذا هو وازع الخير، الإلهام من الله – عزّ وجلّ – وألهمها الله بـ خبرين وأمرين ونهين وبشارتين.

الخبران: أوحينا، إذا خفت عليه.

الأمران: أرضعيه، ألقيه في اليم.

النهيان: لا تخافي، لا تحزني.

البشارتان: إنا رادّوه إليك، جاعلوه من المرسلين.

إن الله لم يضمن لأم موسىٰ حياة ابنها فقط، بل ضمن لها أن يعود إليها وأن يعيش، حتىٰ يكبر، وأن يكون نبيًّا.

أما في سورة طه، فقال تعالىٰ: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ۝٣٩﴾[1].

وفي هذه الآية يلهم الله عزّ وجلّ – أم موسىٰ بالتصرّف في شأن وليدها، ويدلّها علىٰ الطريقة التي يتمّ بها حفظه.

يا الله! يا للقدرة! يا أم موسىٰ أرضعيه. فإذا خفت عليه وهو في حضنك.

(١) سورة طه، الآيتان: ٣٨، ٣٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهو في رعايتك له وفي فمه ثديك، وهو تحت عينيك، إذا خفت عليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾[1]!!

﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾[2] إنه هنا.. في اليمّ.. في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها، اليد التي لا خوف معها. اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها. اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً، وتجعل البحر مَلجأومناماً. اليد التي لا يَجرؤ فرعون الطاغية الجبّار ولا جبابرة الأرض جميعاً أن يدنو من حماها الآمن العزيز الجناب.

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ .. فلا خوف علىٰ حياته ولا حُزن علىٰ بُعده ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3] ، وتلك بشارة الغد، ووعد الله أصدق القائلين.

وحين بشر الله موسىٰ بالرسالة قال له مذكراً:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾[4].

لقد صُنِعَ موسىٰ علىٰ عين الله منذ زمان، وادَّرَّبَ علىٰ المشاقّ وهو طفل رضيع، ورافقته العناية وسَهِرَتْ عليه وهو صغير ضعيف، وكان تحت سلطان فرعون وفي مُتناوله وهو مُجردٌ من كل عدّة ومن كلّ قوّة مع ذلك لم تمتدّ إليه يد فرعون.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧.

(٤) سورة طه: الآيات: ٣٧-٣٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد منّنا عليك إذ أوحينا إلىٰ أمّك ما يوحىٰ وألهمناها ما يلهم في مثل حالها.. ذلك الإلهام:

﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾.

وانطلق الماء بموسىٰ يرفعه الموج تارة ويخفضه أخرىٰ، أين يذهب التابوت المقذوف فيه بالطفل المقذوف في اليمّ المُلقىٰ به علىٰ الساحل؟ ومَنْ يَتسلَّمه؟ ﴿ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾[1].

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾، ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[2].

لقد أرادت القدرة الآلهية أن يربّي فرعون طفلاً يذهب ملكه علىٰ يده ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[3].

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾[4].

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١﴾[5].

لقد سمعت الإيحاء، وألقت بطفلها إلىٰ الماء، ولكن أين هو يا ترىٰ؟ وماذا فعلت به الأمواج؟ ولعلها سألت نفسها: كيف؟ كيف أمنت علىٰ فلذة

---

(١) سورة طه، الآية: ٣٨.
(٢) سورة طه، الآية: ٣٩.
(٣) سورة القصص، الآية: ٨.
(٤) سورة القصص، الآية: ٩.
(٥) سورة القصص، الآيتان: ١٠، ١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كبدي أن أقذف به في اليمّ؟ كيف فعلت ما لم تفعله أم من قبل؟ كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة؟ وكيف استسلمت لذلك الهاتف الغريب؟

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ .. وتذيع أمرها في الناس، وتهتف كالمجنونة: أنا أضعته، أن أضعت طفلي، أنا ألقيت به في اليمّ إتباعاً لهاتف غريب!

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.. وشددنا عليه وثبّتناها، وأمسكنا بها من الهيام والشرود.

﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.. من المؤمنين بوعد الله، الصابرين علىٰ ابتلائه، السائرين علىٰ هداه.

هذه هي قصّة أمّ موسىٰ التي اتبعت إلهام ربّها في ما آتاها فاتبعت ما ألهمها الله به من قذفه في اليمّ، ولأنها من المؤمنين، صبرت علىٰ الابتلاء، وجزاء الصبر وعد من الله – عزّ وجل – أنه سيردّه إليها ليكبر في حضنها وسيكون نبيّاً: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

هذه هي قصّة أم موسىٰ – عليه السلام – أين نحن الآن من مثل تلك الأم المؤمنة؟ وهل يمكننا أن نفعل مثل ما فعلت؟ وهل هذا القلب سليم مستعد إلىٰ تلقي إلهام الله – عزّ وجلّ – المعين علىٰ نوائب هذه الدنيا.

أين نحن الآن من المرأة التي تخاف علىٰ ابنها من كيد أعدائه؟ هل جهزت نفسك لمثل هذا اليوم؟ هل استعدت نفسك كي تستسلم لأمرالله وأن تلقىٰ بإبنك في النار، ليكون جنديّاً من جنود الله. هل ربّيت وليدك علىٰ طاعة الله وعلىٰ اتباع منهج الله؟؟

فوضع الأمة اليوم وحالها هو نفسه، استولت عليهم الدنيا، وغرّهم بالله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغرور، وقست قلوبهم، وزاغوا، وانحرفوا، وضلّوا، وفسقوا، وظلموا، وابتعدوا عن تطبيق منهج الله، حينما سأل إبراهيم –عليه السلام– الإمامة في ذرّيّته، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

إنّ الإمامة[2] في ذرّيتك لمن يستحقّها بالعمل والشعور، وبالإصلاح والإيمان، وليست وراثة أصلاب وأنساب، فالقربىٰ ليست وراثة أصلاب وأنساب، والقربىٰ ليست وشيجة لحم ودم، إنما هي وشيجة دين وعقيدة. أمّا دعوىٰ القرابة والدم والجنس والقوم فما هي إلا دعوىٰ الجاهلية التي تصطدم اصطداماً أساسياً بالتصوّر الإيمانيّ الصحيح.

فالإمامة ممنوعة علىٰ الظالمين، ممنوعة علىٰ المنحرفين، ممنوعة علىٰ الفاسقين، ممنوعة علىٰ الظالمين، فمن ظلم – أي لون من الظلم – ومن انحرف عن دين الله وبدّل، ومن فسق عن منهج الله وشريعته، ومن ضلّ عن الحقّ والتوىٰ، فقد جرّد نفسه من حقّ الإمامة، وأسقط حقّه فيها، بكل معنىٰ من معانيها: إمامة الرسالة، وإمامة الخلافة، وإمامة الصلاة، وكل معنىٰ من معاني الإمامة والقيادة...

وهذا الذي قاله الله تعالىٰ لإبراهيم – عليه السلام – ولكلّ ذريّته من بعده، إنّها سنّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً... وهي عدل الله في معاملة العباد ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، قصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الجزء الأول، ص٤٤٤ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

*****

(١) سورة الروم، الآيات: ٤١-٤٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قصة أخت موسى عليه السلام[1]

ولم تسكت أم موسىٰ عن البحث والمحاولة! ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[2].. اتبعي أثره، واعرفي خبره، إن كان حيًّا، أو أكلته دوابّ البحر أو وحوش البرّ... أو أين مقرّه ومرساه؟

وذهبت أخته تقصّ أثره في حذر وخفية، وتتلمّس خبره في الطُرق والأسواق. فإذا بها تكتشف وتعرف أين ساقته القُدرة التي ترعاه، إذ أبصرت به عن بُعد في أيدي خَدَم فرعون يبحثون له عن ثدي للرضاع:

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١١ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢﴾[3].

إن القدرة التي ترعاه تُدبّر أمره، وتكيد به لفرعون وآله، فتجعلهم يلتقطونه، وتجعلهم يحبّونه، وتجعلهم يبحثون له عن أمٍّ ترضعه، وحرّمت عليه، هذه القدرة، جميع المراضع المتوفّرة أمامهم، لتدعهم يحتارون به، وهو يرفض الثديّ كلما عُرض عليه من إحداهنّ، وهم يخشون عليه الموت أو الذبول! حتىٰ تبصر به أخته من بعيد، فتعرفه وتتيح لها القدرة فرصة لهفتهم علىٰ مرضع،

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، قصص القرآني، المجلد الثاني، ص ٣٠٤ بتصرف، والحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن، ص ٤٤-٤٥ بتصرف.

(٢) سورة القصص، الآيتا: ١١، ١٢.

(٣) سورة القصص، الآية: ١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فتقول لهم: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾؟ فيتلقفون كلماتها، وهم يستبشرون، يودّون لو تصدق بخبرها هذا فينجو الطفل العزيز المحبوب!.

﴿إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ﴾[1].

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[2].

امرأة فرعون:[3]

وفي القصّة نفسها نرىٰ موسىٰ الرسول الكريم بعد أن كبر، وخرج من قصر فرعون هاربـًا إلىٰ مدين وبعد عشر سنوات يقف أمام فرعون يدعوه إلىٰ الحقّ وإلىٰ صراط مستقيم فيستكبر الطاغية، ويُحاول صَرف الناس عن دراسة الفكرة بحيلة من الترف والغنىٰ وينادي هامان وزير السوء: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ﴾[4].

وفي هذه الموجة العاتية من الظلم والإرهاب كانت تعيش امراة أقرب ما تكون إلىٰ فرعون أنها زوجته. وهي أبعد ما تكون عنه لأنها مؤمنة!.

ولقد قامت هذه المرأة المؤمنة المخلصة بدور خطير في القصة.. فهي التي استقبلت موسىٰ حين كان وليداً..

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٠.

(٢) سورة القصص، الآية: ١٣.

(٣) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، قصص القرآني، المجلد الثاني، ص ٢٩٤- ٣٠٣ بتصرف، والحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن ، ص ٢١٩- ٢٢٨ بتصرف.

(٤) سورة غافر، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

استقبلته بروحها الزكية، استقبلته بالحبّ الحاني في قلب طاهر رقيق شفيق. وقالت لفرعون الطاغية – الذي سلّط الذبح والقتل علىٰ ذكور بني إسرائيل: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾[1]..

لقد ضمّته إلىٰ صدرها وليداً، وربّته في حجرها ابناً، ثم آمنت به نبياً ورسولاً، وأسلمت لله ربّ العالمين..

ها هي ذي ترىٰ الإيمان يمتحن أمامها فلا تملك دفع الضرّ عمّن يصيبهم، وتمدّ عينيها فلا ترىٰ إلا الفساد الشامل، فيضيق من حولها الفضاء العريض. ويضيق القصر الفسيح فلا ترىٰ فيه إلا قيداً يحول بينها وبين الحياة الطاهرة: هل تهرب إلىٰ المستضعفين!! وهم أضعف من أن يحموا أنفسهم فتجرّ عليهم غضباً جديداً يصبّه فرعون عليهم؟!

والمأثور عن امرأة فرعون أنها كانت مؤمنة عابدة في قصره – ولعلها كانت آسيوية من بقايا المؤمنين بدين سماوي قبل موسىٰ – وقد أحسّت المرأة غربتها في هذه الأرض، والمؤمنون في كل عصر غرباء... وقلّبت وجهها وروحها إلىٰ ربّ السماء.

ها هي ذي امرأة فرعون، لم يصدّها طوفان الكفر الذي تعيش فيه... في قصر فرعون... عن طلب النجاة وحدها... فرفعت عينيها إلىٰ السماوات العُلىٰ حيث الخلود وإلىٰ الجوار الذي لا يُغلب، وتطلعت إلىٰ الأفق الأعلىٰ وتمنّت علىٰ ربّها أن تهجر بيت الظلم علىٰ ما فيه من فخامة وعظمة زائلة. وفضلت جوار النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين فناجت ربّها بقلب مخلص: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ

(١) سورة القصص، الآية: ٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

لقد تبرّأت من قصر فرعون طالبة إلىٰ ربّها بيتاً في الجنّة، وتبرّأت من صلتها بفرعون فسألت ربّها النجاة منه. وتبرّأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيئ وهي ألصق الناس به: ﴿ونجنىٰ من فرعون وأهله﴾.. وتبرّأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.. ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء علىٰ عرض الحياة الدنيا في أزهىٰ صوره. فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ. في قصر فرعون، وهو أمتع مكان قد تجد فيه امرأة ما تشتهي.. ولكنها استعلت عن هذا بالإيمان. ولم تُعرض عن هذا العرض فحسب، بل اعتبرته شرّاً ودَنَساً وبلاءً تستعيذ بالله منه، وتتفلّت من عقاله، وتطلب النجاة منه!.

وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية. وهي نموذج عال في التجرد لله رغم كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوّقات، وكل هذه الهواتف، ومن ثم استحقت هذه الإشارة في كتاب الله الخالد الذي تتردّد كلماته في جنبات الكون وهي تتنزّل من الملأ الأعلىٰ: ﴿**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾**﴾[2].

وإفراد امرأة فرعون بالذكر هنا مع مريم ابنة عمران يدل علىٰ المكانة

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العالية التي جعلتها قرينة مريم في الذّكر. وهما الاثنتان نموذجان للمرأة المتُطهّرة المؤمنة المصدّقة القانتة لله، يضربهما الله للمؤمنات في كل جيل إلىٰ قيام الساعة.

ووسط الصورة التي رسمها الذهن للتدمير قال تعالىٰ: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [1]، نستطيع أن نتلمس كلمة طيّبة تتصاعد من امرأة فرعون تدعو ربّها أن يبني لها عنده بيتًا في الجنّة. لقد وصلت قلبها بالله في السرّ والخِفية.. وبالغيب الذي لا تطلّع عليه العيون... إنّ إيمانها الكبير، وإدراكها البصير هو الذي أهّلها لهذا الجزاء العظيم. ولقد بقيت هذه المؤمنة آية في عالم الجهاد وبقي بيتها في عالم الجزاء.

إنهما لصورتان متقابلتان: صورة الأمن والراحة. صورة الجنة.. صورة امرأة فرعون في بيتها العلويّ في الجوّ الحالم الراضي في سلام وأمن وسرور... وهو في ذاته نعيم لا يُماثله نعيم.. ونسمع من بيتها في الجنة نغمة الشكر والدعاء والسرور: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [2].

وفي صورة مقابلة... مشهد رهيب ومنظر عجيب .. صورة جهنّم.. صورة فرعون في هيئة مَهينة يجتمع فيها التحقير المعنويّ إلىٰ التعذيب النفسي: ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [3]، فصوّرته مع قومه وهم يسحبون في النار ووجوههم مكبوبة فيها، صورة حسّيّة

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١١.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بشعة، وهي كذلك توحي بالمهانة والزراية .. ثم إلىٰ سموم وحميم في جهنم .. فالهواء شواظ ساخن ينفذ إلىٰ المسام ويشويها.. والماء متناه في الحرارة ... يتقلبون في ظلال الدخان اللافح الخانق. ظلّ. لا ظليل ولا يُغني من اللهب.

وفي المقابل صفحة المؤمنين الذين قَدِموا علىٰ ربّهم بقلب سليم. بقلب خالص. بقلب يخضع ويتوقّىٰ، اتجهوا لله وحده، بقلوب تسجد لله حقـًا، وتتصل به علىٰ مدار الليل والنهار، فهم هناك في نعيم مقيم في جنات وعيون ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ .. هذا الرضا من الله هو أعلىٰ وأندىٰ من كلّ نعيم.. هذا الرضا في نفوسهم عن ربّهم. الرضا عن قدرته فيهم. الرضا عن إنعامه عليهم. الرضا بهذه الصلةِ بينه وبينهم. الرضا الذي يغمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق..

إنهما صورتان متقابلتان: صورة الكفر والفسوق والعصيان.. فرعون وملؤه ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[1]، وصورة الإيمان الصادق والصلة بالله الدائمة... والمثل الخالد.. امرأة فرعون ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[2].

فالذي يعرف ربّه ويخشاه هو الذي يدرك ما في حادث فرعون من العبرة لسواه. أما الذي لا يعرف قلبه التقوىٰ فبينه وبين العبرة حاجز، وبينه وبين العظة حجاب، حتىٰ يصطدم بالعاقبة اصطدامـًا. وحتىٰ يأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ.

وهكذا تنتهي قصة موسىٰ وفرعون، شاهدة بأن الأمن لا يكون إلا في جانب الله. وأن المخافة لا تكون إلا في البعد عن الله. دلّ علىٰ ذلك تدخل القدرة سافرة

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متحدّية للطغيان والطغاة، حين تصبح القوة فتنة يعجز عن صدّها الهداة.

وهكذا يجيء القَصص في القرآن عبرة لمن يعقل. ومادة تربية وتوعية للنفوس، وتقريراً لحقائق وسنن في الوجود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

تلك النهاية والعاقبة .. نهاية من يسلم وجهه إلى الله وهو محسن. وهذه نهاية من يكفر ويطغى ويتعالى ويخدعه متاع الحياة، وهو في قبضة الله لا يفلت وهو مأخوذ بعلمه... والعاقبة بعد ذلك مروعة فظيعة ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾[1]، ووصف العذاب بالغلظ بجسمه — على طريقة القرآن- والتعبير يُلقي ظل الهول الذي يحاول الكافر ألا يواجهه، مع العجز عن دفعه، أو التلكؤ دونه، فأين هذا ممن يسلم وجهه إلىٰ الله ويستمسك بالعروة الوثقىٰ، ويصير إلىٰ ربه في النهاية هادئ النفس مطمئن الضمير، فرح بما أعدّه الله من نعيم مقيم؟

روىٰ[2] أبو يعلىٰ في مسنده عن أبي هريرة قال: «إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في يديها ورجليها، فكان إذا تفرقوا عنها ظللتها الملائكة، فقالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3]، فكشف لها عن بيتها في الجنة))[4].

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٤.

(٢) الأشقر، عمر سليمان عبدالله، صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، الطبعةالثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٧٩- ٢٨٢بتصرف.

(٣) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٤) أخرجه أبو يعلي في مسنده (٤/ ١٥٢١ – ١٥٢٢)، حدثنا هدبه، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، أن فرعون... وهكذا وقع فيه موقوفاً عليه غير مرفوع، وهو في حكم المرفوع، لأنه لا يقال بمجرد الرأي مع احتمال كونه من الإسرائيليات. وإسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، وقد أورده السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٤٥) موقوفاً أيضاً، وقال: أخرجه أبو يعلي والبيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شرح الحديث:

من سنة الله في خلقه أن يفضحهم إن هم تجاوزوا حدودهم، وبخاصة إذا اعتدوا علىٰ ربوبيّة الله وألوهيّته، ومن ذلك ما وقع لطاغية مصر الذي ادّعىٰ الألوهيّة والربوبيّة، وقد فضحه الله في مواقف كثيرة، آخرها إهلاكه وجنده بالغرق.

ومن ذلك أنه كان يبحث عن الطفل الذي سيكون هلاكه علىٰ يديه، فأرسله الله إليه في قصره، وألقىٰ حبّه في قلب الملكة، فربي في قصر فرعون. فكان يرعاه ويحفظه، وينفق المال علىٰ أمه جزاء إرضاعها له.

ومن ذلك إيمان زوجة فرعون بالله وبما جاء به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم موسىٰ، فعذبها عذاباً شديداً، وطلبت من الله تبارك وتعالىٰ أن ينقذها من عذابها، ويختارها إلىٰ جواره: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾[1].

وقد أخبرنا هذا الحديث أن فرعون عندما اكتشف إيمان زوجته، أوتد لها أربعة أوتاد في يديها ورجليها، وهذا يعني أنه دق في كل طرف من أطرافها وتداً، ويحتمل أن يكون أمر بأن يشد كل طرف من أطرافها بحبل إلىٰ وتد من تلك الأوتاد.

وعلىٰ كل فإن هذا النوع من التعذيب مؤلم وشديد، ولذلك فإنها دعت ربها أن يخلّصها من فرعون وعمله، وأن ينجيها من القوم الظالمين، بنقلها إلىٰ دار البقاء في جنات النعيم.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخبرنا هذا الحديث أن الملائكة كانت تَظِلّ هذه المرأة الصالحة عندما يتفرّق عنها زبانية فرعون الذين يعذّبونها، كما أخبرنا أنّ الله كشف لها عن بيتها في الجنة، وهي تحت العذاب.

لقد أثبتت هذه المرأة لفرعون تفاهته وحقارته، فقد آمنت بالله إلها وربّاً، وكفرت بألوهيّته وربوبيّته، ولو كان إلها كما ادّعىٰ لما خرجت زوجته عن طوعه، ولاستطاع أن يعيدها إلىٰ الإيمان به، ولكنها اختارت مفارقته إلىٰ الربّ الذي آمنت به.

عبر الحديث وفوائده:

١- أثر الإيمان الصادق في مواجهة العذاب والهوان الذي يصبّه الظالمون فوق رؤوس المؤمنين، حتىٰ المرأة الرقيقة المرفهة المنعمة صبرت علىٰ العذاب لتنال رضوان الله ورحمته وجنّته.

٢- مدىٰ حقد أهل الكفر علىٰ أهل الإيمان، ففرعون لم يرع حقّ الصحبة للزوجة التي عاشت معه، وأذاقها أشدّ ألوان العذاب، ولم يرحم ضعفها.

٣- رعاية الله لعباده المؤمنين عندما يصيبهم البلاء، فقد أرسل لآسيا امرأة فرعون الملائكة تَظِلُّها وهي مشدودة إلىٰ الأوتاد، وكشف لها عن المنزلة المعدّة لها في جنّات النعيم، وفي ذلك تثبيت لها علىٰ الإيمان.

٤- اختيار بعض عباد الله نعيم الآخرة علىٰ نعيم الدنيا، ولو نالوا منه أعلىٰ مراتبه، فهذه المرأة كانت المرأة الأولىٰ في البلاط الملكي في قصر فرعون مع ذلك فضّلت نعيم الآخرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٥- عظيم حِلْمُ الله تبارك وتعالىٰ، فلو شاء لأنجىٰ آسيا من محنتها، ولأهلك فرعون وزبانيته، ولكنه حليم، يُمْهِلُ ولا يُهْمِل.

ماشطة ابنة فرعون:(١)

الإيمان نعمة. نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة ترفع العمر وتُباركه. نعمة تتجه بالروح إلىٰ الخالق الواحد في خشوع وأُنس .. نعمة تأخذ بالنفس إلىٰ مسارب الهدوء والاطمئنان .. نعمة تربط علىٰ القلب فيرىٰ يد الله القوية القادرة في كل حادث وفي كل أمر..

والقلب المؤمن يدرك قيمة الاهتداء بعد الضلال. قيمة الرؤية الواضحة بعد الغبش. قيمة الطمأنينة للحقّ بعد الأرجحة، قيمة التحرّر من العبوديّة للعبيد إلىٰ العبوديّة لله وحده. قيمة الاهتمامات الكبيرة بعد اللهو بالاهتمامات الصغيرة الحقيرة. ويدرك أنّ الله منحه بالإيمان كل هذا الزاد .. ومن ثمّ يشفق علىٰ نفسه من العودة إلىٰ الضلال. كما يشفق السائر في الدرب المستقيم المنير أن يعود إلىٰ التخبّط في المنعرجات المظلمة. وكما يشفق من ذاق نداوة الظلال أن يعود إلىٰ الهجير القائظ والشواظ.

وفي بشاشة الإيمان حلاوة لا يدركها إلا من ذاق جفاف الشرك والإلحاد وشقاوتهما المريرة. وفي طمأنينة الإيمان حلاوة لا يُدركها إلا من ذاق شقوة الشرود والضلال.

قد أعطىٰ الإسلام المرأة مكانها إلىٰ جانب الرجل فيما هما فيه من العلاقة بالله، ومن تكاليف العقيدة في العبادة والجهاد والسلوك القويم في الحياة.

---

(١) الأشقر، عمر سليمان عبدالله، صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، الطبعة الثانية، ص ٢٧٨- ٢٩٢ بتصرف، والحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن ، الجزء الأول، ص ٢٢٩- ٢٤٢بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرجال والنساء سواء في الجهاد في سبيل العقيدة وإعلاء كلمة الله.

والقصّة النبوية تعرض مواقف نسائية نبيلة سواء كانت المرأة أمّـًا، أم أختـًا، أم عاملة، ... امرأة مؤمنة تسجل موقفـًا خالداً تنتصر فيه العقيدة علىٰ الحياة. امرأة فاح من إيمانها عطر شذيّ انتشر رائحة طيّبة خالدة، فيتنسّم برائحتها المسلمون، فتحرك دوافع الإيمان قوّة تنتصب، وتصلّبـًا بالعقيدة في القلوب التي عرفت ربّها...

وتُثبت القصة أن المرأة ليست ضعفـًا دائمـًا، فهي قادرة علىٰ أن تتحمّل مسؤوليتها، وأن تثبت وجودها في أصعب الظروف، وأن تقف راسخة في أحلك المحن، وأن تتمسك بمبادئها مهما كلفها ذلك من ثمن، حتىٰ ولو كان هذا الثمن باهظـًا جداً كفقد وليدها... أو فقد حياتها...

امرأة وقفت بعزم وتصميم، وصلابة ويقين لتقول كلمة "الإيمان" التي تعتقدها، تقولها في شجاعة وتحدّ في وجه الظلم والطغيان لا تبالي بالموت، ولا بتعذيب الطغاة العتاه!.

ولنقرأ البيان النبوي يقص علينا من نبأ أخبارهنّ:

عن ابن عباس – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «**مررت ليلة أسري بي برائحة طيبة، فقلت: يا جبريل! ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال : قلت: وما شأنها؟ قال: بينما هي تمشّط ابنة فرعون ذات يوم، فوقع المشط من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربّي وربّك وربّ أبيك، قالت: أأخبره بذلك؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها، فقال لها: أَلَكِ من ربّ غيري؟ قالت: ربّي وربُّك الذي في السماء – وفي رواية: قالت: نعم، ربّي وربّك الله، فأمر بِبَقَرَةٍ (قدر يسخن**

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فيه الماء وغيره) من نحاس، فأحميت، ثم أمر بها أن تُلقىٰ هي وأولادها فيها، قالت له: إنّ لي إليكَ حاجة، وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام وِلدي في ثوب واحد وتدفننا، قال : ذلك لك لما لك علينا من الحقّ، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً، إلىٰ أن انتهىٰ ذلك إلىٰ صبيّ لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله، فقال: يا أمتاه فإنك علىٰ الحقّ. يا أمة اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت» [1] .

تُعد هذه القصة من الحالات النادرة في القصص النبوي في بنائها الأدبي والفني، فهي نموذج مما يُسمىٰ بالبناء الدائري.

إنّ هذا الأسلوب في بناء هذه القصة هو عظيم الدلالة، ففيه تشويق السامع أو القارئ لمعرفة الأحداث التي أدّت إلىٰ هذه النهاية، وكذلك بيان أهمّية ومكانة مثل هذه النهاية العظيمة الخالدة، فالقصة تبدأ بتمهيد يتضمّن نهاية القصة من استشهاد الماشطة ودفنها مع أولادها، وانتشار الرائحة الطيّبة في الملأ الأعلىٰ تخليداً سامياً لهذا الموقف الجليل السامي من الله ربّ العالمين الذي آمنت به المرأة الشهيدة التي كتمت إيمانها كما كتمته زوجة فرعون وكتمه مؤمن آل فرعون ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2]، وهي نهاية الأحداث في القصة، وبعد هذا التمهيد يبدأ عرض أحداث القصة، إلىٰ أن تصل مرة أخرىٰ إلىٰ النهاية الجليلة المؤثرة.

---

(١) رواه ابن حيان في صحيحة بإسناد قوي، رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس (٣/ ٣٠٩) طبعة المكتب الإسلامي (٥/ ٣٠) طبعة مؤسسة الرسالة ورقمه فيها (٢٨٢١- ٢٨٢٣).

(٢) سورة غافر، الآية: ٢٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقد حرص الرسول ﷺ على أن يُضمّن القصة كثيراً من القيم الإسلامية، وهي قيم ذات جوانب متعدّدة، **والقاعدة التي تقوم القيم الإسلامية، هي قضية الثبات على العقيدة والاستمساك بها، وعدم التنازل عن مبادئها، مهما كلّف صاحبها ذلك من متاعب**، ومهما اعترضته من صعاب ربما أدّت به إلى التضحية بحياته، وهي أغلى شيئ يملكه في وجوده، في سبيل أن يبقى وفياً لعقيدته، مخلصاً صادقاً في إيمانه، لا ينحرف ولا يحيد، وهذه القضية ذات أهمية بالغة، وهي ذات حيويّة خاصة بالنسبة لما كان يواجهه المسلمون من مشكلات في أزاء استمساكهم بدينهم، وثباتهم عليه، وبخاصة في الأيام الأولى من ظهور المسلمين في مجتمع مكة، ومن هنا حرص الرسول ﷺ على أن يعالج هذ القضية بعرض قصة تتناول هذه الناحية من مواقف أصحاب الدعوات والمبادئ، وهم يواجهون ظروفاً مشابهة تماماً، أو قريبة مما يواجهه المسلمون في مكّة في بداية عهد الإسلام، فكانت هذه القضية محور الموضوع في القصّة، فقد آثرت ماشطة ابنة فرعون أن تموت بأبشع وأقسى صور الموت على أن ترجع عن دينها. إن الإيمان غزا قلبها، وملك عليها أمرها كما غزا قلب الملكة زوجة فرعون، فالإيمان يجد له طريقاً إلى قلوب الأغنياء، كما يجده إلى قلوب الفقراء عندما يريد الله بعده خيراً.

.." بينما هي تمشُط ابنة فرعون ذات يوم، فوقع المُشْطُ من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربّي وربُّك وربّ أبيك، قالت: أُخبره بذلك؟ قالت: نعم" وفي رواية : " قالت: أقول له؟ قالت: قولي!".

"قولي!!" إنها كلمة العقيدة الصادقة الثابتة، إنّها اليقين الذي أحيا القلب والروح بالطمأنينة والأمان والثقة بالله، بهذه الصورة الناصعة الرائعة: صورة التوكّل على الله وحده وعدم المبالاة بمقالة ابنة فرعون وتخويفها لها... إنها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصورة الرفيعة لتلك الحقيقة الكبيرة، في تلك النفس الكبيرة، النفس التي لا تعرف إلا الله ربّـًا لها ولفرعون وللخلق جميعـًا فلِمَ الخوف وقد جعلت الله أمينـًا ووكيلاً لها ولنفسها؟ لقد رضيت به ربّـًا وكفىٰ، فزادها الله إيمانـًا في ساعة الشدّة، فها هي ذي تقول لابنة فرعون في مواجهة تخويفها لها بأبيها الطاغية : "قولي" ... نعم... قولي! ودونك وما يملكه فرعون وملؤه ... قولىٰ لفرعون الجبّار، جبّار الدنيا، لا يهمني فأنا وليّي الله، جبّار الدنيا والآخرة... جبّار الحقّ وقدرته علىٰ ازهاق الباطل والظلم... أنا القويّة، فقولي... قولي... لأبيك ربّي القويّ يمدّني بالقوّة فلست أهابك، ولا أخاف عقابك... قوتك تزول أمام إيماني فترتعد فرائصك خوفـًا... قولي له ولتكن العاقبة ما تكون.. وامتلأت نفسها بالعزم والتصميم، وستواجه بإيمانها مصدر الخوف والرعب، ستواجه الطاغيه بقوّته وهيبته . ففيم تخاف وفيم تخشىٰ؟! وربّ العالمين وحده القوي القاهر القادر، الذي ينبغي أن يُخاف ويُستهاب؟ وما فرعون وطغاة الأرض؟ إن هم إلا عبيد من خلق الله وهم أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلىٰ ربّه، ويستند إلىٰ قوّته..

إن القوة الوحيدة التي تُخشىٰ وتُخاف هي القوّة التي تملك النفع والضرّ. وما هذه القوّة إلا الله. هي القوة التي يخشاها المؤمنون بالله إيمانـًا صادقـًا، ولكنهم حين يخشونها يصبحون أقوىٰ أقوياء الأرض... فلِمَ الخوف من أبيك؟ قولي يا ابنة فرعون... قولي له .. لعل ابنة فرعون كانت تريد من وراء ذلك السؤال أن تجثو هذه المرأة علىٰ ركبتيها وتتوسّل إليها كي لا تخبر الملك بخبرها، كي لا يقضي عليها، ولا علىٰ أولادها، ومن الناس من يتنعّم بتذلّل الناس وخضوعهم له، أو لعلها كانت تريد أن تبقي سرها محفوظـًا عندها كي تساعدها عل تحقيق رغباتها وأغراضها، ففي تصوّر مثل هذا الطاغوت تتعدّد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مراكز القوىٰ، وكلّ يسعىٰ لتحقيق مصالحه ورغباته، ويحتاج هؤلاء إلىٰ الأعوان من الرجال والنساء الذين يتجسّسون لصالحهم، ويقومون بتنفيذ مخطّطاتهم، يدلّك علىٰ صحّة ذلك أنها لم تبادر لإخبار أبيها بما قالته الماشطة، ولكنها سألتها عن ذلك، ولا بدّ أن سؤالها إياها يدلّ علىٰ أنّ لها مأربـًا من وراء سؤالها.

ولكن المرأة الصالحة حسمت الأمر، فلم تتوسّل ولم تطلب من ابنة الملك كتمان أمرها، بل وافقت علىٰ اخباره بحالها، بل تكلمت بثقة وقوّة وكأنها تأمرها بالتنفيذ: قولي ... إن القصة تتناول حقيقة التوحيد من جانب عظيم الأهميّة في لمسة جليلة واضحة.. غنيّة عن تصوير حقيقة القلب المؤمن وموقفه بإزاء قوىٰ الأرض واعتزازه بالقوّة الوحيدة، واعتماده عليها دون مبالاة بسواها من القوىٰ الضئيلة الهزيلة.

"قولي!!" هذه الكلمة تصوّر منطق الإيمان الصحيح، في بساطته وقوّته، ووضوحه وعمقه، كما هو في قلب هذه الشهيدة الخالدة وكما ينبغي أن تكون في قلب كل مؤمن برسالة الله، وكل قائم بدعوته : ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ...

وتمضي القصّة في حلقاتها، فها هي ابنة فرعون قد أخبرت أباها خبر هذه المؤمنة في قصر الظلم والكفر والطغيان.. "فأخبرته، فدعاها، فقال لها: ألك من ربّ غيري؟ قالت : ربّي وربّك الذي في السماء – وفي رواية: قالت: نعم، ربّي وربّك الله..."

إن كلماتها تلقي ظلال الإيمان والطمأنينة والراحة والثقة بقدر الله. استقام تفكيرها واطمأن قلبها علىٰ ما هي قادمة عليه، وارتاحت مشاعرها وأعصابها،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ورضيت بما تدفع هنا في الدنيا لتأخذ هناك حيث القرار والبقاء والخلود.

ألا إنه الأفق المشرق الوضاء بنور العقيدة حين تستعلي علىٰ كل شيئ... لم تفكر في ما تدفع ولِمَ تدفع، ولِمَ كان هذا وكان ذاك؟ إنه الابتلاء وفي هذا الابتلاء يستجيش في نفوس المؤمنين والمؤمنات أكرم ما في النفس البشرية من طاقات. فليس أكرم في النفس من أن يعزّ عليها الحقّ الذي تؤمن به حتىٰ تُقدّم نفسها وأولادها قربانـًا لما هو أثمن وأغلىٰ! لقد علم الله من هذه النفس المؤمنة أنّها خُيّرت فاختارت وأنّها لا تندفع بلا وعي ولكنّها تُقدّر وتختار. وعلم من قولها "قولي" أنها تتطلّع إلىٰ وجه الله ورضاه.

هذه المرأة التي صبرت علىٰ الشظف والذلّ الفرعونيّ انتفض فيها الإيمان شاخصـًا واثقـًا من عون الرحمن ووعده.

إنّ الإيمان هبة ضخمة لا يعدلها في هذا الوجود شيء؛ والحياة رخيصة رخيصة، حين يوضع الإيمان في كفّة، ويوضع في الكفّة الأخرىٰ كل ما عداه.

ها هي ذي ماشطة ابنة فرعون تقف قويّة بإيمانها أمام أغنىٰ وأقوىٰ طغاة الأرض لتقول له بعزة الله: "ربي وربُّك الله".

إنها كلمة الثقة واليقين، فمن ذا يخيفها، وما يخيفها؟ إذا كان الله معها.. فليفعل ما يشاء... وإرادة الله هي النافذة، ومشيئته هي الغالبة... ودونك يا فرعون وما تملكه في الأرض، إنك إن تُهدّد بالعذاب والموت إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، وما لك من سلطان علينا في غيرها.. وما أقصر الحياة الدنيا، وما أهون الحياة الدنياأ وما تملكه لنا من عذاب أيسر من أن يخشاه قلب يتّصل بالله، ويأمل في الحياة الخالدة.. ويعلم علم اليقين أن العدالة المطلقة في انتظاره.

هنا استشاط الطاغية غضبـًا وقد امتلأ كيانه حقداً " فأمر ببقرةٍ من نحاس،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأحميت، ثم أمر بها أن تُلقىٰ هي وأولادها فيها، قالت له: إن لي إليك حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أحبّ أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا. قال: ذلك لكِ لما لكِ علينا من الحقّ..."

إنه موقف رهيب! ومشهد جليل عظيم! تُصوّره الكلمات فإذا هو مشهد حيّ يكشف عن خطوط النّفس المؤمنة المُتوهّجة باليقين .. إنه يكشف عن أثر حقيقة الإيمان في الأعماق الإنسانية .. هذه المرأة لم يَعُدْ لها من نفسها ولا من علائقها الأرضية من شيئ... لم تستبق بقية لها كي تبذلها في سبيل الله ربّ العالمين. لم يعد لها في أعماقها خيار في أن تبذل أو تمسك.. كلاً ... فهي لا تتلفّت، ولا تتخيّر، ولا تُفكّر ولا تناقش ولا تجادل... ها هي ذي قادمة علىٰ الله بثقة وإيمان وتقول لفرعون: "إن لي إليكَ حاجة، قال: وما حاجتك؟ قالت: أُحبُّ أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا"!!

عونك اللهم! لقد باعت نفسها وأولادها لله... انتهىٰ الأمر، ومضت العقد .. لا رجعة فيه ولا خيار... إنها الجنة التي تنظر إليها فهي قادمة إليها سائرة علىٰ طريقها... ها هي ذي سائرة لم تتخاذل، ولم تتراجع ولم تخف.. ولم ترج الطاغية العفو والصَّفح.. لقد كانت تستيقن أن الموت كأس يشربها كلّ حيّ.. فلتشربها في مَجْد وعرس إيماني كبير يشهده ربّ العالمين.. وصَغر عندها الابتلاء والأذىٰ، ومضت في عزيمتها وإيمانها إلىٰ الأمل المنشود.. في صبر متين.. وفي عزم أكيد.. وفي يقين ثابت... وسارت إلىٰ الله ترجو عطاءه وتستمدّ قوّة من رضاه...

لقد شاء الله أن أراح قلبها المؤمن علىٰ صدر الحقيقة الثابتة.. فازدادت طمأنينة وراحة فأحبّت لقاء الله واشتاقت لما أعدّه لها من الرحمة والرضوان والأمن والأمان في جوار الرحمن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويكفي أن نتصفّح هذه الصورة الوضيئة الرائعة، لنعرف أي نور كان يملأ قلبها، وأي تَصَوُّر كان يملأ كيانها وهي في الأرض! ذلك أن العقيدة أمر عظيم، لا هوادة فيه ولا ترخُّص، وثمن الاحتفاظ به فادح، ولكنها ترجحه في نفسها المؤمنة.

والقصة تقدم صورة رائعة للمرأة، ذات المبدأ الراسخ المتين، الذي لا تهزّه عاديات الحياة كلّها، حين تقف في صلابة الحقّ وقد انعقد في نسيج قلبها، وسرىٰ في عروقها مندفعاً لا يوقفه أي شيء.. فهي تقف بعزّة الإيمان غير مبالية بما أعدّه فرعون... لا تُبالي قوله وفعله... وإنذاره ووعيده، فإذا شئت فامض في تهديدك فإنا ماضون علىٰ طريق الله ... وافعل ما أنت فاعل... ولو أحميت هذا القدر النحاسي ووهّجته بالنار فلن يُخيفنا العذاب الذي تُهدّدنا به...

" فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحداً واحداً، إلىٰ أن انتهىٰ ذلك إلىٰ صبيّ لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله، فقال: يا أمتاه فإنك علىٰ الحقّ. يا أمة اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت.

يا لعظمة الصبر والاحتمال والإيمان والتسليم، الصبر الطويل الصعب... ثم هو التسليم والرضىٰ والقبول والإقدام علىٰ الله!.

إن النهوض بواجب الدعوة في مواجهة الطواغيت أمر شاقّ... ولكنه أمر عظيم .. إنه الإسلام لله الذي تتوارىٰ معه الذات... إنها درجة عظيمة وهي في حاجة إلىٰ الصبر، والتسليم لقدر الله.

لقد كان العذاب الذي امتحنت فيه هذه الشهيدة الصابرة من الضخامة ما يُروّع، وكان الكرب الذي واجهته من الشدة ما يُفزع.. وهي امرأة من البشر. وللبشر طاقة، لا يكلف الله ما فوقها وعلىٰ الرغم من ثقتها بالله، فإن الهول اشتدّ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقعه عليها حين انتهىٰ العذاب إلىٰ صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله..

وهنا وقعت المعجزة الإلهية حين ثَقُل الكرب علىٰ القلب... " فقال: يا أمتاه فإنك علىٰ الحقّ. يا أمة اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة..." ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها كلام الصبي في روح أمّه؛ وأي نور يقذفه فيتلألأ في كيانها الرضىٰ بالله والثقة به والمضي في الثبات علىٰ الحقّ.. إنه يضاعف المقدرة في الأم الشهيدة، بما يبعثه من إحساس بالاطمئنان، ويزيدها قوّة بالعزم والإصرار.

إنها صورة مشرّفة للمرأة بعامة، تعلّقها علىٰ هامش الزمن، هذه المرأة الشجاعة، ذات المبدأ والعقيدة، فهي برغم الضغوط العنيفة التي واجهتها وهي تُشاهد فلذات كبدها يُرمىٰ الواحد تلو الآخر في النار، وبرغم ذلك لا تنكص ولا تتراجع عن رأيها في أن فرعون ليس ربّاً، وإنما هو عبد من عبيد الله، وفي سبيل ذلك تقتحم الجحيم انتصاراً للعقيدة والمبدأ هاتفة بلسان حالها: نموت وتحيا العقيدة!.

إنه شرف رفيع مجيد، يحقّ لكل امرأة من بنات حواء أن تفاخر به ما شاءت، وشاء لها الفخر!.

ها هي ذي عند ربّها يتعهّدها وقد صعدت إليه. في حياة مستمرة لم تنقطع إلا فيما يرىٰ أهل الأرض المحجوبون.. يزيدها ربها صفاء وإشراقاً وإكراماً. وهي في ظلال الله ورعايته. هذه رائحتها الزكية تفوح علىٰ أهل السماء. كما أخبر النبي ﷺ في مطلع القصة: «**مررت ليلة أسري بي برائحة طيبة، فقلت: يا جبريل! ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون..** ».

لقد رسمت القصة ذلك النموذج الرائع في تاريخ العصور، وعلينا أن ندرك

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنها كانت امرأة من البشر، لم تتخلّ عن طبيعة البشر، بما فيها من قوّة وضعف. كانت امرأة من نساء العالمين تفزع وتخاف، وتضيق بالشدة، وتتزلزل للخطر الذي يتجاوز الطاقة. ولكنها – مع هذا – مرتبطة بالعروة الوثقىٰ التي تشدّها إلىٰ الله.. ذلك هو الإيمان.. هذا السرّ العجيب.. هذا النور الإلهي الذي يرقّق القلب ويطهّره ويرتفع به إلىٰ آفاق النور العلويّة، ويدفع النفس إلىٰ الاستعلاء والشفافيّة والإشراق.. ومن ثم يبقىٰ هذا المخلوق في واقعيّته الإنسانية الكاملة..

فالإيمان هو الذي وضع هذه المرأة الشهيدة في الذروة السابقة الوضّاءة في لوحة القدر، وقد فاح عبيرها واتّصل ذكرها في الأرض والسماء..

ونقف أمام هذا الإيمان نتدبّره بقلوبنا ونتملّاه في كياننا..

إنه يحدّد التصوّر الإلهي الواضح للقيم، ويرسم الطريق الشعوري للإحساس بالدنيا والآخرة. فهو يحسم في القلب المؤمن كل أرجحة وكل لجلجة بين قيم الدنيا وقيم الآخرة، بين الاتجاه إلىٰ الأرض والاتجاه إلىٰ السماء ويُخلص هذا القلب من كل وشيجة غريبة وزينة أرضية تحول بينه وبين التجرد لله والخلوص له وحده دون سواه.

هذا من جانب، ومن الجانب الآخر تُصوّر لنا هذه القصّة أن الشهيد الذي يدفع أغلىٰ ما يملك هو إنسان من البشر، لم يتجرّد من بشريّته ومشاعره وسماته الإنسانية، مع تلك العظمة التي ارتفع إليها، ومع كل هذه الخلوص لله والتجرّد ممّا عداه، فالمشاعر الإنسانية والعواطف البشرية في المرأة الشهيدة لم تمت النفس المطمئنة، ولكنها ارتفعت وصفت من الأوشاب. قد بقيت لها طبيعتها البشرية التي تؤهلها للخلود بجوار الرحمن. وقد ارتفعت إلىٰ أقصىٰ درجات الكمال المقدّر للإنسان...

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا النموذج الإيماني لا ينقطع في جيل ولا في قبيل. فهو موجود دائماً. فهو نور من نور الله..

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[1].

هذا النموذج الرائع للمرأة، والشخصيّة التي تبرز في هذه الوظيفة الموضوعيّة تظهر بوضوح في هدف القصّة النبوية بشكل كبير، بحيث يلمسها كل من يطالع القصة أو يستمع إليها، فهي تهدف إلىٰ ترسيخ وتعميق الإيمان في القلوب، وكانت رسالته تنبض بالحياة لترسم في القلوب المؤمنة التي تلقىٰ الأذىٰ والعذاب، صورة رائعة لثبات الحقّ إذا جلىٰ، وقوّة للعزم إذا اكتوىٰ فيما يكابده المؤمن من البطش والتنكيل.

فالقصة النبويّة توظّف بصورة إيجابيّة تُحمّل بالمعاني والأفكار والقيم الإسلامية التي يُراد نشرها بين الناس، وتعميقا في نفوسهم، وتأكيدها في سلوكهم في واقع الحياة... وطبعها في تصوراتهم التي تقود أعمالهم وجهادهم علىٰ طريق الجنة والخلود...

والقصة تكشف عن ناحية مهمة، فهي قصة مُلتزمة وهادفة، والالتزام سمة أساسية في المنهج الإسلامي، والقصة النبوية تنقل ذلك المضمون، فهي تُعمّق جذور العقيدة في القلوب. وهي صورة من صور الالتزام في المضمون.

***

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثالث:

من مصر إلى مَدْين[1]

١- بنتا الرجل الصالح:

خرج موسىٰ – عليه السلام – من المدينة، خائفًا يترقَّب، وحيداً فريداً، غير مُزوّد إلا بالاعتماد علىٰ مولاه؛ والتوجّه إليه طالبًا عونه وهداه:

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾[2].

ونلمح شخصيّة موسىٰ – عليه السلام – فريداً وحيداً مطارداًفي الطرق الصحراوية في اتجاه مَدْيَن في جنوب الشام وشمال الحجاز. مسافات شاسعة، وأبعاد مترامية، لازاد ولا استعداد، فقد خرج من المدينة خائفًا يترقَّب، وخرج مُنزعجًا بنذارة الرجل الناصح، لم يَتَلبَّث، ولم يتزوّد، ولم يتّخذ دليلاً. ونلمح إلىٰ جانب هذا: نفسه متوجّهة إلىٰ ربّه، مستسلمة له، متطلّعة إلىٰ هداه: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾. .

ومرة أخرىٰ نجد موسىٰ – عليه السلام – في قلب المخافة، بعد فترة من الأمن. بل من الرفاهيّة والطراءة والنعمىٰ. نجده وحيداً مجرداً من قوىٰ الأرض الظاهرة جميعًا، يُطارده فرعون وجنده، ويَبحثون عنه في كل مكان، لينالوا منه

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، المجلد الثاني، ص ٣٢٤- ٣٤٦ بتصرف، والحمصي، أحمد فائز، قصص الرحمن ، الجزء الأول، ص ٥٤ – ٦٢ بتصرف.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اليوم ما لم ينالوه منه طفلاً. ولكن اليد التي رَعَتْه وحَمَتْه هناك ترعاة و تحميه هنا، ولا تُسلِّمه لأعدائه أبداً. فها هو ذا يقطع الطريق الطويل، ويصل إلىٰ حيث لا تمتد إليه اليد الباطشة بالسوء:

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾[1].

لقد انتهىٰ به السفر الشاق الطويل إلىٰ ماء لمدين. وصل إليه وهو مجهود مكدود. وإذا هو يطّلع علىٰ مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة، السليمة الفطرة، كنفس موسىٰ – عليه السلام – وَجَدَ الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء؛ ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء. والأَوْلىٰ عند ذوي المروءة والفطرة السليمة، أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولاً، وأن يفسح لهما الرجال ويُعينوهما.

ولم يقعد موسىٰ الهارب المُطارد، المسافر المكدود، ليستريح، وهو يشهد هذا المنظر المُنكَر المُخالِف للمعروف. بل تقدم إلىٰ المرأتين يسألهما عن أمرهما الغريب: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[2].

فأطلعتاه علىٰ سبب انزوائهما وتأخرهما وذودهما لغنمهما عن الورود.

إنه الضعف، فهما امرأتان وهؤلاء الرعاة رجال. وأبوهما شيخ كبير لا يقدر علىٰ الرعي ومجالدة الرجال! وثارت نخوة موسىٰ – عليه السلام – وفطرته السليمة. فتقدّم لإقرار الأمر في نصابه. تقدّم ليسقي للمرأتين أولاً، كما

(١) سورة القصص، الآية: ٢٣.
(٢) سورة القصص، الآية: ٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ينبغي أن يفعل الرجال ذوو الشهامة. وهو غريب في أرض لا يعرفها، ولا سَنَد له فيها ولا ظهير. وهو مكدود قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد. وهو مُطارد، من خَلْفه أعداء لا يرحمون. ولكن هذا كُلّه لم يقعده عن تلبية دواعي المروءة والنجدة والمعروف، وإقرار الحقّ الطبيعي الذي تعرفه النفوس: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ [1].

عَمَلٌ يشهد بنبل هذه النفس التي صُنعت علىٰ عين الله. كما يّشهد بقوّته التي تُرهب حتىٰ وهو في إعياء السفر الطويل. ولعلّها قوّة نفسه التي أوقعت في قلوب الرعاة رهبته أكثر من قوّة جسمه. فإنما يتأثر الناس أكثر بقوة الأرواح والقلوب: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾.

مما يشير إلىٰ أن الأوان كان أوان قَيظ وحرّ، وأن السفرة كانت في ذلك القيظ والحر. ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [2].

إنه يأوي إلىٰ الظلّ المادّي البليل بجسمه، ويأوي إلىٰ الظل العريض المَمْدود. ظلّ الله الكريم المنّان بروحه وقلبه: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [3]. ربّ إني في الهاجرة. ربّ إني فقير،ربّ إني وحيد. ربّ إني ضعيف. ربّ إني إلىٰ فَضلك ومَنّك وكرمك فقير محووج.

ونسمع من خلال التعبير رفرفة هذا القلب والتجاءه إلىٰ الحمىٰ الآمن، والركن الركين، والظل الظليل. نسمع المناجاة القريبة والهَمس المُوحي، والانعطاف الرقيق، والاتصال العميق: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾..

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٤.

(٣) سورة القصص، الآية: ٢٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرحمة والفَرَج:

وما نكاد نستغرق مع موسىٰ – عليه السلام – في مشهد المناجاة حتىٰ يُعَجّل السياق بمشهد الفَرَج، معقّبًا في التعبير بالفاء، كأنما السماء تُسارع فتستجيب للقلب الضارع الغريب:

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾[1].

يا فَرَج الله: ويا لقُربه ويا لنداه! إنها دعوة الشيخ الكبير استجابة من السماء لدعوة موسىٰ الفقير. دعوة للإيواء والكرامة والجزاء علىٰ الإحسان. دعوة تحملها: ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ وقد جاءته ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة النظيفة حين تلقىٰ الرجال. ﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ في غير ما تبذّ ل ولا تَبَرُّج ولا تبجُّح ولا إغواء. جاءته لتنهي إليه دعوة في أقصر لفظ وأخصره وأدلّه، يحكيه القرآن بقوله: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ . فمع الحياء الإبانة والدقّة والوضوح؛ لا التلجلج والتعثُر والربكة. وذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة. فالفتاة القويمة تستحيي بفطرتها واستقامتها لا تضطرب. الاضطراب الذي يُطمِع ويُغري ويُهيج؛ إنما تتحدث في وضوح بالقَدَر المطلوب،ولا تزيد.

الشيخ الكبير. الذي لم ينصّ علىٰ اسمه.

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

فقد كان موسىٰ في حاجة إلىٰ الأمن؛ كما كان في حاجة إلىٰ الطعام

(١) سورة القصص، الآية: ٢٥.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشراب. ولكن حاجة نفسه إلىٰ الأمن كانت أشدّ من حاجة جسمه إلىٰ الزاد. ومن ثم أبرز السياق في مشهد اللقاء قول الشيخ الوقور: ﴿لَا تَخَفْ﴾ فجعلها أول لفظ يُعقب به علىٰ قَصَصه ليلقي في قلبه الطمأنينة، ويشعره بالأمان. ثم بيّن وعَلَّل: ﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فلا سُلطان لهم علىٰ مَدْيَن، ولا يَصلون لمن فيها بأذىٰ ولا ضرار.

الزواج بين البَساطة والصَّراحة:

ثم نسمع في المشهد صوت الأنوثة المستقيمة السليمة: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[1].

إنها وأختها تُعانيان من رَعْي الغنم، ومن مزاحمة الرجال علىٰ الماء، ومن الإحتكاك الذي لا بدّ منه للمرأة التي تُزاول أعمال الرجال. وهي تتأذىٰ وأختها من هذا كله؛ وتريد أن تكون امرأة تأوي إلىٰ بيت؛ مستورة لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعىٰ والمسقىٰ. الروح، النظيفة القلب، السليمة الفطرة، ولا للتبذُّل الناشىٰء من هذه المزاحمة.

وها هو ذا شاب غريب طريد وهو في الوقت قوي. قوته مما يهابه الرعاء فيفسحون له الطريق ضعيف مما اشتد. ورأت من أمانته ما يجعله عفّ اللسان والنظر حين توجهت لدعوته. فهي تشير علىٰ أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبَذُّل. وهو قوي علىٰ العمل، أمين علىٰ المال. فالأمين علىٰ العِرض هكذا أمين علىٰ ما سواه. وهي لا تتلعثم في هذه الإشارة ولا تضطرب، ولا تخشىٰ سوء الظنّ والتهمة. فهي بريئة النفس، نظيفة الحسّ؛ ومن ثم لا تخشىٰ شيئا، ولا تُتمْتِم ولا تُجَمْجِم وهي تَعرض اقتراحها علىٰ أبيها.

(١) سورة القصص، الآية: ٢٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته.ولعله أحسّ من نفس الفتاة ونفس موسىٰ ثقة مُتبادلة، وميلاً فطرياً سليماً، صالحاً لبناء أسرة. والقوّة والأمانة حين تجتمعان في رجل لا شك تهفو إليه طبيعة الفتاة السليمة التي لم تفسد ولم تُلوّث ولم تنحرف عن فطرة الله. فجمع الرجل بين الغايتين وهو يعرض علىٰ موسىٰ أن يزوجه إحدىٰ ابنتيهِ في مقابل أن يخدمه ويرعىٰ ماشيته ثماني سنين. فإن زاد علىٰ عشر فهو تَفَضُّل منه لا يُلزم به:

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ ﴾[1].

وهكذا في بساطة وصراحة عَرَض الرجل إحدىٰ ابنتيه من غير تحديد – ولعله كان يشعر كما أسلفنا – أنها مُحّددة، وهي التي وَقَع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتىٰ. عَرَضها في غير تَحَرُّج ولا التواء. فهو يعرض نكاحا لا يخجل منه. يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يُخجل، ولا ما يدعو إلىٰ التحرُّج والتردّد والإيماء من بعيد، والتصنُّع والتكلُّف مما يُشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة، وتخضع لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة، تمنع الوالد أو ولي الأمر من التقدّم لمن يرتضي خُلقه ودينه وكفايته لابنته أو أخته أو قريبته؛ وتحتّم أن يكون الزوج أو وليّه أو وكيله هو الذي يتقدّم، أو لا يليق أن يجيء العرض من الجانب الذي فيه المرأة! ومن مفارقات مثل هذه البيئة المنحرفة أن الفتيان والفتيات يلتقون ويتحدّثون ويختلطون ويتكشفون بعضهم لبعض في غير ما خطبة ولا نيّة نكاح. فأما حين تُعرض الخطبة أو يُذكر النكاح، فيهبط الخَجَل المُصطنع، وتقوم الحوائل المتكلّفة وتمتنع المصارحة والبساطة والإبانة!.

(١) سورة القصص، الآية: ٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهكذا صَنَع الشيخ الكبير – صاحب موسىٰ – فَعَرَض علىٰ موسىٰ ذلك العرض واعداً إيّاه ألا يشقّ عليه ولا يتعبه في العمل؛ راجيـًا بمشيئة الله أن يجده موسىٰ من الصالحين في معاملته ووفائه. وهو أدب جميل في التحدث عن النفس وفي جانب الله. فهو لا يُزكِّي نفسه، ولا يجزم بأنه من الصالحين. ولكن يرجو أن يكون كذلك، ويكل الأمر في هذا لمشيئة الله.

وقَبِلَ موسىٰ العرض وأمضىٰ العقد؛ في وضوح كذلك ودقة، وأَشْهَد الله:

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

٢- قصة عجوز بني إسرائيل[2]:

هذه قصة عجوز من عجائز بني إسرائيل، أتيحت لها فرصة عظيمة فانتهزتها لا لتحصل منها علىٰ مال الدنيا ومتاعها، ولكن لتحصل علىٰ الدرجات العالية في جنّات النعيم، فقد طلب منها موسىٰ أن تدلّه علىٰ قبر يوسف ليأخذ جسده معه عند خروجه ببني إسرائيل من مصر، فأبت إلا إذا أعطاها طلبها بأن تكون معه في الجنة يوم القيامة، فأعطاها الله طلبها، وهكذا تكون الهمم العالية، والنفوس التي ترغب في بلوغ المنازل الرفيعة، وقد تطلّع جمع من الصحابة إلىٰ بلوغ هذه المنزلة، من هؤلاء عكاشة بن محصن الذي طلب من الرسول ﷺ أن يكون من صفوة البشرية، وهم سبعون ألفا أخبر الرسول ﷺ أنهم يدخلون الجنّة، وجوههم علىٰ صورة القمر ليلة البدر، لا يبولون ولا يتغوّطون، ولا يتفلون، فأخبر الرسول ﷺ عكاشة أنه منهم، ومنهم أبو بكر الذي تطلع إلىٰ أن

(١) سورة القصص، الآية: ٢٨.

(٢) الأشقر، عمر سليمان عبدالله، صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، الطبعةالثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٠٣- ١٠٨بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يدعىٰ من جميع أبواب الجنة. فقال له: أعني علىٰ نفسك بكثرة السجود.

روىٰ الحاكم في مستدركه عن أبي موسىٰ: أن رسول الله ﷺ نزل بأعرابي فأكرمه فقال له: (يا أعرابي سل حاجتك) قال: يا رسول الله ﷺ ناقة بِرَحْلِها، وأَعْنَزٌ يحلبها أهلي، قالها مرتين.

فقال له رسول الله ﷺ: «**أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل**»؟ فقال أصحابه: يا رسول الله، وما عجوز بني إسرائيل؟

قال: (إنّ موسىٰ أراد أن يسير ببني إسرائيل فأضلّ عن الطريق، فقال له علماء بني إسرائيل، نحن نحدّثك أن يوسف أخذ علينا مواثيق الله أن لا نخرج من مصر حتىٰ ننقل عظامه معنا، قال: وأيّكم يدري أين قبر يوسف؟

قالوا: ما تدري أين قبر يوسف إلا عجوز بني إسرائيل، فأرسل إليها فقال: دليني علىٰ قبر يوسف، فقالت: لا والله لا أفعل حتىٰ أكون معك في الجنة) قال: (وكره رسول الله ما قالت فقيل له: أعطها حكمها فأعطاها حكمها فأتت بحيرة فقالت: انضبوا هذا الماء فلما نضبوه قالت: احفروا ههنا، فلما حفروا إذا عظام يوسف، فلمّا أقلّوها من الأرض فإذا الطريق مثل ضوء النهار)[1].

شرح الحديث:

كان سبب تحديث الرسول ﷺ بقصة عجوز بني إسرائيل التي تضمنها هذا الحديث أنّ أعرابياً استضاف الرسول ﷺ فأكرم وفادته، فطلب منه الرسول ﷺ أن يأتيه، ليجزيه بالإحسان إحساناً، فلما جاءه سأله الرسول ﷺ حاجته، فطلب منه قليلاً من متاع الدنيا وعرضها، إنه يريد ناقة برحلها لركوبه، وأعنزا لأهله يقتاتون بحليبها.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، (٢/ ٦٢٤) ورقمه: ٤٠٨٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هنا استصغر رسول الله ﷺ حاجته وطلبه، وحدّث حديث عجوز بني إسرائيل التي طلبت من موسىٰ عليه السلام طلباً عظيماً عندما أتيحت لها الفرصة، فقد اشترطت عليه حتىٰ تجيب طلبه أن تكون معه في الجنة.

لم تطلب من رسولها فضة ولا ذهباً، ولم تطلب جمالا أو بقراً أو غنماً، فلو طلب هذا الأعرابي من الرسول ﷺ مثل طلبها عندما قال له الرسول ﷺ سل حاجتك، لأفلح إيّما فلاح، فالرسول ﷺ مجاب الدعوة، ولو طلب منه أن يدعو له بخير الآخرة لنال خيراً كثيراً.

وقد أخبرنا رسولنا الكريم أن سبب اشتراط هذه العجوز علىٰ موسىٰ مرافقته في الجنة أنها كانت تعلم علماً لا يعلمه غيرها من بني إسرائيل، فقد كانت تعلم موضع قبر يوسف -عليه السلام- وكان يوسف قد أخذ العهد علىٰ من كان عنده من بني إسرائيل أن يحملوا عظامه معهم عندما يخرجون من أرض مصر إلىٰ الأرض المقدسة.

فلما أذن الله لموسىٰ بالخروج هو وقومه، ضلّوا الطريق، فتعجّب موسىٰ من ذلك وعلم أن في الأمر سرّاً، فسأل من كان معه عما رأىٰ من ضياعهم، فأعلمه علماؤهم بالميثاق الذي أخذه يوسف علىٰ آبائهم، عند ذلك سأل موسىٰ عن قبر يوسف لينفذ طلبه، فلم يجد أحداً يعرف قبره إلا عجوزاً من عجائز بني إسرائيل، فطلب منها أن تدّلهم علىٰ قبر يوسف، فأبت إلا إذا حقّق لها موسىٰ طلبها، وعندما استفسر منها عما تطلبه، وجدها تطلب أمراً عظيماً، إنها تريد أن تكون معه في الجنة.

فكره أن يعطيها طلبها، إمّا لأنه استكثر عليها هذه المنزلة، ورأىٰ أن هذا العمل الذي ستقوم به لا يساوي تلك المنزلة التي تطلبها، وإما أنه لا يستطيع أن يعطيها أمراً لا يملكه، فأوحىٰ الله إليه أن يعطيها حكمها، ومن طلب من الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

معالىٰ الأمور حقّق الله له طلبه، وإن لم يبلغ مبلغ الذين يستحقون تلك المنزلة، فالذي يطلب الشهادة بصدق يبلغه الله منازل الشهداء وإن مات علىٰ فراشه، والذي يطلب منازل المنفقين أو العلماء يبلغه الله منازلهم، وإن لم يعمل عملهم.

وقد أخبرنا رسولنا الكريم بأن العجوز بعد أن أعطاها موسىٰ حكمها ذهبت بهم إلىٰ موضع مستنقع ماء، وطلبت منهم أن ينضحوا ذلك الماء، واستخرجوا جسده من ذلك الموضع، فلما رفعوه وساروا به، أضاء لهم الطريق كأنما هم في ضوء النهار.

٣- المرأة التي وعظت عالمـًا (١):

هذه قصة من قصص بني إسرائيل حدّث بها رجل ممّن أسلم منهم، وهي تحكي خبر عالم من علماء بني إسرائيل توفّيت زوجته، فانقطع عن الناس لشدة حزنه عليها، فأصرت امرأة علىٰ مقابلته، وضربت له مثلاً، يصوّر حاله من حيث لا يدري، فانتفع بما ضربته له، وأقلع عن شديد حزنه، ورجع إلىٰ مخالطة قومه.

روىٰ مالك في موطئه عن يحيىٰ بن سعيد، عن القاسم بن محمد، أنه قال: " هلكت امرأة لي، فأتاني محمد بن كعب القرضي يعزّيني بها، فقال: إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد، وكانت له امرأة، وكان بها معجبـًا، ولها محبـًا، فماتت، فوجد عليها وجداً شديداً، ولَقِيَ عليها أسفـًا، حتىٰ خلا في بيته، وغلق علىٰ نفسه، واحتجب من الناس، فلم يكن يدخل عليه أحد.

وإنّ امرأة سمعت به، فجاءته، فقالت: إنّ لي إليه حاجة، أستفتيه فيها ليس

(١) الأشقر، عمر سليمان عبدالله، صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، الطبعةالثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٣٢٥- ٣٢٧ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يجزيني فيها إلا مشافهته، فذهب الناس ولزمت بابه، وقالت: ما لي منه بدّ.

فقال له قائل: إنّ ها هنا امرأة أرادت أن تستفتيك، وقالت: إن أرادت إلا مشافهتك، وقد ذهب الناس، وهي لا تفارق الباب، فقال: ائذنوا لها، فدخلت عليه، فقالت: إني جئتك أستفتيك في أمر، قال: وما هو؟

قالت: إنّي استعرت من جارة لي حُلِيّا، فكنت ألبسه، وأعيره زمانـًا، ثمّ إنّهم أرسلوا إليّ فيه، أفأؤدّيه إليهم؟ فقال: نعم والله، فقالت: إنه قد مكث عندي زمانـًا، فقال: ذلك أحقّ لردّك إيّاه إليهم حين أعاروكيه زمانـًا فقالت: أي يرحمك الله، أفتأسف علىٰ ما أعارك الله، ثم أخذه منك، وهو أحقّ به منك، فأبصر ما كان فيه، وانفعه الله بقولها"[1].

شرح الحديث:

قدم محمد بن كعب القرظي علىٰ القاسم بن محمد يعزيه في زوجته، فحدّثه خبر رجل فقيه عابد عالم من بني إسرائيل، توفّيت زوجته، وكانت أثيرة عنده، حبيبة إلىٰ نفسه، فحزن عليها حزنـًا شديداً، ولشدة حزنه خلا إلىٰ نفسه، وانقطع عن الناس، فلا يأذن لأحد بزيارته.

فجاءت امرأة، ولزمت بابه، طالبة مقابلته لتستفتيه، وأبت أن تصرّح بمسألتها، وأصرّت علىٰ أن تشافهه بها، فلما قابلته سألته عن قوم أعاروها حُليـًا كثيراً حسنـًا، فكانت تلبسه وتعيره، ثمّ إن أهل الحليّ طلبوه، أفيلزمها ردّه إليهم؟

فعجب من سؤال جوابه معروف، وأجابها بوجوب ردّ الحلي لأصحابه.

وكانت إنما ضربت الحليّ المعار مثلاً لحاله مع زوجته، فالزوجة كانت

(١) حديث رواه مالك في موطئه، كتاب الجنائز، باب جامع الحسبة في المصيبة، ص ١٦٣، ورقمه: ٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عنده عارية، وكل ما في الدنيا فهو عارية ووديعة، المال والأهل والولد، ولا بدّ أن يستردّ الله وديعته، وعندما وجهت نظره إلىٰ مشابهة حاله بالحال الذي ضربته له اتعظ، فأبصر وانتفع بعظتها.

تحدثنا في مقدمة هذا الفصل عن سبأ وقصة ملكة سبأ مع هدهد سليمان، ترىٰ، أين تقع سبأ علىٰ الخريطة الجغرافية وما أهمية هذا المكان حتىٰ ذكر في القرآن الكريم سورة باسمه؟

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الرابع:

ملكة سبأ

المبحث الأول: مقدمة

المبحث الثاني: الهدهد والنبأ العظيم

المبحث الثالث: ملكة سبأ مع سليمان – عليه السلام

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول:
مقدمـة

لكي يتسنّىٰ لنا معرفة قصّة ملكة سبأ مع الهدهد لا بدّ من معرفة الخريطة الجغرافيّة لتحديد مكان كلّ منهما.

ملكة سبأ:

أين تقع سبأ؟

وما أهميّة هذا المكان؟

لماذا ذكرت سورة باسم هذا المكان؟

عن ماذا تحدّثت هذه السورة؟ وما علاقتها بملكة سبأ؟

علمنا أن إبراهيم – عليه السلام – هو أبو الأنبياء بعثه الله نبيـًا ورسولا إلىٰ قومه حيث كان يقطن في العراق، ثمّ هاجر إلىٰ البلاد المقدسة؛ أي فلسطين، مع زوجته سارة، لينتقل من ثمّ إلىٰ مصر وليعود ثانية إلىٰ بيت المقدس ومعهما هاجر وجاء الأمر الإلهي بالزواج من هاجر، ثم الانتقال بعد انجابها اسماعيل – عليه السلام – إلىٰ الحجاز ليقوم بإنفاذ أمره تعالىٰ بتأسيس أول بيت من بيوت الله في مكّة المكرّمة، وبعد أربعين عاما تمّ بناء بيت المقدس. وهذا في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ وأخبرنا رسول الله ﷺ عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أوّلا، قال: المسجد الحرام. قلت ثم أي؟ "قال المسجد الأقصىٰ" قلت: كم بينهما قال: أربعون سنة [1].

عاش سيّدنا اسماعيل – عليه السلام – في مكّة إلىٰ أن توفاه، وعاش إبراهيم – عليه السلام – في بيت المقدس، وشهد ولادة إسحاق – عليه السلام – من السيّدة سارة، ومن بعدها شهد ولادة سيّدنا يعقوب – عليه السلام – والمسمّىٰ (بإسرائيل)، الذي رزقه الله من الأولاد إثني عشر، منهم سيّدنا يوسف – عليه السلام – وكان أن غدر إخوة يوسف – عليه السلام – بأخيهم فتمّ انتقاله إلىٰ مصر، ثمّ مجيء أهله إليه في مصر حينما صار يوسف – عليه السلام – عزيز مصر.

منذ ذلك الوقت عاش بنو إسرائيل في مصر فترة من الزمن، إلىٰ أن إنقلب عليهم الفراعنة باستعبادهم وإذلالهم وسبي النساء وقتلهم وقتل أولادهم، حتىٰ ولد سيدنا موسىٰ – عليه السلام – وتوالت الأحداث إلىٰ حين خروجه من مصر حينما أصبح شابا، هربـًا من فرعون مصر إلىٰ مَدْين.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ ونزل الأمر الإلهيّ عليه علىٰ جبل الطور ببعثته نبيا ورسولا إلىٰ بني إسرائيل، وأمر الله –عزّ وجلّ– بإخراج بني إسرائيل من مصر وإعادتهم إلىٰ بيت المقدس. وفي هذا يقول تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء رقم الحديث: ٣٣٦٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[2].

حتىٰ فرعون حين أغرقه الله نطق بهذه الحقيقة قال تعالىٰ: ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[3].

أمّا دعوة موسىٰ – عليه السلام – فهي دعوة جميع الأنبياء من قبله قال

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٨٤-٨٦.

(٢) سورة الأعراف، الآيات: ١٣٠-١٣٥.

(٣) سورة يونس، الآيات: ٩٠-٩٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تعالىٰ: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[2].

وبعدما نصر الله – عزّ وجلّ – سيّدنا موسىٰ – عليه السلام – خرج بنو إسرائيل حتىٰ وصلوا إلىٰ منطقة سيناء، فصدر الأمر الإلهي بالإيمان بالتوراة – كلام الله عزّوجلّ – واتباع منهجه في حياتهم اليوميّة، ولكنهم أشربوا في قلوبهم العجل، ونكسوا في طاعة الله – عزّ وجل – وأرادوا عصيانه فكان أن عاقبهم الله – عزّ وجل – بالتيه مدّة أربعين سنة. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ وقال

(١) سورة المائدة، الآية: ١٢.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٦٣، ١٦٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعالىٰ: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[1].

وظلّ بنو إسرائيل في التيه أربعين سنة إلىٰ أن عادوا علىٰ يد فتىٰ موسىٰ (يوشع بن نون)، وعاشوا في فلسطين، وتفرّقوا، وقامت بينهم الحروب، وأرسل الله لهم الأنبياء، نبيًّا تلو نبيّ، فكانوا يعصون الله، ويقتلون الأنبياء قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾[2].

وهكذا تأصل الكفر في قلوبهم وأشركوا بالله -عزّ وجلّ- وارتكبوا جميع الفواحش وأكبر المعاصي (قتل الأنبياء) إلىٰ أن قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾[3].

لقد سلّط الله عليهم العماليق يسومونهم سوء العذاب، حتىٰ طلبوا الحلّ من نبيّ لهم، فأخبرهم أنّ الحلّ في توحيدهم تحت حكم ملك، فطلبوا منه أن يبعث لهم ملكا قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾[1].

فكان أن اختار لهم ملكا هو طالوت. ولكنّهم رفضوا ذلك، فقال لهم إن الله مرسل آية لهم التابوت قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾[2].

وهذا التابوت توارثه بنو إسرائيل منذ أيام موسىٰ – عليه السلام – وكان مقدّسا عندهم، وكان فيه سكينة لهم، وكانوا يضعون فيه ما توارثوه منذ عهد موسىٰ – عليه السلام.

بعد أن رضخ بنو اسرائيل لهذا الملك قام بإعدادهم للجهاد في سبيل الله، كما عمل علىٰ توحيدهم تحت لواء واحد، وحكم فيهم بشرع الله، ولَمّا تجهّز الجيش للقتال وتوجّه بهم إلىٰ المعركة قال للجنود بأن الله مبتليهم (سيختبرهم) بنهر قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾[3].

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٤٦.

(٢) سورة البقرة الآية: ٢٤٣.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٤٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[1].

عرض القرآن الكريم نموذج ملك رسول هو داوود – عليه السلام – وما تعرّض له خلال سلطان ملكه من فتنة وابتلاء، وفي هذه الفترة بيّن الله – عزّ وجلّ – أنه جعل داوود – عليه السلام – ملكا علىٰ بني اسرائيل وغيرهم، حاكما في الأرض ذا سلطان مؤيد بتأييد الله، منصور بنصر الله، وأعطاه الله – عزّ وجلّ – من الملك وآيات من فضل الله – عزّ وجل: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾[2]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[3].

ومن بعد داود جعل ابنه سليمان ملكًا وهبه الله – عزّوجل – مُلكا لا ينبغي لأحد من بعده، سليمان هو ابن داوود – عليه السلام.

وكان مساعدا لأبيه في الملك والقضاء. قال تعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾[4].

حقّق عبوديّته الصادقة لله، لذلك وصفه الله بأنه نعم العبد، ومقام العبد مقام عظيم.

جميع هؤلاء الأنبياء مسلمون، سيدنا إبراهيم، واسحاق ويعقوب

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١٠.
(٣) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٤) سورة ص، الآية: ٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويوسف وموسىٰ وهارون وداوود وسليمان – عليهم السلام – جاءوا بدعوة واحدة لبني اسرائيل ألا وهي الاستسلام لأمر الله الواحد القهار.

قصة المرأتين اللتين خطف الذئب ابن إحداهما [1][2]:

هذه القصة تظهر عبقريّة نبيّ الله سليمان في إظهار الحقّ في خصومة خلت من الدلائل التي تدل علىٰ صاحب الحقّ، فقد أظهرت أنه يريد قتل الطفل الذي تنازعت فيه امرأتان كلّ تدّعي أنّها أمّه، فظهرت الأم الحقيقيّة التي جادت به للأخرىٰ حتىٰ لا يقتل حفاظاً علىٰ حياته، بينما قبلت الأخرىٰ شقّه نصفين.

كما جاء عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرىٰ: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلىٰ داود – عليه السلام – فقضىٰ به للكبرىٰ، فخرجتا علىٰ سليمان بن داود – عليهما السلام – فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسكين أشقّه بينهما. فقالت الصغرىٰ: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها، فقضىٰ به للصغرىٰ».

وقعت هذه القصة في عهد نبي الله داود – عليه السلام – فقد تحاكمت إليه امرأتان، ذهب الذئب بولد إحداهما، فتنازعتا في الولد الآخر، كل تدعي أنه ولدها، فاجتهد نبي الله داود في الحكم بينهما، فأداه اجتهاده بالحكم به للكبرىٰ بدلائل استدل بها علىٰ ذلك.

فلما خرجتا مارتين علىٰ نبيّ الله سليمان رأىٰ أن يستخدم معهما طريقة يستطيع من خلالها أن يعرف الأم الحقيقيّة، فطلب ممن حوله أن يأتوه بسكين

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص ١٤٩ – ١٥٤ بتصرف.

(٢) الأشقر، عمر سليمان عبدالله، صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، الطبعةالثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليشقّ الغلام بينهما نصفين، فيعطي كل واحدة منهما نصفا، وبذا يعدل بينهما في الحكم، وقد ظنت المرأتان أن سليمان جاد وعازم علىٰ تحقيق هذا الحكم، وهنا ظهر ردّ فعل كلّ وحدة منهما، فالأم الحقيقيّة، وهي الصغرىٰ جزعت من الحكم، لأن فيه هلاك ولدها، فطابت نفسها به للأخرىٰ، لأن في ذلك بقاءه وحياته، وإن كان فيه حرمانها من رعيّته وتربيته، أما الأخرىٰ التي لا تربطها بالطفل رابطة الأمومة، فإنها قبلت بالحكم الذي أظهره سليمان، فاستدلّ سليمان بذلك علىٰ الأم الحقيقية، فحكم لها بالطفل، علىٰ الرغم من إقرارها به للأخرىٰ.

قال النووي رحمه الله تعالىٰ: "توصل سليمان بطريق من الحيلة والملاطفة إلىٰ معرفة باطن القضيّة، وأوهمهما أنه يريد قطعه، ليعرف من يشقّ عليها قطعه، فتكون هي أمّه، فلما عرف أنها أمه، ولم يكن مراده أن يقطعه حقيقة، وإنما أراد اختبار شفقتهما، لتتميّز له الأم، فلما تميّزت بما ذكرت عرفها".

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني:
الهدهد وملكة سبأ

ذكرت قصة سليمان – عليه السلام – في سورة البقرة وفي سورة النساء وفي سورة الأنعام وفي سورة الأنبياء وفي سورة النحل وفي سورة سبأ وفي سورة ص أما بحسب ترتيب نزول الآيات فإن أول ذكر لقصة سيدنا سليمان – عليه السلام – كان في سورة ص تليها سورة النحل، تليها سورة الأنعام تليها سورة سبأ تليها سورة الأنبياء وهذه السورة تنزلت علىٰ قلب رسول الله ﷺ في مكة المكرمة قبل هجرته إلىٰ المدينة. أما في المدينة فقد تنزلت أولا سورة البقرة تليها سورة النساء.

تحدّثت سورة ص عن سليمان وداوود – عليهما السلام – وأشارت إلىٰ حادثة سليمان – عليه السلام – مع الخيل الصافنات، ثمّ إلىٰ فتنته بالجسد الذي ألقاه الله علىٰ كرسيّه، ثم ذكرت بعض مظاهر المُلك الذي وهبه الله له، حيث سخّر له الجنّ والشياطين والريح والطير وهذا في الآيات٣٠-٤٠ كما يلي:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾[1] .

أما في سورة النمل فقد ورد أطول مشهد لقصة سليمان – عليه السلام – من الآيات١٥-٤٤ كما يلي: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ

(١) سورة ص، الآيات: ٣٠-٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

تحدّثت الآيات إلىٰ وراثة سليمان لداوود، وتعليم سليمان منطق الطير، ثم تحدّثت عن مرور سليمان بجيشه علىٰ وادي النمل، وما خاطبت النملة به جنسها، وتعليق سليمان علىٰ ذلك.

ثمّ تحدّثت عن قصة الهدهد الذي غاب عن جيش سليمان – عليه

(١) سورة النمل، الآيات: ١٥-٤٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السلام – واكتشافه لمملكة سبأ في اليمن، فكانت لقطات للقصة في هذه السورة.

أمّا سورة سبأ فتحدّثت عن سليمان – عليه السلام – بعد حديثها عن أبيه داوود – عليهما السلام – وما سخّر الله – عزّ وجلّ – من نعم لسيّدنا سليمان – عليه السلام – ثمّ أشارت إلىٰ وفاة سليمان – عليه السلام – واختتمت هذه القصة عن قصة سبأ وكيف دمّرها الله علىٰ أهلها لما كفروا بالله وهذه في الآيات ١٥-٢١، كما يلي: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾[1].

إذن فما هي قصّة الهدهد؟ وما هي قصّة ملكة سبأ وأين موقع سبأ من الخريطة الجغرافيّة، وكيف انتقل الهدهد إليها في وقت قصير، وما هي العبر والعظات من هذه القصة؟

أما سدّ مأرب فتأتي قصته بعد إسلام أهل اليمن حين أمدّهم الله – عزّ

(١) سورة سبأ، الآيات: ١٥-٢١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وجلّ – بنعم كثيرة أدّت إلىٰ الرخاء والخيرات فجحدوا بما أنعم الله عليهم وكانت نهاية هذه الدولة سيل عرم.

هذه نبذة مختصرة عن وضع سبأ ومكانتها في خريطة شبه الجزيرة العربية.

أما بالنسبة لموقع سبأ فهي عاصمة اليمن، واليمن تقع في جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، يحدّها البحر الأحمر وبحر العرب، قيل أطلق عليها اسم اليمن، لأنها بلاد يُمن وبركة وخير، إذا قيست بالصحارىٰ القريبة منها، وقد جاء اليُمن إلىٰ اليمن من حيث أنها تتمتّع بأرض خصبة وأمطار غزيرة ومنتظمة، وكذلك من مهارة أهلها بحيث استطاعوا أن يحفظوا هذه المياه من الضياع فأقاموا السدود وخزنوا بها المياه بين الجبال وخلف تلك السدود، ثم إنّ من أهم عوامل اليمن أيضا موقعها الذي جعلها ملتقىٰ الرحلات البحريّة التجاريّة التي تأتي من الهند ومن أندونيسيه والصين، حيث تلتقىٰ بالرحلات البريّة وقوافلها التي تسير بين اليمن في أقصىٰ الجنوب وبين الشام في شمال شبه الجزيرة العربية، غير أن اليمن استقبلت عناصر مختلفة من الناس فاختلطت الأنساب، وغنىٰ اليمن هذا هو الذي جلب إليها نظام الحكم الذي لم يعرف في البادية وأهمّ مملكة قامت باليمن مملكة سبأ، ولعل ملكة سبأ ترجع إلىٰ شهرتها في الملك. فما هي قصّتها مع سيّدنا سليمان – عليه السلام؟

وما هو السبب في ذهاب الهدهد إلىٰ هذا المكان؟

هذا ما يبدو في قول الله تعالىٰ في سورة النمل:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾[1].

هذا الطائر هو الهدهد أصفر وردي اللون، له تاج رائع من الريش علىٰ رأسه، وله خطوط سوداء وبيضاء علىٰ جناحيه وذيله، وهو يعيش في الأقاليم الأكثر دفئا في أوروبا وآسيا وأفريقيا. وطيور الهدهد تبني أعشاشها في جحور الأشجار والجدران والصخور، وتضع الأنثىٰ ما بين(٧-٥) بيضات، ويطعم الذكر الأنثىٰ عندما تحضن بيضها، وهي تأكل الحشرات، وتقضي أوقاتا كثيرة علىٰ الأرض باحثة عن غذائها.

وذكر المفسّرون أن الله – عزّ وجلّ – فطر طيور الهدهد علىٰ معرفة مواقع وجود الماء في باطن الأرض، فإذا رفرف علىٰ موضع عُلِمَ أنّ به ماء، ولعلّ هذا من أسباب إتخاذ سليمان – عليه السلام – لطيور الهدهد ضمن جنوده من الطير.

كان سيدنا سليمان – عليه السلام – يتفقّد جيشه دائما ويراقب أداءَهم، وهذا من مظاهر قوّته وحزمه وحسن إدارته، وهي من لوازم كونه ملكا –عليه السلام–. ففي يوم تفقّد الجنود من الجنّ والإنس والطير، ولما جاء دور الطير اكتشف غياب الهدهد قال تعالىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾﴾[2].

---

(١) سورة النملة، الآيات: ٢٠-٢٦.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٢٠، ٢١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يبدو أن للهدهد مهمة وشانًا في جيش سليمان – عليه السلام – لا نحدّدها لعدم وجود نصوص نعتمد عليها في ذلك كما ذكرنا في بداية البحث.

تجلّىٰ حزم سليمان – عليه السلام – وشدّته في قوله: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾[1] قال تعالىٰ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

فبلغ الهدهد أن سليمان – عليه السلام – تفقّد الطير فلم يجده، وأعلم توعّده له بتعذيب أو ذبح، ما لم يأت بسلطان مبين يقدّم فيه عذره الواضح المقبول، فأسرع قادما فحطّ فمكث مكانا غير بعيد عن مكان سليمان.

وبعد أن علم سليمان بحضوره سأله عن سبب تغيّبه قال تعالىٰ: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾.

لقد علّم الله – عزّ وجل – سليمان – عليه السلام – منطق الطير قال تعالىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

لقد أعطىٰ الله – عزّ وجلّ – سليمان علم منطق الطير، وكان يخاطبها بمثل أصواتها فتفهم عنه حديثه لها. لقد جعل الله – عزّ وجلّ – لهدهد سليمان

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢١.

(٢) سورة النمل، الآيات: ٢٢-٢٤.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القدرة علىٰ إدراك هذه القضايا الإيمانيّة إكراما لعبده ورسوله سليمان، والله علىٰ كل شيء قدير، فقد وهب الله عزّ وجلّ سليمان القدرة الخاصة علىٰ إخضاع الجنّ والطير لسلطانه بقوىٰ خفيّة غير مدركة للناس إنما تعرف بآثارها.

فحينما قال الهدهد إني وجدت إمرأة تملكهم، وقد آتاها الله – عزّ وجل – هبات من كل شيء تؤتاه الملوك، من مال وقصور وخدم وعبيد وجنود وأثاث... وغير ذلك ودلّ علىٰ ذلك قول الله – عزّ وجلّ: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ أي لها سرير ملك أو كرسي ملك عظيم، وصفه بالعظمة لنفاسته، وضخامة هيكله وترصيعه بنفائس الجواهر الكريمة... شاء الله أن يقدّم الهدهد خبر سبأ لسليمان – عليه السلام – مع أن سليمان نبيّ رسول يعلّمه الله ما يشاء، ومع أنه وهبه ملكا خاصا، وسخّر الإنس والجنّ والطير له، ومع ذلك فهناك أشياء لم يعرفها، وأماكن لم يحط علما بها.

شاء الله الحكيم أن يخبرنا أنّه مهما تقدّم علم الإنسان فسيبقىٰ جاهلا بالكثير، وأنه حتىٰ أنبياء الله ورسله – عليهم الصلاة والسلام – لم يعلموا كل شيء، وهذا مظهر من مظاهر بشريّتهم القائمة علىٰ الضعف والعجز.

وشاء الله الحكيم أن يأتي علم سليمان – عليه السلام – بسبأ علىٰ يد طير وليس علىٰ يد إنسان عاقل عالم باحث. وهذا كلّه بأمر الله عزّ وجلّ حتىٰ إن سفر الهدهد من بيت المقدس إلىٰ اليمن بحدّ ذاته دالة علىٰ معجزة ربّانية، حيث المسافة بين بيت المقدس واليمن تقارب الألفي كيلو متر! وهي مسافة بعيدة! وتفصل بينهما بقاع كثيرة: نجران وعسير والحجاز ومدين! ومع ذلك سافر الهدهد وحيدا من فلسطين إلىٰ اليمن! واللطيف في التعبير القرآني أنه قال عن غيبة الهدهد ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ وهذه عبارة دالة علىٰ أن فترة غياب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الهدهد عن جيش سليمان – عليه السلام – فترة قصيرة، وكيف ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ مع أن المسافة تحتاج إلىٰ شهور لقطعها؟ فقول الله تعالىٰ: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ تدلّ علىٰ معجزة ربّانية في قطع الهدهد للمسافة بين فلسطين واليمن، فلم يقطعها بالطيران العادي والرحلة العادية، لأن هذا يحتاج إلىٰ شهور.

إنّ الله هو الذي جعله يقطعها، وهو الذي طوىٰ له المكان والطريق، وجعله يجتازها في فترة زمنية يسيرة، ولهذا صارت اليمن – بهذه المعجزة الربانية – قريبة من فلسطين، وليست بعيدة، بينما هي بعيدة في الحساب البشري للمسافر العادي.

قال الهدهد ﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ﴾ .

وكلمة امرأة في الآية نكرة، وهذا التنكير للإيهام حيث لم يذكر القرآن اسم هذه الملكة، كما لم يرد اسمها في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ.

نذكر ما ذكره الله تعالىٰ عنها في القرآن الكريم.

ملكة سبأ حكيمة عاقلة، حصينة هادئة، أوتيت كل شيء من متاع الدنيا، مما يحتاج إليه الملك في ملكه، كانت ملكة سبأ غنيّة مزدهرة تتمتّع بمظاهر الخير والوفاء.

وأهم ما لفت نظر الهدهد هو عرش ملكة سبأ، وعظمته وضخامته، والأهم من ذلك أنهم يعبدون غير الله – عزّ وجل – ويسجدون لغير الله –عزّ وجل – إنهم يسجدون للشمس من دون الله. أي أنهم كفار مشركون بالله يتخذون الشمس إلها، يؤلهونها ويعبدونها ويسجدون لها، ولا يؤلهون الله ولا يسجدون له.

ويعقّب الهدهد علىٰ ذلك أنّ الشيطان زيّن لهم أعمالهم، أي إنّ الشيطان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هو الذي زيّن لقوم سبأ الكفار أعمالهم السيئة، وأراهم إياها حسنة، فتفاعلوا بها وصدّهم ذلك عن سبيل الحقّ، وساروا في طريق الباطل.

قال تعالىٰ: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾، هذا الهدهد العجيب، صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة في عرض النبأ، ويقظة إلىٰ طبيعة موقفه،... فهو يدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعيّة. ويدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله.

ويدرك أن السجود لا يكون إلا لله، وأن الله هو ربّ العرش العظيم، والهدهد في هذا الموقف يقف موقف المذنب، الذي لم يقض الملك في أمره بعد، فهو يلمح في ختام النبأ الذي يقصه، إلىٰ الله الملك القهار، رب الجميع، مالك العرش العظيم، الذي لا تقاس إليه عروش البشر قال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾.

إلىٰ هنا يتوقّف قول الهدهد، ويصمت ليأتيه الإجابة من سيدنا سليمان – عليه السلام – أما سيّدنا سليمان – عليه السلام – فلم يتسرّع في تصديقه أو تكذيبه فهو لا يستخفّ النبأ العظيم الذي جاء به، وإنما سيتعرّف علىٰ مدىٰ صحّة قوله، أصادق في إخباره هذا أم إنه كاذب، قال تعالىٰ: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

***

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثالث:
ملكة سبأ مع سليمان -عليه السلام

الهدف من ذكر هذه الآيات التي تنزلت علىٰ قلب رسول الله ﷺ، هو أن امرأة في التاريخ ذكرت في الماضي تعلّم قومها الإسلام والإستسلام لربّ العالمين، وأنّ المناصب والرياسات والعصبيّات التي كان أهل قريش متمسّكين بها ما هي إلا أوهام زائلة، فماذا حدث مع ملكة سبأ وما هو سبب إسلامها بعد أن كانت تعبد الشمس من دون الله؟ ذكرت قصة إمرأة في التاريخ لتجعل رجال قريش يعودون عن عنادهم وكبرهم وطغيانهم، ولأنها أسلمت مع سليمان – عليه السلام – في مرحلة بداية الدعوة إلىٰ الله، بينما ما زال قوم قريش يعطون المرأة الدونية ويعتقدون أن المرأة ليس لها أي أهمية في الحياة البشرية فها هي امرأة، وليست امرأة عادية بل هي ملكة وليس هذا فقط بل لديها الذكاء والحصافة والفطنة، ولها حكم الشورىٰ في مملكتها، وهذا تقدير للمرأة عامة إذ ذكرها القرآنه وأظهر صفاتها وقدراتها علىٰ إدارة المملكة. ونتساءل ماذا حدث بعد أن أراد سيّدنا سليمان – عليه السلام – اختبار الهدهد؟

قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾[1].

كلّف سيّدنا سليمان – عليه السلام – الهدهد بالذهاب إليهم وأمره بأربعة أوامر:

الأمر الأول: حمل الكتاب.

الأمر الثاني: بإلقاء الكتاب الذي هو من سليمان – عليه السلام.

الأمر الثالث: أن يبتعد عنهم قليلا بحيث يرىٰ أثر الكتاب علىٰ الملكة ومستشاريها.

والأمر الرابع: أمره أن يحسن مراقبة الأمر وتسلسل الأحداث.

وهذه الأوامر الأربعة للهدهد توحي بالمهمة الدعوية الموكلة إليه، إن الهدهد مأمور بالتصرف في هذه المهمة بمنتهىٰ الموضوعيّة كأنه إنسان عاقل واعٍ حكيمٌ، وليس طائرا من الطيور.

وهذا يشير إلىٰ أن الأمر معجزه من الله سبحانه، وأداء الهدهد لهذه المهمّة، وتنفيذه لهذه الأوامر معجزة من الله سبحانه وتعالىٰ.

ماذا فعلت ملكة سبأ؟

وصل الكتاب إلىٰ الملكة، وفتحته وقرأت الكتاب، إنه موجّه من سليمان ومكتوب في هذا الكتاب:

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٩-٣٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

"إنه من سليمان، وإنه ألا تعلو عليّ وأتوني مسلمين"

هذا هو نصّ الرسالة وهذا الكتاب مختصر موجز، وهذه الرسالة دليل علىٰ أنّ الدين واحد عند جميع الأنبياء، مع اختلاف بيئاتهم، وأمرهم بعدم التكبّر عليه أو رفض دعوة الله – عزّ وجلّ – وأمرهم أن يدخلوا في دينه وهو دين الإسلام.

كما شرحنا سابقا الإسلام هو دين إبراهيم – عليه السلام – ودين إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسىٰ وهارون – عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2].

دعت الملكة الحاشية لاستشارتهم، في الرّد والجواب، والإتفاق معهم علىٰ التصرّف المناسب.

قالت لهم: إنه جاءها كتاب كريم، إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين. فقالت أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتىٰ تشهدون.

وفي هذه تبدو سمة الملكة المدركة، فواضح منذ اللحظة الأولىٰ أنها

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخذت بهذا الكتاب الذي أُلقي إليها من حيث لا تعلم، والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء. وقد نقلت هذا الأثر إلىٰ نفوس الملأ من قومها وهي تصف الكتاب بأنه "كريم" وواضح أنها لا تريد المقاومة والخصومة، ولكنها لا تقول هذا صراحة، إنما تمهّد له بذلك الوصف. ثم تطلب الرأي بعد ذلك والمشورة!

وعلىٰ عادة رجال الحاشية أبدوا استعدادهم للعمل، ولكنهم فوّضوا للملكة الرأي:

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) ﴾.

وهنا تظهر شخصية "المرأة" من وراء شخصية الملكة. المرأة التي تكره الحروب والتدمير، والتي تنفي سلاح الحيلة والملاينة قبل أن تنفي سلاح القوة والمخاشنة:

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) ﴾.

قال ابن عباس: قالت لقومها: إنْ قَبِلَ الهديّة فهو ملك.

فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبّي فاتّبعوه.

وقال قتاده: ما كان أعقلها في شركها وإسلامها، علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس.

جهزت الملكة هدية ثمينة لسليمان – عليه السلام –، هدية ملكة غنيّة، لملك كريم، تستعطفه وتسترضيه، وتدعوه إلىٰ المسالمة والمهادنة.

وحمل وفد من قومها الهدية، وغادروا اليمن متوجهين إلىٰ سليمان – عليه السلام – بفلسطين. وكانت الملكة تنتظر نتيجة زيارة الوفد، ورد سليمان علىٰ تلك الهدية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وصل الوفد إلىٰ بيت المقدس، ودخلوا علىٰ سليمان – عليه السلام – وقدّموا الهديّة له. قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾[1].

لمّا جاء الوفد سليمان، وقدّموا له الهديّة، ووضعوها أمامه، رفض قبولها، واستعلىٰ عليها، وأنكر عليهم تقديمها، واعتبرها رشوة من ملكة سبأ له، ولهذا لم يأخذها.

قال لهم: أتمدونني بمال؟ أترشونني بهذا المال؟ اعلموا أنني لست بحاجة إلىٰ مالكم وهديّتكم ورشوتكم، فما آتاني الله خير مما آتاكم.

اعترف أمامهم بأنّ فضل الله عليه كبير، أنعم عليه بالنعم الكثيرة، والخير الجميل، النحاس والريح والجنّ والإنس والطير.

وكأنه يقول لهم: أنا لست ممّن تقدّم له الرشوة باسم الهديّة، لأنّ الله أغناني عنها بما آتاني ومنحني.

أنتم الذين تأخذون الرشاوي والهدايا ﴿بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾.

ثم هدّدهم بغزوهم، فإما أن يسلموا معه ويدخلوا في دينه، وإما يخرجهم من بلادهم ويذلّهم.

وعاد الوفد إلىٰ سبأ، يحمل معه هديّة الملكة، بعد أن رفضها سليمان – عليه السلام – وأخبر الوفد الملكة والملأ بما شاهد في مقرّ سليمان – عليه السلام – من مظاهر القوة والخير والتمكين، كما أخبروهم بعزة سليمان – عليه

(١) سورة النمل، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السلام – وعفّته، وترفعه عن هديّتهم، وتصميمه علىٰ قتالهم، واحتلال بلادهم إن لم يدخلوا في دينه.

عند ذلك عرفت الملكة حقيقة ما عليه سليمان – عليه السلام – وأي نوع من الملوك هو وأيقنت هي وملؤها أن سليمان رجل دعوة وليس جامع مال، وأنه قادم لحربهم لا محالة، وأنه لا قدرة لهم علىٰ قتاله.

واقتنعت الملكة بأنّ سليمان علىٰ حقّ، وأن دينه هو الحقّ، وأن الله معه بالتأييد والتمكين، وأن الشمس التي تعبدها هي وقومها لا تضرّ ولا تنفع، ولا تدفع عنهم الشرّ والأذىٰ، ولا تقدم لهم الخير والنصر، واقتنع الملأ من قومها بما اقتنعت هي به، وأصبحوا قريبين جدا من الإسلام.

وكان الخيار الذي أمامها أن تأتي هي بنفسها، ومعها كبار قومها، وأن تزور معهم سليمان – عليه السلام – وأن يلتقوا به في بيت المقدس، وأن يدخلوا في دينه.

وتجهز الوفد بقيادة الملكة، ليقوموا برحلتهم الإيمانية، ثم ساروا من عاصمة سبأ في اليمن إلىٰ بيت المقدس في فلسطين!!

وعلم سليمان – عليه السلام – بتوجه الملكة مع الوفد، للإسلام بين يديه، وأراد أن يريها آية ربانية باهرة، تدل علىٰ أن الله معه، يمنحه من القوّة والتمكين والتأييد الكثير. إن الآية هي إحضار عرش الملكة. قال تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾[1].

تنصّ الآية أنه كان لسليمان – عليه السلام – ملأ، وهم فريق من المستشارين حوله، يشيرون عليه بالخير، ويساعدونه في شؤون الحكم.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعرض سليمان – عليه السلام – علىٰ أولئك الملأ، أن يتكفّل أحدهم بإحضار عرش ملكة سبأ، قبل أن تصل مع الوفد إليه.

لقد تركت ملكة سبأ عرشها العظيم خلفها في قصرها، تحت الحراسة الأمنية الشديدة اليقظة من الحراس، وسليمان – عليه السلام – يريد من أحد رجال الملأ إحضار ذلك العرش قبل وصول الملكة.

وهدف سليمان – عليه السلام – من ذلك أن يري الملكة ووفدها مزيدا من مظاهر قوته، وعظمة نفوذه، وضخامة سلطانه وإمكاناته، وذلك ليقضي علىٰ أيّ وساوس في نفوس الوفد بالمواجهة أو المقاومة، وليزيل أيّ شكوك في نفوسهم عن الإيمان والإسلام، ويزدادوا قناعة بعدم نفع معبوداتهم لهم، ويزدادوا يقينا بأنه لا إله إلا الله، وذلك ليؤمنوا بسليمان – عليه السلام – نبيا رسولا، ويدخلوا في دينه.

إنه يوقن أنهم قادمون إليه، وأنهم سيسلمون بين يديه، وحركة إحضار العرش تساعد علىٰ تقريبهم من الإسلام، وتعجل دخولهم فيه.

وقد أوشك تحقيق طلب سليمان لهم في رسالته السابقة حيث قال لهم: "لا تعلوا عليّ، وأتوني مسلمين". فها هم في طريقهم إليه ليسلموا: قبل أن يأتوني مسلمين.

علىٰ من تكفل بإحضار العرش أن يكون أسرع من الملكة ووفدها، فقد غادروا عاصمة سبأ من فترة، وهم قريبون من عاصمة سليمان – عليه السلام – وعلىٰ ذلك الشخص أن يذهب إلىٰ عاصمة سبأ، ويحضر العرش، ويدخل به علىٰ سليمان، كل هذا في وقت قصير، قبل وصول الوفد!!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقُدّم لسليمان – عليه السلام – عرضان لإحضار العرش [1]:

الأول: من عفريت من الجن، **والثاني**: من شخص عنده علم بالكتاب.

عرض الجني العفريت إحضار العرش خلال ساعات : عرض العفريت من الجن، أخبرنا الله عنه بقوله تعالىٰ: ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾**﴾[2].

تكفل العفريت بإحضارالعرش قبل أن يقوم سليمان –عليه السلام – من مقامه!

وهذا خارق من خوارق الله يجريه علىٰ يدي العفريت الجني، كرامة له، لأن المسافة بعيدة جدا بين اليمن وفلسطين، تحتاج إلىٰ شهور ذهابا وإيابا، فكيف سيذهب ذلك العفريت إلىٰ اليمن، ويعود بعرش الملكة، خلال ساعات؟ وقبل أن يقوم سليمان من مقامه؟!

إن هذا الخارق كرامة من الكرامات، أكرم الله بها ذلك العفريت المؤمن، فأجراها الله علىٰ يديه، وهي من فعل الله في الحقيقة.

وأعلن العفريت عن قدرته في المحافظة علىٰ العرش، فقال: ﴿**وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ**﴾.

وصف نفسه بصفتين: القوة والأمانة، وهما صفتان ضروريتان لإحضار العرش، ويجب توفّرهما في من يكلّف بإحضاره.

لا بدّ لمن يحضره أن يكون قويا في بدنه، ليتمتّع بالقدرة علىٰ حمل العرش

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص٥٥٢ – ٥٥٧ بتصرف.
(٢) سورة النمل، الآية: ٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الكبير، والسير به مسافاتٍ طويلة، والعرشُ ثقيلُ الوزن، لا يقدر علىٰ حمله إلا القوي القادر.

ولا بدّ أن يكون أمينا أيضا، والأمانة قوّة أخلاقيّة، تضاف إلىٰ القوة الخلقيّة، وهذه الأمانة تعصمه من أن يمدّ يده إلىٰ زينة العرش، من الذهب والجواهر واللآليء، ومن لم يكن أمينا فسيختلس تلك الزينة.

إن ذلك العفريت قوي أمين، لأنه مؤمن، جندي في جيش سليمان، ومن الملأ المقرّبين عنده، وهو ثمرة من ثمار تربية سليمان – عليه السلام – الإيمانية لأتباعه.

وهذا العفريت الجنّيّ مبهم من مبهمات القرآن، فلا نعرف اسمه، ولا نعرف وظيفته عند سليمان، ولا نعرف مركزه في الجن.

معنىٰ العفريت والفرق بينه وبين الشيطان.

لكن ما معنىٰ"عفريت"؟

"**العفريت هو**: المتمرّد من الجن، الخبيث منها. وقيل: هو من الجن النافذ القوي مع خبث. ويستعار ذلك للآدميين استعارة الشيطان لهم.

العفريت هو الجنيّ القويّ المتين المسيطر، كثير الحركة، واشتقاقه من العفر وهو التراب، فكأنه بحركته الكثيرة المستمرة يثير التراب والغبار.

وقيدت الآية كون العفريت من الجن، ولا يطلق علىٰ الإنسان إلا من باب الإستعارة.

وهناك فرق بين العفريت الجني والشيطان الجني، لأن الكلمتين وردتا في القرآن، ونعلم أنه لا ترادف في القرآن.

العفريت الجني هو الجني المؤمن التقي القوي، كثير الحركة والنشاط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بدليل أن العفريت الجني كان مقربا عند سليمان – عليه السلام – ولا يقربه سليمان إلا إذا كان مؤمنا، وهو قوي أمين، كما عرّف علىٰ نفسه، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مؤمنا أيضا!.

عرض صاحب العلم بالكتاب إحضار العرش في لحظات:

وإذا كان عرض العفريت الجنّيّ أن يحضر عرش ملكة سبأ قبل أن يقوم سليمان – عليه السلام – من مقامه، فقد قدّم الذي عنده علم من الكتاب عرضا آخر أسرع.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[1].

قال لسليمان – عليه السلام: استطيع أن آتيك بعرشها قبل أن يرتد إليك طرفك.

والطرف هو تحريك جفن العين.

فمعنىٰ قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾: امدد بصرك، وانظر إلىٰ شيء بعيد، يصله نظرك، ومدَّ طرفك إليه، فإنه لا يرتد إليك طرفك، إلا وعرشها حاضر عندك، موجود بين يديك!!

فإذا كان العفريت يقدر علىٰ إحضار العرش خلال ساعات، فإن الذي عنده علم من الكتاب يقدر علىٰ إحضاره خلال ثوان معدودات!!. لأن مدّ البصر إلىٰ شيء بعيد، وإرسال الطرف إليه، ثم إعادته لا يستغرق إلا ثوان قليلة.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فهذا الذي عنده علم من الكتاب سيطوي المسافة الطويلة من اليمن إلىٰ بيت المقدس، وسيقطعها في لحظات!!.

إنه لن يفعل ذلك بنفسه، وإنما سيفعله بأمر الله، فالله هو الذي سيأتي بالعرش في الحقيقة، ولكنه سيجريه علىٰ يد الذي عنده علم من الكتاب، وستكون هذه الخارقة كرامة من الله لهذا الرجل الصالح العالم.

وبما أنه من فعل الله في الحقيقة، فلا غرابة في هذا ولا استحالة، فالله سبحانه فعّال لما يريد، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وقد أبهم القرآن هذا الشخص الذي سيحضر العرش في لحظات، ولم يصفه إلا بأنه ﴿ عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾. ولا يوجد حديث صحيح مرفوع للنبي ﷺ يتحدّث عنه، ويضيف جديدا إلىٰ ما في القرآن.

ولا نقول فيه إلا أنه رجل عنده علم من الكتاب، فلا نعرف اسمه، ولا نسبه، ولا جنسه أهو من الجن أم من الأنس، ولا وظيفته وعمله عند سليمان – عليه السلام!!

و"الكتاب" هو كتاب الله الذي يحكم به سليمان – عليه السلام – ونعلم أن أنبياء وحكام بني إسرائيل كانوا يطبقون علىٰ قومهم أحكام التوراة، كما نعلم أن الله أنزل الزبور علىٰ داوود – عليه السلام – وجعله مكمّلا للتوراة.

وهذا معناه أنّ سليمان – عليه السلام – كان عنده كتابان، وهما: التوراة، والزبور. وتنطبق عليهما كلمة "الكتاب".

فهذا الرجل كان ﴿ عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي:علم أخذه من التوراة والزبور، علمه الله إياه، وكان بهذا العلم المستمد من الكتاب قادراً – بإذن الله – علىٰ إحضار العرش في لحظات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولم يتحدّث القرآن عن العلم الذي أخذه هذا الرجل من كتاب الله، وعبر عنه بكلمة "علم"، وهي نكرة، والتنكير هنا مقصود، فهو دعوة لنا كي لا نخوض في تحديد هذا العلم، لأن الآيات والأحاديث الصحيحة لاتحدّده، وتحديده أمر غير علمي ولا منهجي.

كان عند الرجل علم خاص، خصّه الله به، واستمدّه من التوراة والزبور، وبهذا العلم اللدُّنّي الربانيّ استعد لإحضار العرش في لحظات!!

وطلب سليمان – عليه السلام – من هذا العالم إحضار العرش، لأنه قدّم أسرع العروض، وأقلّها زمانا!!

وأرسل سليمان – عليه السلام – طرفه، وهو جالس مكانه، ونظر إلىٰ بعيد، وقام الذي عنده علم من الكتاب بإحضار العرش، ومرّت لحظات قصيرة، وما أن أعاد سليمان – عليه السلام – طَرفه حتىٰ رأىٰ العرش مستقرا عنده!!

كيف أحضره في لحظات؟

الأمر ليس خاضعا لمقاييس البشر، ولا لطاقاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم، وهو بالحساب البشري مستحيل!

لكنّ الأمر أمر الله سبحانه، والله فعال لما يريد، وليس عليه شيء مستحيل، وإذا أراد شيئا يأمره أن يكون، فيكون كما أراد سبحانه.

الله هو الذي أحضر عرش ملكة سبأ من اليمن إلىٰ فلسطين في لحظة، وما دور الذي عنده علم من الكتاب إلا ظاهريّ خارجيّ، فالله أجرىٰ هذه الخارقة علىٰ يديه، تكريما له.

فلا مجال للإستغراب أو الدهشة أو الإنكار إذن، وبما أنّ الله أخبرنا في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القرآن أنه حصل، فلا بدّ أن نؤمن أنه حصل، وأن نصدق إخبار اللهِ عنه في القرآن ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ؟ لا أحد.

لما رأىٰ سليمان – عليه السلام – عرش ملكة سبأ أمامه ماذا قال؟

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

أقبل سليمان علىٰ اللهِ حامداً شاكراً، واعتبر إحضار العرش فضلا من الله عليه، يُضاف إلىٰ أفضاله الكثيرة، ونعمة من الله عليه تُضاف إلىٰ نعمه الغامرة.

وعرف أن إنعام الله عليه بهذا إنما هو ابتلاء وامتحان له، يريد الله أن يبلوَه ويختبرَه، والنتيجة هي أنه إما أن يشكر الله علىٰ هذا، وإما أن يكفرَه ويجحده وينكر فضله.

وما سليمان – عليه السلام – إلا عبدٌ شاكرٌ ذاكرٌ لله، منيب أوّاه أوّاب إليه، وهنا يبرز ويظهر اختلاف موقف الناس من نعم الله، فمنهم من يشكر الله عليها، ومنهم من يكفرُها ويجحدها.

وسبحان من لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية!!.

وذكّرَ سليمان – عليه السلام – في هذه المناسبة بِغنىٰ الله عن عباده، فالشاكر لا ينفع الله بشكره، والجاحد لا يضرّ الله بجحوده، فأثر الشكر الطيّب يعود علىٰ صاحبه، وهو بذلك يشكر لنفسه، وأثر الجحود السيء يعود علىٰ صاحبه، وهو الذي يخسر.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمّا الله، فإنه غنيٌّ كريم، غنيٌّ عن شكر الشاكرين، كريم لا يضرّه كفر الكافرين.

وهذه حقيقة إيمانية اعتقادية جاء جميع الأنبياء والرسل بها، وقرّروها بوضوح تام.

وبيّنها لنا رسول الله ﷺ بألفاظه، فيما يرويه عن ربّه. فقد روىٰ مسلم[1] والترمذي وغيرهما عن أبي ذرّ الغفاري – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربّه، أنه قال: «يا عبادي: إني حرّمت الظلم علىٰ نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا.

يا عبادي: كلّكم ضالّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم.

يا عبادي: كلّكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي: كلّكم عارٍ إلا من كَسَوْته، فاستكسوني أكسكم.

يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي: إنكم لن تبلغوا ضرّي فتضرّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي: لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا.

ياعبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل واحد منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئا.

يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد،

---

(١) أخرجه مسلم برقم: ٢٥٧٧، والترمذي برقم: ٢٤٩٥، وجامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي الجزء الثاني، ص٣٢ -٥٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فسألوني، فأعطيت كلّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر.

يا عبادي: إنما هي أعمالكم، أُحصيها إليكم، ثم أُوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنّ إلا نفسه».

وشكر سليمان ربّه لما رأىٰ العرش مستقرا أمامه، يذكُرُ بذكره وشكره لله لما سمع كلام النملة في وادي النمل: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩﴾[1].

إنه أوّاه منيب لله، وكلّما أنعم الله عليه بنعمة، عرف أنها منه سبحانه، فازداد إيمانا وذكرا وشكرا لله.

وهو في هذا أسوة حسنة لمن بعده، وبخاصة الذين يمنّ الله عليهم بالتمكين والحكم والسلطان والجاه والزعامة، فهو لم تفتنه النعمة، ولم تغرّه القوّة، ولم يتحوّل بمظاهر السلطان والحكم إلىٰ جبّار متكبرّ متسلّط باطش، ولم يطغ ويبطر ويستبد، وحاشاه من ذلك.

وهكذا يجب أن يكون أصحاب الجاه والسلطان والزعامة والقوّة، فلا تقودهم هذه الأمور إلىٰ أمراض الزعامة وآفات القيادة ونقائص القوة الاستبدادية، وإنما يعتبرون أن هذه الأمور نِعَمٌ من الله، فيزدادون بها ذكرا وحمدا وشكرا لله، ويستخدمونها في نفع عباد الله، ودفع الضرّ عنهم، ويستفيدون بها مزيدا من التواضع والإخبات والإنابة إلىٰ الله. ويقتدون في ذلك بسليمان عليه – الصلاة والسلام.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سليمان يمتحن الملكة بتنكير عرشها (١):

وبعد أن رأىٰ سليمان – عليه السلام – عرش ملكة سبأ عنده، وقبل وصول الوفد إليه، أراد أن يمتحن ملكة سبأ، ليعرف مدىٰ ذكائها وفطنتها، فهي ستكون عنده بعد قليل، وسترىٰ العرش عنده، عرشها هي، فهل ستعرفه أم لا؟

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ (٢).

طلب سليمان – عليه السلام – من رجاله أن "ينكروا" لملكة سبأ عرشها، وتنكير عرشها بإجراء بعض التغييرات عليه، تغييرات شكلية ظاهرية جزئية، لا تمس حقيقة العرش، ولا تغير صورته الحقيقية.

وصرّح سليمان – عليه السلام – بأنّ هدفه من هذا التنكير والتغيير الجزئي، هو امتحان ذكاء ملكة سبأ، واختبار فطنتها وقوّة ملاحظتها.

ذكاء الملكة في جوابها: كأنه هو:

نظرت ملكة سبأ بإمعان إلىٰ العرش. إنه عرشها! وإنّ مظاهر التنكير والتغيير عليه لم توقعها في اللبس، إنها تعرفه عن يقين.

ووقعت الملكة في الحيرة والتساؤل: هل من الممكن أن يكون عرشها؟ لقد خلَّفته وراءها، وعليه الحراس والحفاظ الأمناء! فهل من الممكن أن يكون هنا؟ ومَن الذي أتىٰ به؟ وكيف أتىٰ به؟

ولنفترض أنه ليس عرشها، وأنه عرش سليمان – عليه السلام – فهل من الممكن أن يتشابه العرشان ويتماثلا إلىٰ هذه الدرجة؟

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص ٥١٢- ٥٦٧ بتصرف.

(٢) سورة النمل، الآية: ٤١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لو قالت هكذا عرشي لأخطأت! ولو قالت: هذا عرشي لأخطأت حسب الظاهر. فبماذا تجيب علىٰ السؤال؟

أمامها ثلاث إجابات [1]:

الأولىٰ: هذا عرشي. ولو أجابت بهذه الإجابة لكانت ساذجة، لأنها ستّتهم رجال سليمان بأخذ العرش من قصرها ونهبه وإحضاره إلىٰ هنا، وهذا الإتهام لا يتّفق مع "الكياسة" الرسميّة بين ملكة قادمة لزيارة ملك. فكيف تبدأ زيارتها باتهام رجال الملك بسرقة عرشها؟

الثانية: ليس هو: ولو أجابت بها لما كانت فطنة، إذ يشبه هذا العرش عرشها في معظم الأمور، فكيف تقول: ليس هو؟

فما هو المخرج؟ وما هو الجواب المناسب الذي يقود إلىٰ حسن التخلّص؟

الثالثة: "كأنه هو"، وهذه هي الإجابة المتّفقة مع الحكمة والفطنة.

إنّ حرف التشبيه": كأنّ" يدل علىٰ الشبه الكبيربين العرشين، حتىٰ كأنه لا فرق بينهما.

تعليق سليمان علىٰ جواب الملكة الحائر:

وعلق سليمان – عليه السلام – علىٰ دهشة ملكة سبأ وحيرتها بقوله:

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [2].

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص ٥٦٠- ٥٦١ بتصرف.

(٢) سورة النمل، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبيّن سليمان – عليه السلام – في هذا التعقيب الفرق الجوهري بين الحالتين: بين حالته هو، وحالة ملكة سبأ، ويوضّح سرّ تفوّقه عليها.

هو مسلم خاضع لله، وآتاه الله العلم نعمة ومنّة منه، فأحسن الاستفادة من هذا العلم الذي آتاه الله إياه. وهذا العلم يشمل العلم المعنوي القائم على المعرفة والتحصيل، وإعمال العقل والذهن، وإدراك الأمور والحقائق، كما يشمل العلم الماديّ المبني عليه، الذي هو الاختراعات والصناعات.

أما ملكة سبأ فلم تؤت العلم ولا الإسلام، فقد صدّها عن الإسلام والإيمان الآلهة الباطلة التي كانت تعبدها من دون الله، كالشمس، وعبادتها للشمس جعلتها كافرة من قوم كافرين.

وكفرها حرمها الإسلام، وسلبها العلم، وجعلها تنهزم أمام سليمان – عليه السلام – العالم المسلم، رغم أنها أوتيت من كل شيء، لكن ما أوتيته كان قليلا ضئيلا أمام ما أوتيه سليمان – عليه السلام.

سليمان يفاجئ ملكة سبأ بالصرح الممّرد من قوارير (١):

وبينما كانت ملكة سبأ تحت تأثير الدهشة والحيرة من العرش الذي شاهدته وسئلت عنه، وهي في طريقها إلى قصر سليمان – عليه السلام – للالتقاء به، وعندما وقفتْ على باب القصر تهمّ بدخوله، وجدت سليمان – عليه السلام – قد أعد لها مفاجأة أخرى مذهلة.

وقد أخبرنا الله عنها في قوله تعالى: ﴿**قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي**

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، الجزء الثالث، ص ٥٦٢– ٥٦٥ بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

لم يكن القصر من حجارة وطين، وإنما كان قصراً من بلّور زجاجيّ، وقد جهز مدخله بطريقة عجيبة مثيرة، حيث كان مدخله من زجاج متين سميك، وهذا الزجاج بني علىٰ عين ماء أو بركة ماء، فإذا نظر له القادم لم يرَ الزجاج، وظن أنه مقبل علىٰ حوض الماء ليصل إلىٰ القصر، فيستعدّ لخوض الماء برفع ثيابه ويكشف عن ساقيه.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾: كان سليمان – عليه السلام – واقفا علىٰ باب القصر لاستقبالها، فدَعَوها إلىٰ المسير إليه، ودخول الصرح عليه.

والصّرح هو القصر العالي.

تقول:صَرُح الشيء، يَصْرُحُ، صراحة: إذا صفا وخلص مما يشوبه.

وبيّن الإمام الراغب حكمة تسمية القصر صرحا، فقال: "الصّرحُ: بيتٌ عال مُزَوّق، سمي بذلك اعتبارا بكونه صرحا عن الشوب. أي: خالصا".

ظنّت الملكة الزجاج لجّة: بحراً فكشفت عن ساقيها، لـمّا دعيت ملكة سبأ لدخول الصرح رأت الماء بينها وبين مدخله، وتحيّرت: كيف ستصل إلىٰ سليمان الواقف علىٰ باب الصرح؟ إذن لا بد أن تخوض الماء، فاستعدت لذلك، وكشفت عن ساقيها، ورفعت ثوبها: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ولنتصوّر سخرية الواقفين مع سليمان، العارفين بحقيقة هذه الماء، من الملكة، وهي ترفع ثوبها وتكشف عن ساقيها، لتقطع ما حسبته لجّة.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه الملكة القويّة الغنيّة الذكيّة، التي تملك دولة غنيّة، حيث أوتيت من كل شيء، ولها عرشٌ عظيم، وتتمتّع بفطنة وحصافة، لكنها الآن صارت مجالا للسخرية، وأصبحت حركتها شبه ساذجة، لأنها لا تعرف حقيقة الماء الذي أمامها.

وقبل أن تخطو قدماها خطوتهما الساذجة خاطبها سليمان – عليه السلام – بقوله: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَاْ﴾!!. وهذه الإجابة زادت من استغراب ودهشة ومفاجأة هذه الملكة، التي مرت بسلسلة من المفاجآت المثيرة.

ملكة سبأ تفتح قلبها للإيمان وتدخل في الإسلام:

فكّرت ملكة سبأ في المفاجآت المثيرة المدهشة التي فاجأها بها سليمان – عليه السلام – وآخرها هذه المفاجأة: قصرٌ عالٍ مرتفع، مبنيّ من الزجاج الصافي الأملس، ليسَ فيه طين أو حجر، وأمام القصر بركة من الماء، مغطاة بطبقة من الزجاج السميك الآمن، يسير فوقها الإنسان بأمان والماء تحته.

إذن تمتّع سليمان بقوّة كبيرة، وتوفّرت له الكثير من أسباب ومظاهر وألوان هذه القوة، قوّتها هي لا تساوي شيئا أمام قوّته هو!!

ودخلت ملكة سبأ القصر الزجاجيّ المنيف، والتقت بسليمان – عليه السلام–، وحدّثها وحدّثته، وعرض عليها سليمان – عليه السلام – الدخول في الإسلام، وأثبت لها وحدانيّة الله، ونفي ألوهية غيره، وقدّم لها الدعوة، وأقام عليها الحجّة.

وفتحت ملكة سبأ عقلها وقلبها لكلامه، واستعرضت مسلسل الأحداث مع سليمان – عليه السلام – منذ البداية: تذكّرت كتاب سليمان لها، الذي حمله الهدهد بطريقة مثيرة، وتذكّرت الصرح الممرّد من قوارير، وكيف أُحرجت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عندما حسبته لجّة من الماء، وتذكّرت جيش سليمان المكوّن من الجنّ والإنس والطير، والصناعات الحديديّة والنحاسيّة والزجاجيّة، التي يصنعها له الجنّ...

وخرجت بنتيجة قاطعة: هذه القوة ليست بجهد سليمان الشخصيّ، ولا بقدرته الذاتيّة. إنها تدلّ علىٰ أنّ الله معه، سخّر له هذه الطاقات والإمكانات، وَوَهبه هذه القوىٰ والقدرات.

ثم فكّرت في كلام سليمان في بيان الحقّ والإيمان والوحدانية، ونفي الشرك وألوهيّة غير الله. وعرفت أنّ كلامه صواب، وأنه علىٰ حقّ، وأنّ دينه هو الحقّ، أما ما كانت عليه هي وقومها فهو باطل.

وشرح الله صدرها للإيمان. فأعلنتها صريحة واضحة: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: ظلمت نفسي بالكفر، والسجود للشمس، وعبادة غير الله، وآن الأوان للتخلّي عن الكفر، والخروج من هذا الظلم.

والطريق الوحيد هو الإسلام. ولهذا قرّرت أن أسلم مع سليمان لله ربّ العالمين.

وهكذا دخل قوم سبأ في الإسلام:

وتحوّلت ملكة سبأ من كافرة معادية لسليمان – عليه السلام – إلىٰ امرأة مؤمنة بالله، مسلمة معه لله، تشاركه العبودية والطاعة والإستسلام لله، ربّ العالمين!

ولما أسلمت، أسلم الوفد القادم معها، وصاروا عابدين خاضعين لله ربّ العالمين.

وخرج الجميع من قصر سليمان مسلمين، وعادوا إلىٰ "سبأ" دعاة إلىٰ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإسلام، ودخل أهل سبأ في دين الله، وصاروا مسلمين.

وتوقف عرض القرآن لقصة سليمان مع ملكة سبأ عند هذه اللقطة الختامية، وسكت عما تلا ذلك من مشاهد وأحداث، كما سكتت عن ذلك السُنّة، فلا يوجد حديث صحيح عن رسول الله ﷺ يتحدث عن ذلك.

فلا ندري: هل تزوج سليمان ملكة سبأ أم لا؟ ولا ندري كيف كانت نهايتها. وعلينا أن نقف عند ما وقف عليه القرآن، وأن نسكت عمّا سكت عنه القرآن!![1].

***

(١) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، القصص القرآني، الجزء الثالث ص٥٦٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الخامس:
في عهد زكريا وعيسى -عليهما السلام.

المبحث الأول: مقدمة.

المبحث الثاني: زوجة زكريا وزوجة عمران (أم مريم).

المبحث الثالث: مريم بنت عمران.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول:
مقدمة

هكذا هي المرأة المؤمنة عبر التاريخ، هكذا هي المرأة المؤمنة في جميع حالاتها ومواقفها! هكذا هي المرأة المؤمنة، عرفت ربّها ربّـًا رحيمـًا... عليمـًا وخبيراً بكل شيء، عرفت أسماءه الحسنىٰ وصفاته العليا، وأنه علىٰ كل شيء قدير! فآمنت أنّ الله حقّ وأنّ وعده حقّ، وأنّ الله – عزّ وجل – وعد المؤمنين الصابرين بالنصر المبين، فقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[2]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾[3].

ولو نظرنا بعين البصيرة إلىٰ أولائك النسوة المؤمنات، وتوقّفنا متدبّرين نستكشف سبب قوة إيمانهن نجده ينقسم إلىٰ قسمين:

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٢) سورة فصلت، الآيات: ٣٠-٣٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القسم الأول: هو اللجوء إلىٰ الله تعالىٰ بالدعاء.

القسم الثاني: هو قوة صبرهنّ علىٰ تحمّل الأذىٰ إيمانـًا منهن بوعد الله للمؤمنين بالنصر في الدنيا وبالفوز بالجنّة في الآخرة.

فالدعاء هو العبادة، والدعاء هو استدعاء العبد ربّه – عزّ وجلّ – العناية، واستمداده المعونة من الله، **وحقيقة الدعاء إظهار الافتقار إلىٰ الله تعالىٰ، والتبرؤ من الحول والقوة. والدعاء سمة العبوديّة، واستشعار الذلّة البشريّة، وفيه معنىٰ الثناء علىٰ الله – عزّ وجلّ – وإضافة الجود والكرم إليه.**

والدعاء من أنواع العبادات التي أمرنا الله – عزّ وجلّ – بها، كي لا يكون هناك وساطة بين العبد وربّه، بل هو صلةٌ مباشرة، بين العبد وخالقه، رازقه وهاديه، فلا يتوجّه المؤمن في دعائه لأية قوّةٍ أو ذات غيبيّة إلاّ لله – عزّ وجلّ – وحده، فلا يدعو مع الله إلها آخر، ولا يلجأ إلا إليه، ولا يتضرع إلاّ لله القادر والواهب، ولا يستغيث إلا بالله.

قال رسول الله ﷺ: «**ليس شيءٌ أكرم علىٰ الله تعالىٰ من الدعاء**»[1].

والدعاء في القرآن والسنّة يرد علىٰ عدّة معانٍ ووجوه: منها النداء – والطلب والسؤال والعبادة، والاستغاثة.

أما النداء: فهو كما في قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[2].

---

(١) أخرجه أحمد، (٢/ ٣٦٢) عن أبي هريرة، والترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء (٣٣٧٠) وقال (هذا حديث حسن غريب) لا تعرفه مرفوعـًا إلا من حديث عمران القطان.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما وجه الطلب والنداء: فكما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (١).

أما العبادة فكما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٢).

والاستغاثة كما في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (٣).

وقوله تعالىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٤).

ولمّا كان الدعاء هو العبادة: والأصل في العبادة طلب العلو والتعظيم للمعبود. ولما كانت العبادة مبنيّة علىٰ الخضوع والتذلّل والافتقار مع كمال المحبّة والتعظيم، فإنها مبنيّة أيضاً علىٰ إثبات علوّ المعبود وتوحيده وتقديسه وتعظيمه، وكلما ازداد الموحّد طاعة وخضوعاً وسجوداً وتذلّلاً وافتقاراً كان أعلىٰ توحيداً وأكثر تقديساً وتعظيماً. ومن ثمّ كان السجود للمعبود أعلىٰ برهان علىٰ توحيد العبادة، وأيضاً فإن المسلم يكون في سجوده علىٰ أعلىٰ درجات القرب من الله – عزّ وجلّ.

روىٰ مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٠، ٤١.
(٤) سورة النمل، الآية: ٦٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

«**أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[1].

والدعاء ينقسم إلىٰ قسمين[2]: دعاء المسألة ودعاء العبادة.

القسم الأول: دعاء المسألة:

وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب منفعة أو دفع مضرّة، فيسأل الله بأسمائه الحسنىٰ التي تناسب حاجته وحاله ومطلبه ويتوسّل إلىٰ الله بذكرها وذكر ما تضمنته من كمال الأوصاف وجلالها، فيردّد في دعائه من أسماء الله ما يناسبه عند تقلّب الأحوال، ويظهر في دعائه من أسماء الله ما يناسبه عند تقلب الأحوال، ويظهر في دعائه وأقواله إيمانه بالتوحيد وأوصاف الكمال، ففي حال: **فقره** يدعو ويستعين ويثني ويستغيث **بالمعطي الجواد المحسن الواسع والغني**.

وفي حال **ضعفه، يبتهل إلىٰ القادر القدير المقتدر المهيمن والقوي**.

وفي حال **الذلّة وقلّة الحيلة** يناسبه أن يلتجئ في دعائه وابتهاله إلىٰ ربّه بذكر اسمائه [**العزيز الجبّار المتكبّر الأعلىٰ المتعالي والعلي**].

وعند **الندم بعد الخطأ واقتراف الذنب**، يناسبه الدعاء باسمه **الرحمن الرحيم اللطيف التوّاب الغفور الغفار الحي السِّتّير**.

وفي حال: **السعي والكسب يدعو الرازق الرزاق المنان السميع والبصير**.

وفي حال: **الجهل والبحث عن أسباب العلم والفهم يناسبه الدعاء باسمه الحسيب الرقيب العليم الحكيم والخبير**.

وفي حال: **الحرب وقتال العدو فيدعو بنعم المولىٰ ونعم النصير**.

وهكذا يدعو ويتوسّل، ويبتهل ويتضرّع إلىٰ ربّه بذكر اسم يناسب مقامه

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، ١/ ٣٥٠، (٤٨٢)..

(٢) الرضواني، محمود عبد الرازق، أسماءالله الحسنىٰ، ص ٣٤- ٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وموضعه وحاله وما ينفعه من أسماء الله الحسنىٰ، أو بعبارة أخرىٰ يقدّم بين يدي سؤاله الثناء علىٰ الله بأسمائه وأوصافه وأفعاله ما يتناسب مع أحواله فيثني علىٰ الله ويلحّ في التجائه وندائه، ويَصْدُق في مناجاته وسؤاله ودعائه.

القسم الثاني: دعاء العبادة:

ويكون بلسان الحال، وهو تعبّد لله يظهر التوحيد في كل اسم من أسمائه وكل وصف من أوصافه، فهو دعاء سلوكي ومظهر أخلاقي وحال إيماني يبدو فيها المسلم موحّداً لله في كل اسم من الأسماء الحسنىٰ بحيث تنطق أفعاله أنه لا معبود بحقّ سواه، وتسابق أقواله، في شهادته أن لا إله إلا الله، وأنه سبحانه المتوحّد في أسمائه وأوصافه لا سميّ له في علاه، وبما أن الإيمان بالله – عزّ وجلّ – وبصفاته العظيمة[1] يقتضي من المؤمن أن يعبّر عنه بعدّة تعبيرات، وهذه التعبيرات ينبغي أن تكون ذات دلالات صادقات علىٰ عناصر الإيمان.

ونسرد لك بعض أدعية رسول الله ﷺ جاءت الشياطين إلىٰ رسول الله ﷺ من الأودية، وتحدّرت عليه من الجبال، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ، فهبط إليه جبريل – عليه السلام – فقال: يا محمد قل، قال ما أقول؟ قال: **قل أعوذ بكلمات الله التامة من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شرّ ما ينزل من السماء، ومن شرّ ما يعرج فيها، ومن شرّ فتن الليل والنهار، ومن شرّ كل طارق إلا طارقا يطرق يخير يا رحمن، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تبارك وتعالىٰ»**[2].

وورد دعاء من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه: «ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك

(١) الرضواني، محمود عبد الرزاق، أسماء الله الحسنىٰ في كتاب الله والسنة، ص ١٧٤ – ١٨٠ بتصرف.
(٢) مسند الإمام أحمد ٣/ ٤١٩ (١٥٨٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مثل جبل أُحُدُ دَيْنـًا لأداه الله عنك، قل يا معاذ: **اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وتعز من تشاء، وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك علىٰ كل شيء قدير، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيهما من تشاء وتمنع من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك**»[1] .

ومن حديث حنظلة بن علي – رضي الله عنه – أن محمد بن الأدرع حدّثه: «أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، إذا رجل قد قضىٰ صلاته وهو يتشهّد، فقال: **اللهم إني أسألك بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت العزيز الرحيم فقال رسول الله ﷺ : قد غفر له ثلاثـًا**»[2].

وحديث عن عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه–: «**اللهم ألّف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل السلام، ونجّنا من الظلمات إلىٰ النور، وجنّبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذريّاتنا، وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قابليها وأتمّها علينا**»[3].

القسم الثاني دليل الصبر قوة إيمان أولئك النسوة:

الصبر كان القاسم المشترك بين جميع النسوة اللواتي تحدّثنا عنهنّ. فما معنىٰ الصبر؟ وما نوع الصبر المطالب به الإنسان ليتّخذه دَيْدَنـًا في حياته اليوميّة؟.

ذكرنا، في كتابنا الأول من هذه الموسوعة (حواء)، مدخلاً من مداخل

(١) رواه الطبراني في الجامع الصغير ١/ ٣٣٦ (٥٨٨) .
(٢) النسائي في السهو، باب: الدعاء بعد الذكر (١/ ٣٨٦ (١٢٢٤).
(٣) رواه أبو داود في الصلاة، باب: التشهد، ١/ ٢٥٤ (٩٦٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشيطان ألا وهو الجزع والهلع. ذكر أن الجزع والهلع خِصلة في فطرة الإنسان وبها خلق، وعليها جبل، وقد أرشدنا الله تعالىٰ إلىٰ طريق التخلص منها، بقوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

وقال الكاتب[2]: فإن تخلّص الإنسان من الجزع والهلع فتح علىٰ نفسه باب الصبر والفرج، ولذلك قال النبي ﷺ "الصبر ضياء"[3]، يضيء للإنسان في ظلمات الحيرة ليرىٰ الفرج قد اقترب والمحنة قد انكشفت والغمّة قد تجلّت.

أما تعريف الصبر[4]:

الصبر لغة[5]: هو الحبس والمنع.

واصطلاحًا: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن المعاصي[6].

فالصبر منهج، والصبر دين، ليس مجرد كلمة يردّدها مبتلٍ، بعد أن يقول ما يسخط ربّه – تبارك وتعالىٰ – وبعد أن يفعل ما نهىٰ النبي ﷺ، ثم بعد ذلك

(١) سورة المعارج، الآيات: ١٩-٣٥.
(٢) البالي، وحيد بن عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٢٠٠ – ٢٠٢.
(٣) رواه مسلم رقم ٢٢٣، في الطهارة، باب: فضل الوضوء.
(٤) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، المجلد الثاني، ص ٣٠٥.
(٥) لسان العرب (٤/ ٤٣٨) مادة ص ب ر.
(٦) مدارج السالكين، الجزء الأول: ص:١٦٢ – ١٦٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يقول : أنا صابر، كلاّ كلاّ، قال ﷺ: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولىٰ**»[1]، وهذه حقيقة الصبر؛ والوقوف مع البلاء بحسن الأدب، ومن الأدب: عدم الشكوىٰ إلا إلىٰ الله.

والشكوىٰ نوعان:

١- شكوىٰ محمودة: وهي الشكوىٰ إلىٰ الله – تعالىٰ – وهي من كمال وتمام العبودية، فلقد ذكر الله تبارك وتعالىٰ – نبيّنا كريماً من أنبيائه – ألا وهو يعقوب – عليه السلام – الذي قال: ﴿ **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ** ﴾[2]، والصبر الجميل هو الصبر الذي يستعلي صاحبه علىٰ الألم وعن الشكوىٰ ... وهو الصبر الذي يبتغي به صاحبه وجه الله تبارك وتعالىٰ.

فهو لا يصبر من أجل أن يقول عنه الناس: صابر متجلّد، ولا خوفاً من أن يقول عنه الناس: جزع، لا؛ بل هو الصبر الجميل، فيعقوب – عليه السلام – شكىٰ إلىٰ الله كما قال تعالىٰ: ﴿ **قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ** ﴾[3]. **فالشكوىٰ إلىٰ الله لا تنافي الصبر، بل أشك حالك إلىٰ الله، واشك فقرك إلىٰ الله، وضعفك وعجزك إليه، وقم بالليل واطرح قلبك بذلٍّ وانكسار بين يديه، واشك له كلَّ ما تعاني، لذا شكوىٰ حالكِ إليه من تمام وكمال عبوديتك بين يديه – عزّ وجلّ.**

شكوىٰ مذمومة: وهي الشكوىٰ من الله تعالىٰ فإنها تنافي الصبر، وهي أن تشكو الخالق إلىٰ المخلوق، وأن تشكو الرازق إلىٰ المرزوق وأن تشكو الرحمن الرحيم، إلىٰ من لا يرحم؛ فالله – عزّ وجلّ – ليس أحد أرحم بخلقه

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ١٢٨٣، كتاب: الجنائز، باب: زيارة القبور.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٨.

(٣) سورة يوسف الآية: ٨٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منه، أولم يقل نبينا ﷺ: «اللهم أرحم بعباده من هذه بولدها»[1].

فالصبر قوة خلقية من قوىٰ الإرادة، تمكّن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب والمشقّات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع، والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والبطش، والخوف والطمع والأهواء والشهوات والغرائز.

وبالصبر يتمكّن الإنسان بهدوء وطمأنينة وثبات أن يضع الأشياء في مواضعها، ويتصرّف في الأمور بعقل واتزان، وينفذ ما يريد من تصرّف في الزمن المناسب وبالطريقة المناسبة الحكيمة، وعلىٰ الوجه المناسب الحكيم، بخلاف عدم الصبر الذي يدفع إلىٰ التسرع والعجلة، فيضع الإنسان الأشياء في غير مواضعها، ويتصرّف برعونه، فيخطيء في تحديد الزمان، ويسيء في طريقة التنفيذ.

يحب الصابرين، وهو مع الصابرين، وهو يبشر الصابرين بالنتائج التي يحبونها، والأجر العظيم عنده في يوم الدين، فقد جاء في النصوص القرآنية: ﴿يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[5]، إلىٰ غيرها من النصوص.

***

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٥٩٩٩، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٤) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني:
زوجة زكريا وزوجة عمران (أم مريم)[1]

زكريا – عليه السلام – وابنه يحيىٰ والنبي عيسىٰ –عليه السلام – هم آخر أنبياء بني إسرائيل. قصة زكريا – عليه السلام – وزوجه، وقصة مريم وابنها عيسىٰ – عليه السلام – متداخلة بعضها مع البعض، ومن خلال هذا التداخل، ومن معرفة سيّدنا زكريا لأهميّة الدعاء في حياة المؤمن، نبيّن السبب الذي دفع زكريا للدعاء بأن يهبه الله الذرية الصالحة بالرغم من كبر سنه وعقم زوجته.

زكريا – عليه السلام – متزوج من أخت مريم الكبرىٰ، كما توحي بذلك آيات سورة آل عمران، فكان لمريم ابنة عمران أخت أكبر منها، وكان لها أخ شقيق اسمه هارون، كانت امرأة زكريا عاقراً، لم تحمل ولم تنجب وبحسب شجرة عائلة عمران نعلم أن عمران هو الأب.

وتقدّم بزكريا – عليه السلام – العمر، ونفسه تتطلّع ليكون له ولد. ولما ولدت امرأة عمران، ابنتها مريم، وهبتها للمعبد، فاختلف الكهنة الصالحون في من يكفل مريم هذه الطفلة الصغيرة، فاقترعوا فيما بينهم، وخرجت القرعة علىٰ زكريّا زوج أختها.

وعاشت الطفلة في كفالة زكريا، وتحت إشراف مباشر من أختها الكبرىٰ،

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الجزء الرابع، دمشق دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١١٢/ ١٤٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولما شبّت وصارت فتاة، كانت في غاية الصلاح والتقوىٰ.

أكرمها الله كرامة من عنده، حيث أخذ ينزّل عليها من رزقه طعاماً لها.

وكان زكريا الشيخ الهرم – عليه السلام – يدخل علىٰ مريم البتول [أي: العذراء]، فيجد عندها الرزق، فيستغرب ويسألها: يا مريم: أنّىٰ لك هذا؟ من أين لك هذا الطعام ونحن لم نقدّمه لك؟

فتجيبه بإيمان ورضىٰ: هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

قال تعالىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[1].

وعندما رأىٰ زكريا إكرام الله للفتاة الصغيرة تحرّكت نفسه لطلب الولد الوارث له، طمع في فضل الله وكرمه، فالله الذي أكرم هذه الفتاة، قادر علىٰ إكرام الشيخ الهرم ومنحه الوالي، فدعا ربه طالباً منه ذلك.

الجو الذي طلب زكريا فيه الولد:

سأل زكريا ربّه الذرية الطيبة، قال تعالىٰ: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَب لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[2].

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ﴾: عند رؤية زكريا ما رأىٰ عند مريم من رزق الله الذي رزقها، وفضله الذي آتاها، من غير تسبّب أحد من الآدميين في ذلك، طمع في ذلك الظرف بالولد مع كبر سنه، ومن المرأة العاقر. فرجا أن يرزقه الله منها الولد، مع أنه عجوز وامرأته عاقر.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لقد رزق الله مريم رزقًا خاصّـًا من لدنه، لم يكن مثله مما جرت بوجوده في مثل ذلك الحين عادات، وكذلك ولادة العاقر خلاف الأمر الذي تجري به العادات عند الناس.

لذلك رغب زكريا إلىٰ الله في الولد، وسأله ذريّة طيّبة.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما: لما رأىٰ زكريا الرزق [فاكهة في غير موسمها] ذلك عند مريم قال: إنّ الذي يأتي مريم بهذا الرزق وفي غير موسمه، قادر أن يرزقني ولداً في غير الوقت الطبيعي لامرأتي العاقر في الإنجاب: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾.

فزكريا طلب من الله ولداً واحداً فقط، لأن الله قال عن طلبه في آية أخرىٰ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[1]، وليـًا: أي ولداً واحداً يرث النبّوة ويحافظ علىٰ نهج الله المستقيم في الأرض.

دعاء زكريا في سورة مريم:

كان دعاء زكريا – عليه السلام – ربّه في سورة آل عمران مجملاً، لكنه مفصّل نوعـًا ما في مطلع سورة مريم. قال تعالىٰ: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾[2].

افتتحت سورة مريم بخمسة من الحروف المقطّعة، والتي افتتح الله بها بعض السور. ثمّ جاء الحديث بعد ذلك مباشرة عن دعاء زكريا – عليه السلام.

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥.

(٢) سورة مريم، الآيات: ١-٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاطب الله نبيه محمداً ﷺ بأنه سيذكر له رحمته بزكريا – عليه السلام: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾.

نداء زكريا الخافت وإخباره عن ضعفه وهرمه:

وصفت الآية نداء زكريا – عليه السلام – بأنه كان خفيّاً خافتاً، وهذا من كمال أدبه وهو الإنسان الضعيف في نداء ربّه ودعائه وهو القويّ العزيز. والله يحبّ الدعاء الخفيّ الخافت لما فيه من تضرّع واستسلام لحول الله وقوّته.

قال الإمام ابن كثير[1]: «قال بعض المفسرين: إنما أخفىٰ دعاءه لئلا يُنسب في طلب الولد إلىٰ الرعونة لكبره.

وقال آخرون: إنما أخفاه لأنه أحبّ إلىٰ الله.

وقال قتادة في تفسير الآية: إن الله يعلم القلب التقيّ، ويسمع الصوت الخفيّ... »[2].

ونتعلّم من زكريا – عليه السلام – الأدب في دعاء الله، والتضرّع إليه حيث يكون صوتنا أثناء النداء والدعاء خفيّاً خافتاً خفيفاً، كله أدب وتضرّع، وإنابة إلىٰ الله سبحانه.

ولما نادىٰ زكريا ربّه نداء خفيّاً، ذكر حالته وهرمه وشيخوخته: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾[3].

(١) ابن كثير، الإمام الحافظ أبي الفداء، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، الجزء الثالث، ص ١١٧.

(٢) تفسير ابن كثير، ٣: ١٠٨.

(٣) سورة مريم، الآية: ٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هَشّ عظم زكريا ووهن لما صار عجوزاً شيخـًا هرمـًا، وضعفت قواه، وغزا الشيب رأسه فصار أبيض.

مضىٰ زكريا شبابه مع امرأته دون أن يدعو ربّه طالبـًا منه الولد، ولعلّه كان يأمل ذلك في المستقبل، ولما صار هرمـًا، ووهن عظمُه واشتعل شيبُ رأسه، فقد أمله في أن يرزقه الله الولد عن الطريق الطبيعي العادي المألوف، فامرأته عاقر، لا قدرة لها علىٰ إفراز البويضات، وهو شيخ هرم.

ولكنه لما رأىٰ إكرام الله للفتاة البتول مريم – رضي الله عنها – استيقظت الرغبةُ في نفس زكريا من جديد، فهو يريد الولد الآن عن طريق المعجزة، وليس عن الطريق العاديّ المألوف، يريده بواسطة خارقة من خوارق العادات، وكله أمل في استجابة الله لدعائه، لأنه يوقن أنّ الله قادر علىٰ فعل ما يريد، وإذا أراد الله أن يرزقه الولد، رغم شيخوخته هو وامرأته، فإنه سيفعل ذلك سبحانه.

لماذا يريد زكريا الولد؟:

أما السبب الذي دفعه إلىٰ طلب الولد، فهو خوفه الموالي من بعده، ولذلك يريد الولد، لتبقىٰ النبوّة في آل يعقوب (في سلالته) ولا تذهب إلىٰ عُصْبة الأقارب من بعده.

قـال تعـالىٰ: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾.

﴿الموالىٰ﴾ جمع المولىٰ. وهم العصبة الأقارب.

والمعنىٰ أنه خاف مواليه وأقاربه وعصبته، وخشي أن يتصرفوا في الناس شراً بعد وفاته.

وهو لا وارث له من صلبه، لأنّ امرأته عاقر، ورجاؤه في الله أن يهبه وليـًا،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأن يمنحه ولداً، ليكون وارثًا له ولآل يعقوب.

لماذا خاف زكريا مواليه وأقاربه بعد وفاته؟ وفي ماذا يرثه ابنه الولي؟

للإمام ابن كثير في التفسير[1] توجيهات لطيفة في ذلك:

الأول: خشيَ أن يتصرّف مواليه من بعده في الناس تصرُّفًا مسيئًا، فسأل الله ولداً، يكون نبيًّا من بعده، ليسوسهم بنبوّته، فاستجاب الله له.

ولم يخش من وراثة مواليه له ماله، فإنّ النبي أعظم منزلة وأجل قدراً من أن يشفق علىٰ ماله إلىٰ هذه الدرجة، ومن أن يأنف من وراثة عصباته له، فيسأل ربّه أن يكون له ولدٌ ليحوز ميراثه دونهم..

الثاني: لم يذكر أنّ زكريا كان صاحب مال، بل كان نجاراً يأكل من عمل يده، ومثل هذا لا يجمع مالاً، وكان الأنبياء أزهد الناس في الدنيا.

الثالث: لم يترك زكريا – عليه السلام – مالاً، لأنّ الأنبياء لا يورّثون في أموالهم، فإن تركوا أموالاً فإنّ أموالهم تكون صدقة.

ودليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة – رضي الله عنها – عن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا صدقة**»[2].

ولذلك أراد زكريا – عليه السلام – بالوراثة التي دعا لها الوارثة في النبوّة.

إنّ قول زكريا – عليه السلام – عن الوليّ الوارث: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾، هو كقول الله عن وراثة سليمان لابنه داود عليهما السلام: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[3]. أي في النبوّة، إذ لو كان في المال لما خصّه من بين إخوته بذلك

(١) ابن كثير، الحافظ أبي الفداء، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، ص ١١٧.

(٢) أخرجه البخاري، رقم الحديث: ٦٧٣٠، ورواه مسلم: رقم الحديث: ١٧٥٨.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولما كان في الإخبار بذلك كبير الفائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ويثبته ما صح من حديث رسول الله ﷺ السابق ذكره.

وقد بيّنا في قصّة سليمان – عليه السلام – أنّ وراثته لأبيه كانت وراثة في النبوّة والملك.

وهنا يريد زكريا – عليه السلام – وليًا ابنًا، وارثًا له في النبوة، وليس في المال.

قال مجاهد: قوله: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ كانت وراثته علمًا، وكان زكريا من ذرية يعقوب.

وقال الحسن البصري: أراد أن يرثه في نبوته وعلْمِه.

وقال السّدي: أراد أن يرث نبوته ونبوة آل يعقوب.

إذن: أراد زكريا – عليه السلام – أن يهبه الله ابنًا ليكون وليًا له، وليرثه في النبوة والعلم، ويرث أنبياء بني إسرائيل، وهم آل يعقوب، في النبوة والعلم.

واجعله ربي رضيًا:

ولما طلب زكريا – عليه السلام – من ربّه الولد، التفت التفاتة إيمانية أخلاقية سلوكية، فقال: ﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾.

أي: ربّ اجعل ابني وارثي رضيًّا.

ورَضِيّ بمعنىٰ اسم المفعول: مَرْضي.

قال ابن كثير: أي: مرضيًّا عندك، وعند خلقك، تحبّه أنت، وتحببه إلىٰ خلقك.

ولفظة رضىٰ: تُلقي هذه الظلال، فالرَّضِيُّ هو الذي يرضىٰ ويُرضي ...

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وينشر ظلال الرضىٰ فيما حوله ومن حوله[1].

إنّ زكريا – عليه السلام – يريد أن يكون ابنه الوارث راضياً مرضيّاً رضيّاً، وأن تُبنىٰ شخصيّته علىٰ الرّضىٰ، وأن تقوم حياتُه علىٰ الرضىٰ.

وعندما يكون رضيّاً سيكون فرحاً سعيداً مسروراً، وستكون علاقته بالآخرين قائمة علىٰ السعادة واليسر والرضىٰ، سيحبُّهم ويحبّونه، ويرضىٰ عنهم، ويرضون عنه، ويَأْلَفُ ويُؤْلف.

الرَّضِيُّ ليس حادّاً ولا عصبيّاً ولا شاكيا، ليس معقّداً ولا مكتئباً ولا حزيناً، الَّرضيُّ سهل المعاملة، واسعُ الصدر، حليم النفس، حسن الخُلُق.

وهذه نعمة من الله علىٰ عبده، أن يجعله راضياً مرضيّاً رضيّاً، وزكريا – عليه السلام – رجا الله أن يجعل ابنه وارثه رضيّاً ليسعد بهذه النعمة، ويُسْعِدَ والدَيْه بهذه النعمة، ويُسعد كلّ من حوله بهذه النعمة...

زوجة زكريا: من امرأة عاقر إلىٰ زوج حامل:

دعا زكريا – عليه السلام – ربّه، طالباً منه الولد، وهو يحسن الظنّ به، وكان الله عند حسن ظنه، فاستجاب له، وكتب له الولد برحمته، وأجرىٰ له معجزة خارقة.

امرأته عاقر، لا يمكن أن تنجب في المنطق البشريّ القائم علىٰ الأسباب والعادات، لكنها ستحمل وتضع بأمر الله، إن أراد الله ذلك وهو فعّالٌ لما يريد.

وأشارت إلىٰ هذه الحقيقة آيات سورة الأنبياء. قال تعالىٰ: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، ص ١١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾[1].

سياق دعاء زكريا في سورة الأنبياء:

ولهذا ختم الحديث عن هؤلاء الأنبياء الكرام – عليهم الصلاة والسلام – بالثناء عليهم، فقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾[2].

وهناك أمرٌ جامعٌ بين هؤلاء الأنبياء، المذكورين في سورة الأنبياء، وهو وقوع الواحد منهم في ضيق، ثم نداؤه ربه، ثم استجابة الله له، وكشفه ذلك الضيق.

﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾[3].

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾[4].

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾[5].

نادىٰ زكريا ربّه قائلاً: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا ﴾ أي: لا تذرني وحيداً لا ولد ولا وارث، يرثني في النبوة والعلم.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٩، ٩٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.
(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٣، ٨٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٧، ٨٨.
(٥) سورة الأنبياء، الآيتان: ٨٩، ٩٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ هذه الجملة حالية تناسب الدعاء، فهو يريد ابنًا وارثًا يرثه ويرث من آل يعقوب: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ ، والوراثة المقصودة هنا هي الوراثة في النبوّة والعلم.

فأراد بقوله لربه: ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ أنت خير من يبقىٰ، بعد كل من يموت، وأنا أعلم أنك لا تضيّع دينك، ولكنني أريد أن لا تقطع فضيلة القيام بأمر الدين عن عقبي من بعدي، فارزقني وارثًا يقوم بذلك[1].

استجاب الله دعاء زكريّا – عليه السلام – وكانت الاستجابة سريعة: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ ﴾ وعبّر عن الاستجابة بحرف الفاء، الدالّ علىٰ الترتيب مع التعقيب الفوري.

وهب الله له يحيىٰ بعدما أصلح له زوجه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾.

أصلح له زوجه بعد أن جعلها قادرة علىٰ الإنجاب بيولوجيًّا، وكانت هذه معجزة خارقة، لأنها كانت عاقراً من قبل، والآن سوف تحمل وتنجب، بأمر الله وإرادته سبحانه.

إنه الفيض الإلهي يغدقه علىٰ عبده الذي دعاه في ضراعة، وناجاه في خفية، وكشف له عمّا يخشىٰ، وتوجّه إليه فيما يرجو، والذي دفعه إلىٰ دعاء ربّه خوفه الموالي من بعده علىٰ تراث العقيدة وعلىٰ تدبير المال والقيام علىٰ الأهل بما يرضي الله. وعلم الله ذلك من نيّته فأغدق عليه وأرضاه.

---

(١) القرطبي، ابي عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الجزء الحادي عشر، ص ٣٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وامرأتي عاقر:

وتعبير القرآن عن امرأة زكريا قبل الحمل وبعده عجيب لطيف معجز.

فقبل الحمل أخبر أنها امرأة عاقر: ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾.

وبعد الحمل أخبر أنها زوج له: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾.

فما معنىٰ عاقر؟ ولماذا استخدم مع عاقر كلمة امرأة؟ ولماذا عدل عن امرأة إلىٰ زوج بعدما أصلحها وحملت بيحيىٰ؟

كلمة عاقر وردت ثلاث مرات في القرآن، مرة في سورة آل عمران، ومرتين في سورة مريم، وهي في المرات الثلاث مقرونة مع امرأتي، وإخبارٌ عن امرأة زكريا – عليه السلام.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[1].

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾[2].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾[3].

واللطيف أنّ جملة ﴿ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ في المواضع الثلاثة في محل نصب حال، ومجيئها حالاً فيها كلّها مقصود، وليس مصادفة.

فحالها أنها كانت عاقراً لا تنجب، ولكنّ الله أزال هذه الحال، ونقلها إلىٰ حالٍ جديد، حيث أصلحها، وجعلها قادرة علىٰ الإنجاب!.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥.

(٣) سورة مريم، الآية: ٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الإمام الراغب: " عُقْرَ الحوض والدار: أصلُها... وعَقَرْتُه: أصبتُ عُقرَه: أي: أصلَه. و: عَقرتُ النخل: قطعته من أصله.

وامرأةٌ عاقر: لا تلد. كأنها تعقر ماء زوجها. أي تَقطَعُه.

فالمرأة العاقرُ هي التي في رحمِها مرضٌ أو داء، يحول بينها وبين الحمل والإنجاب، وعندما يعاشرُها زوجُها، فإنها تعقرُ ماءَه، وتقطعه، وتقضي علىٰ حيواناته المنويّة، ولا تُفرِزُ بويضة للإخصاب، وبذلك يَذهَبُ ماءُ زوجها سُدىٰ هذا المرض.

وإنّ زكريا – عليه السلام – يعلمُ أنّ امرأته عاقر، عندها داءٌ أو آفةٌ في رحمِها، وعاش معها سنواتٍ عديدة، ولم تحمل منه ولم تُنجب له.

ولما استجاب الله دعاء زكريا – عليه السلام – أزال عُقْمَ وعُقْرَ امرأته، وقضىٰ علىٰ الآفة والداء الذي فيها، والذي كان يقضي علىٰ ماء زوجها، ويحول بينها وبين إفراز البويضة[1].

إزالة عقم امرأة زكريا معجزة من الله:

أزال الله ذلك الداء بقدرته، وبدون سبب ماديّ مباشر، فلم تأخذ تلك المرأة دواء، ولم تتناوَلْ علاجًا. فالله الذي وضع فيها ذلك الداء ابتلاء لها ولزكريا – عليه السلام – هو الذي رفع ذلك الداء، رحمة منه لها ولزكريا.

ولما زال المانع أصبحت قادرة علىٰ الإنجاب، فأفرزت البويضة، واستقرّت تلك البويضة في الرحم تنتظر "الحوين المنوىٰ" من الزوج، ولما تمّت المعاشرة بين الزوجين، تمّ الإخصاب بأمر الله، فحملت المرأة بجنينها.

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، المجلد الرابع، ص ١٢٣، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثالث، ص ٢٠٢- ٢٠٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكان هذا كلّه معجزة من معجزات الله، خرقَ الله بها العادة البشرية، وهذه المعجزة الربانية لها جانبان:

الجانب الأول: أن الله أزال عُقْمَ المرأة، والمرأة قد تكون عاقراً عقيماً وهي في سنّ الحيض، تحيض لكنها لا تحمل، لداء في رحمها، وهذه قد يعالجها الطبّ البشريّ، ويُزيل ذلك المانع من رحمها، وعندما تفرز بويضة بعد ذلك، يتمّ الإخصاب والحمل، فهي تحيضُ في كلّ دورة شهرية لها.

وقد يعجز الطبّ البشريّ عن علاجها، فتبقىٰ عاقراً مع أنها تحيض.

الجانب الثاني: أن الله أزال عُقْم امرأة زكريا -عليه السلام- بعدما بلغت سنّ اليأس!! وهذه معجزة ربانية باهرة!!

وبلوغ المرأة سن اليأس – وهو غالباً بعد بلوغها الخمسين من عمرها – معناه انقطاع حيضها، وتوقّفها عن إفراز البويضة التي يلقِّحُها "الحوين المنوي".

سن اليأس عند المرأة هو توقّف المرأة عن إنتاج البويضات نهائياً، ويستحيل عليها في المنطق البشريّ إنتاج بويضه تحمل بعدما تبلغ سن اليأس!!

وقد أراد الله لامرأة زكريّا أن تحمل بعد بلوغها سنّ اليأس، فأوقع عليها معجزة باهرة، وأمكنها من إفراز بويضة، ثم أقدرها علىٰ الإخصاب والحمل والولادة.

هذا كلّه معجزة خارقة، لا تُقاس بالأسباب المادية، والقدرات البشرية!!

ولما حملت تحوّلت من امرأة إلىٰ زوج!!:

واللطيف في التعبير القرآني أنه عدل عن كلمة "امرأة" إلىٰ كلمة "زوج".

فلمّا كانت عاقراً أطلق عليها امرأة: ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ ولكنها لما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حملت أطلق عليها زوج : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾.

لما كانت عاجزة عن الحمل كانت امرأة، ولما أصبحت قادرة علىٰ الحمل صارت زوجًا لزكريا – عليه السلام.

وهذا يدلُّنا علىٰ عدم الترادف في المصطلحات القرآنية، فالزوج والمرأة ليسا بمعنىٰ واحد، وهو حليلة الرجل مطلقًا.

القرآن أطلق علىٰ حليلة الرجل امرأة له: إذا كان هناك عدم انسجام بينهما لسبب ماديّ أو معنويّ نفسيّ. فإذا كانت لا تُنجب فهي امرأة للرجل، لوجود خلل ماديّ بيولوجيّ. وإذا كان أحدهما مؤمنًا والآخر كافراً فهي امرأة له، كما قال القرآن: امرأةُ نوح، وامرأةُ لوط، وامرأة فرعون.

أمّا إذا كان بينها وبينه انسجام ماديّ ومعنويّ فهي زوج له وهو زوج لها، لأن المزاوجة تقوم علىٰ الاقتران والانسجام.

فلما أصلح الله حليلة زكريا – عليه السلام – وصارت قادرة علىٰ الحمل، لم تعد مجرد امرأة له، هناك عائقٌ في جسمها يحول بينهما تحقيق كامل الاقتران والانسجام.

لم تعد مجرد امرأة له، وإنما أصبحت زوجًا، تُؤدي وظيفتها الزوجية بيولوجيا وتحقق رسالتها الزوجية عمليًا. وتحمل لزوجها في رحمها ابنه، وبذلك تحقّق الاقتران والتزاوج بينهما علىٰ أحسن وأفضل صورة. وسبحان الله منزل هذا القرآن المعجز!!.

بشارة زكريا وإزالة تعجّبه:

أزال الله عُقم امرأة زكريا، وجعلها قادرة علىٰ الحمل، بمعجزة خارقة منه، وحوّلها من امرأة عاقر إلىٰ زوجٍ حامل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وبقي السبب الماديّ، وهو معاشرة زكريا – عليه السلام – لزوجه، ليتمّ إخصاب البويضة في رحمها، وليتكوّن الجنين هناك.

دور المحراب في حياة وعبادة زكريا:

وأرسل الله الملائكة لتبشّر زكريا بأن الله قد استجاب دعاءه، وسيهب له يحيىٰ. وجاءته الملائكة وهو قائم يصلّي، فبشرته البشرىٰ، فاستغرب وتعجّب من ذلك، فأزالت الملائكة استغرابه وتعجّبه.

قال تعالىٰ: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

المحراب: مكان العبادة، وهو أفضل جزء من البيت، لتخصيصه بالعبادة والصلاة والذكر.

والمحراب ورد في القرآن أربع مرات، مرّة في محراب داود عليه السلام، لما تسوّر عليه الخصمان محرابه.

وثلاث مرات في قصّة زكريا – عليه السلام:

الأولىٰ: محراب الفتاة الطاهرة مريم، الذي كان يرزقها الله فيه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ ﴾[2].

الثانية: محراب زكريا الذي كان قائماً يصلي فيه عندما نادته الملائكة

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالبشرىٰ: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ ﴾[1].

الثالثة: المحراب الذي خرج منه زكريا إلىٰ قومه بعد تبشيره: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾[2].

وبما أن زكريا – عليه السلام – نبيّ كريم، فقد كان دائم الصلاة والذكر لله، ولذلك كان يُكثر من الذهاب إلىٰ المحراب للصلاة والذكر، والاتصال بالله ومناجاته.

نادىٰ زكريا ربّه من المحراب نداء خفيّاً، طالباً منه الولد الوارث، فاستجاب الله له، وأرسل الملائكة لتبشّره، وسمع البشرىٰ وهو قائم يصلّي في المحراب فكان للمحراب دور كبير في رحمة الله زكريا – عليه السلام – وفي حل مشكلته.

الملائكة بشرته بالبشرىٰ من الله:

نادته الملائكة وهو يصلّي في المحراب وقالت له: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾.

معنىٰ اسم يحيىٰ:

ولما بشّر الله زكريا بالغلام أخبره باسمه، قبل حمل أمه به وولادتها له، فأخبره أنه أول إنسان يسمىٰ بهذا الاسم: ﴿ نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾.

وقد ذهب بعض المفسرين إلىٰ أن يحيىٰ مشتقّ من الحياة. والحياة هنا هي الحياة الإيمانية المعنوية، فالحي هو منكان حيّاً في قلبه وروحه وإيمانه، إذ لم تُمِتْ المعاصي والذنوب قلبَه.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ١١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال قتادة: سُمّي يحيىٰ لأنّ الله أحياه بالإيمان والنبوة.

وقال مقاتل: اشتُق اسم يحيىٰ من اسم الله "حي".

وقال بعضهم: سُمي بذلك لأنّ الله أحيا به الناس بالهدىٰ.

وقال آخرون: سُمي بذلك لأن الله أحيا به رحمَ أُمِّه.

إنّ زكريا ويحيىٰ ومريم وعيسىٰ عليهم السلام أشخاص إسرائيليون وليسوا عربـًا، وعاشوا بين اليهود في الأرض المقدّسة، ولغةُ اليهود لغة عبريّة وليست عربيّة، وأسماء أشخاصهم أسماء عبريّة أعجميّة. وليست عربية، فهذه الأسماء أعجميّة وليست مشتقّة، ولا نبحث لها عن معنىٰ اشتقاقي في العربية.

ويحيىٰ بن زكريا – عليهما السلام – ذكرت له الأناجيل في العهد الجديد قصة جرت بينه وبين عيسىٰ – عليه السلام – لكنّ مؤلّفي الأناجيل لم يُسمّوه يحيىٰ، وإنما سمّوه "يوحنّا المعمدان".

وبما أننا لا نأخذ شيئـًا من العهد القديم ولا العهد الجديد، فلا نُسميه يوحنا المعمدان[1]، وإنما نسمّيه الاسم الذي سماه الله به في القرآن.

معنىٰ لم نجعل له من قبل سميـًا:

وأخبر الله زكريّا أن ابنه يحيىٰ هو أول إنسان حمل هذا الاسم، فلم يُسَمَّ به أحد من قبل: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

بيَّنَ أنّ امرأة إبراهيم – عليه السلام – كانت عقيمـًا، بينما امرأة زكريا – عليه السلام – كانت عاقراً، وإبراهيم – عليه السلام – وُلِدَ له إسماعيل قبل بشارته بإسحاق – عليهم السلام – بينما لم يولد لزكريا أي ولد قبل يحيىٰ عليهما السلام.

---

(١) انجيل متىٰ، الاصحاح الثالث، يوحنا المعمدان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبين أن تعجّب إبراهيم وسارة بإسحاق كان لكبرهما لا لعقرهما، فقالت سارة: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

وقال إبراهيم – عليه السلام: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[2].

بينما كان تعجب زكريا – عليه السلام – من البشارة بيحيىٰ لعُقر امرأته: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ ﴾.

هو علىٰ الله هين لأنه يفعل ما يشاء:

سأل زكريا – عليه السلام – عن الكيفية التي يأتيه بها الولد، فأتاه الجواب بأن هذا فعل الله، والله يفعل ما يشاء: ﴿ **قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ** ﴾.

الله قدّر أن يُرْزَقَ زكريا الولد، وقَدَرُهُ واقع نافذ، وأراد إكرام زكريا بالولد، وإرادته فاعلة طليقة، لا يقيّدها شيء، ولا يمنعها مانع.

صحيح أنه قد بلغ من الكبر عتيًّا، ولا قدرة ذاتيّة له علىٰ الإخصاب، وصحيح أن امرأته عاقر، ولا قدرة ذاتية لها علىٰ إنتاج البويضة وعلىٰ الحمل، صحيح أنهما عاجزان عن ذلك وفق الأسباب والقوانين والسنن البشرية، ويستحيل عليهما ذلك في الحساب البشري؛ لكنّ النظر إلىٰ الولد ليس من هذه الزاوية البشرية، إنما من زاوية إرادة الله ومشيئة وقدرته، إنّ الأمر أمره، والفعل فعله، ولا استحالة للموضوع ولا استبعاد له، عندما يُنظر له من هذه الزاوية: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾.

---

(١) سورة هود، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٥٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وذكّر الله زكريا – عليه السلام – بنشأته هو: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ ﴾.

﴿وهو علي هين﴾: إيجاد الولد منك ومن زوجك العاقر، رغم ما أنتما عليه، أمر هيّن سهل ميسور علىٰ الله، لأنه لا يعجزه شيء، ولا يصعب عليه فعل أي شيء.

وأنت يا زكريا خلقك الله من العدم، فلم تكن شيئـًا، ومع ذلك خلقك الله، وجعلك حيـًا، ثم جعلك نبيـًا، فتذكر بدايتك من العدم، لتعلم أن أمر رزقك بولد هيّنٌ سهلٌ علىٰ الله.

لقد استجيبت الدعوة المنطلقة من القلب الطاهر، ولم يحل دونها مألوف البشر الذي يحسبونه قانونـًا، ثم يحسبون أن مشيئة الله سبحانه مقيدة بهذا القانون! وكل ما يراه الإنسان ويحسبه قانونـًا لا يخرج عن أن يكون أمراً نسبيـًا – لا مطلقـًا ولا نهائيـًا – فما يملك الإنسان وهو محدود العمر والمعرفة، وما يملك العقل وهو محكوم بطبيعة الإنسان هذه، أن يصل إلىٰ قانون نهائي، ولا أن يدرك حقيقة مطلقة.. فما أجدر الإنسان أن يتأدّب في جناب الله. وما أجدره أن يلتزم حدود طبيعته وحدود مجاله، فلا يخبّط في التيه بلا دليل، وهو يتحدّث عن الممكن والمستحيل، وهو يضع لمشيئة الله المطلقة إطاراً من تجاربه هو، ومن مقرراته هو، ومن علمِه القليل!

ولقد كانت الاستجابه مفاجأة لزكريا نفسه –وهل زكريا إلاّ إنسان علىٰ كل حال –واشتاق أن يعرف من ربّه كيف تقع هذه الخارقة بالقياس إلىٰ مألوف البشر؟

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجاءه الجواب.. جاءه في بساطة ويسر ... يردّ الأمر إلىٰ نِصابه، ويردّه إلىٰ حقيقته التي لا عسر في فهمها، ولا غرابة في كونها... ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

كذلك! فالأمر مألوف مكرّر حين يُردُّ إلىٰ مشيئة الله وفعله، الذي يتمّ دائمًا علىٰ هذا النحو. ولكن الناس لا يتفكّرون في الطريقة، ولا يتدبّرون الصنعة، ولا يستحضرون الحقيقة!.

كذلك بهذا اليسر... وبهذه الطلاقة، يفعل الله ما يشاء ... فماذا في أن يهب لزكريا غلامًا وقد بلغه الكبر وامرأته عاقر؟ إنما هذه مألوفات البشر التي يقرّرون قواعدهم عليها، ويتّخذون منها قانونًا!.

فأمّا بالقياس إلىٰ الله، فلا مألوف ولا غريب... كلّ شيء مردّه إلىٰ توجّه المشيئة، والمشيئة مطلقة من كل القيود...

آية زكريا في صمته ثلاثة أيام:

أيقن زكريا – عليه السلام – أن الله سيهبه يحيىٰ، وسيكون هذا آية من آيات الله، لأنه عجوز وامرأته عاقر.

وقد طلب زكريا من الله أن يجعل له آية، وأن يمهّد لمعجزة ولادة يحيىٰ له بمعجزة أخرىٰ، يُريها لقومه المؤمنين، فإذا شاهدوها استعدوا لقبول المعجزة الكبرىٰ، وهي ولادة ابن له.

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾[1].

لم يكن زكريا – عليه السلام – يريد الآية له، لتكون دليلاً علىٰ تحقيق عطاء الله له، فهو نبيّ كريم – عليه السلام – يثق بوعد الله، ولا يحتاج إلىٰ دليل عملي لتحقيقه.

إنما كان يريد الآية لقومه وأتباعه المؤمنين، فولادة الولد له علىٰ وضعه ووضع امرأته المعروف عجيب مثير، إنه عجوز هرم، وإنّ امرأته عجوز عاقر، ومع ذلك سينجبان ولداً بأمر الله وإرادته!!

أراد زكريا – عليه السلام – الآية لقومه لتكون تمهيداً للآية الكبرىٰ عندما يولد له يحيىٰ.

آية زكريا في انحباس لسانه عندما يواجه الناس:

وقد استجاب الله لطلب زكريّا، وأعطاه الآية المعجزة: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾.

﴿ **سَوِيًّا** ﴾ حال من زكريا. أي: لا تكلم الناس ثلاث ليال، وأنت سوي، صحيح معافىٰ. ليس فيك آفةٌ أو مرضٌ أو خرس.

ويوضّح هذا قوله تعالىٰ في آية سورة آل عمران: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾.

كانت الآية العجيبة والمعجزة الباهرة في لسان زكريا – عليه السلام!

إنّ قومه يعرفون أنه متكلّم بفصاحة وطلاقة، ويعلمون أنه لا عيب في

(١) سورة مريم، الآيتان: ١٠، ١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لسانه، ولكن بعدما بُشِّر بالولد، فوجئوا به لا يكلّمهم إلا بالرمز والإيحاء والإشارة! واستمر الأمر علىٰ هذا ثلاثة أيّام بلياليها!

كان زكريا – عليه السلام – في هذه الأيام الثلاثة علىٰ حالتين:

الحالة الأولىٰ: عندما يخلو بنفسه، ويكون وحيداً، ليس معه أحد، ولا يسمعه أحد، عند ذلك ينطلق لسانه بذكر الله وتسبيحه، ويسمع نفسه وهو يسبح الله ويذكره.

الحالة الثانية: عندما يخرج علىٰ قومه، ويريد أن يكلّمهم ويخاطبهم، فإنه يعجز عن ذلك، حيث يحبس لسانه عن الكلام، بطريقة لا إرادية، عند ذلك يخاطبهم عن طريق الرمز والإيحاء والإشارة.

وعندما يرىٰ قومه ذلك كانوا يتعجّبون، فما الذي حبس لسان زكريا عن الكلام؟ وما الذي جرىٰ له؟

فإذا ترك قومه، وعاد إلىٰ خلوته وعبادته ومحرابه، انطلق لسانه بالكلام، وسمع نفسه وهو يذكر الله ويسبحه!

واستمر الوضع علىٰ هذه الصورة ثلاثة أيام بلياليها.

ولم يكن إمساك لسانه عن الكلام عندما يواجه الناس بسبب مرض أو خرس، وإنما بمعجزة من الله، فهو سويّ صحيح فصيح متكلّم، ولكن الله كان يمسك لسانه عن الكلام بطريقة لا إرادية، ولا دخل لزكريا في ذلك.

وليس هذا غريبًا علىٰ الله، فالله هو الذي خلقه متكلّمًا، والله هو الذي يمكّن لسانه من الكلام، فلا يتكلّم كلمة إلا بقدرة من الله، والله هو الذي حبس لسانه عن الكلام عندما يواجه الناس، وأطلقه بالكلام عندما يخلو إلىٰ نفسه.

هذه هي الآية التي جعلها الله لزكريا – عليه السلام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يحيىٰ النبي الزكي التقي:

قدم زكريا – عليه السلام – الآية الأولىٰ، وبعد انقضاء الثلاثة أيام، أخبرهم أن الله هو الذي حبس لسانه عن الكلام أمامهم، وأنه كان يطلق لسانه بذكره وتسبيحه عندما يغيب عنهم، وأنه جعل هذا آية له، تمهيداً لآية أخرىٰ أكبر، وهي الولد الذي سيمنحه له.

وسمع أتباعه المؤمنون منه أخبار المعجزة القادمة، فازداد إيمانهم بالله، وقدرته علىٰ خرق العادات والمألوفات.

وحقّق الله لزكريا معجزته، وحملت منه امرأته العاقر، وانقضت شهور الحمل التسعة، وأنجبت مولودها، وسمّاه أبوه يحيىٰ منفّذاً أمر الله بتسميته.

يحيىٰ يأمر بني إسرائيل بخمس كلمات، وعيسىٰ يشهد علىٰ ذلك:

أما يحيىٰ عليه السلام فقد كان معاصراً لعيسىٰ عليه السلام، أدركه وعاش معه.

وأخبرنا القرآن أن يحيىٰ صَدَّق عيسىٰ عليه السلام: «مصدّقا بكلمة من الله...».

واشترك يحيىٰ وعيسىٰ عليهما السلام في الدعوة إلىٰ الله، وفي نصح وإرشاد وتذكير بني إسرائيل.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن موقف من مواقف النبيين الكريمين اشتركا فيه في الدعوة إلىٰ الله.

روىٰ الترمذي وغيره عن الحارث الأشعري، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أمر يحيىٰ بن زكريا بخمس كلمات، يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن عيسىٰ ابن مريم قال له : إن الله أمرك بخمس كلمات، تعمل بهن، وتأمر بني إسرائيل يعملون بهنّ، فإما أن تأمرهم، وإما أن آمرهم!

قال: إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب، أو يخسف بي!

فجمع يحيىٰ الناس في بيت المقدس، حتىٰ امتلأ، وقعد الناس علىٰ الشرفات.

فوعظهم قائلاً: إنّ الله أمرني بخمس كلمات أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهنّ:

أولاهن: أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئـًا، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل، اشترىٰ عبداً من خالص ماله، بذهب أو ورق (فضة)، وقال: هذه داري، وهذا مالي، فاعمل وأدِّ إليَّ . فجعل يعمل، ويؤدي إلىٰ غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟. وإنّ الله خلقكم ورزقكم، فلا تشركوا به شيئـًا.

وآمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا.

وآمركم بالصيام، وإنّ مثل ذلك كمثل رجل معه صُرَّة فيها مسك، ومعه عصابة، كلهم يعجبه أن يجد ريحها، وإنّ الصيام أطيب عند الله من ريح المسك.

وآمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، وقاموا إليه، فأوثقوا يده إلىٰ عنقه، فقال: هل لكم أن أفديَ نفسي منكم؟ فجعل يعطي نفسه القليل والكثير ليفكَّ نفسه منهم.

وآمركم بذكر الله كثيراً، وإنّ مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوّ، سراعـًا في إثره، حتىٰ أتىٰ علىٰ حصن حصين، فأحرزَ نفسه فيه. كذلك العبد، لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال رسول الله ﷺ : وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله.

فمن فارق الجماعة قيد شبر، خلعَ الإسلام من رأسه إلاّ أن يرجع، ومن دعا بدعوىٰ الجاهلية فإنّه من جِثِيِّ جهنم.

قيل: وإن صام وصلّىٰ؟

قال : وإن صام وصلّىٰ، فادعوا بدعوىٰ الله، الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد الله... »[1].

*****

(١) أخرجه الترمذي، ٢٨٦٣، و ٢٨٦٤، وانظر الأحاديث الصحيحة رقم: ٢٦٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث:
مريم بنت عمران

مواضع ذكر عيسىٰ عليه السلام وأمه في القرآن[1]:

مواضع ذكر مريم في القرآن:

ورد اسم مريم مجرّداً عن عيسىٰ – عليه السلام – في سورة آل عمران ست مرات، أثناء الحديث عن ولادتها وكفالة زكريا – عليه السلام – لها، ومخاطبة الملائكة لها، وتبشيرها بعيسىٰ عليه السلام.

وورد اسمه مجردا في سورة النساء مرتين، في سياق ذم اليهود لكفرهم واتهامهم لمريم، وفي تقرير حقيقة كون عيسىٰ كلمة الله، ألقاها إلىٰ مريم.

وسورة مريم التي حملت اسمها تحدثت بالتفصيل عن قصّة بشارتها وحملها لعيسىٰ – عليه السلام – ورد اسمُها مجرّداً مرتين فيها، في بداية عرض قصّتها، وعندما أتت قومها تحمل ابنها، فاستغربوا ذلك منها، وأنكروا عليها.

وورد اسمُها في سورة التحريم مرّة واحدة، منسوبة إلىٰ أبيها، مريم ابنة عمران، في مقام الثناء عليها لإيمانها وتصديقها وقنوتها.

تحدثت سورة آل عمران عن بداية قصّة مريم – رضي الله عنها – منذ أن حملت أمها بها، ونذرت أن يكون ما في بطنها لله، وتقبّلها الله ورعاها، وقد

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، الجزء الرابع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١٦٣ – ١٧٠، بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اختلف الصالحون في من يكفلُها، وهي الطفلة الصغيرة، فألقوا أقلامهم مقترعين، فكانت من نصيب زكريا – عليه السلام – زوج أختها، وتكفّل زكريا بها، ونشأت فتاة مؤمنة صالحة في كفالته، وكان الله يكرمها برزق مستمرّ عندها، وسألها زكريا عن مصدره، وسط استغرابه، فأجابت بأنه من عند الله. فدعا ربّه أن يرزقه غلاماً.

ورد هذا في الآيات ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

ثم تحدّثت آيات السورة عن تبشير الملائكة مريم – رضي الله عنها –، بأن الله قد اصطفاها علىٰ نساء العالمين، وعليها أن تقنت وتركع وتسجد لله، وبشرتها الملائكة أيضاً بأن الله سيهبها ابنها عيسىٰ – عليه السلام – وسيجعله نبياً رسولاً، ولما استغربت مريم ذلك، أخبرتها الملائكة بأن هذا من أمر الله، والله يخلق ما يشاء.

ورد هذا في الآيات ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٣٥-٣٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

وتحدّثت سورة مريم عن حمل مريم بعيسىٰ – عليه السلام –بدأت الآيات بلقطة ابتعاد مريم عن أهلها نحو الشرق، فلما كانت بعيدة عنهم وحيدة، أرسل الله لها جبريل – عليه السلام – فتمثّل أمامها رجلاً بشراً سويّاً، وصارحها بأنه رسول من الله ليهبها غلاماً زكيّاً، فاستغربت وسألت عن كيفيّة إنجابها الولد وهي الفتاة العذراء العفيفة، فأخبرها أن هذا أمر الله.

ونفخ جبريل فيها، فحملت بعيسىٰ، ووضعته تحت نخلة، ووجّهها إلىٰ أكل الرطب وشرب الماء والصيام عن الكلام، وحملت ابنها وذهبت إلىٰ قومها، ففوجئوا بابنها، ولما سألوها عنه أشارت إليه فالجواب عنده، فازداد استغرابهم، وبلغت دهشتهم ذروتها عندما سمعوه يتكلّم ويقدّم نفسه إليهم، ويخبرهم أنه عبد الله. وأنه سيكون رسولاً.

ورد هذا في الآيات: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٤٢-٤٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

وحديث القرآن عن مريم – رضي الله عنها – في السور الأخرىٰ إشارة سريعة، فصُلبُ قصة مريم كان في سورتي آل عمران ومريم.

من هم آل عمران؟ ولماذا ذكروا في الآية؟

مريم هي ابنة عمران، بنصّ آيات القرآن: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[2].

وورد اسم عمران ثلاث مرات في القرآن:

الأولىٰ: آل عمران في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[3].

الثانية: امرأة عمران والد مريم، في قوله تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾[4].

الثالثة: ابنة عمران، في قوله: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾[5].

---

(١) سورة مريم، الآيات: ١٦-٣٤.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٢.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(٥) سورة مريم، الآية: ١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمن هم آل عمران الذين ورد ذكرهم في السورة الثالثة – بحسب ترتيب المصحف – التي حملت اسمهم "سورة آل عمران"؟

من هو عمران الأول؟ ومن هو عمران الثاني؟:

هناك شخصان من بني إسرائيل، كل منهما اسمه عمران وبينهما فترة زمنية طويلة تمتدّ قرونـًا.

عمران الأول: هو عمران والد نبي الله موسىٰ ونبيّ الله هارون عليهما السلام.

والدليل علىٰ أن والد موسىٰ اسمه عمران ما أخرجه الحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**موسىٰ بن عمران صفيّ الله**..»[1].

وما أخرجه مسلم عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ: «**مررت ليلة أسريَ بي علىٰ موسىٰ بن عمران – عليه السلام** – .... »[2].

فنسب رسول الله ﷺ موسىٰ عليه السلام – إلىٰ أبيه عمران.

عمران الثاني: هو والد مريم – رضي الله عنها.

وأشار القرآن إلىٰ حمل امرأته بمريم[3]، ونذرها لله، كما أشار إلىٰ شقيق لمريم اسمه هارون، وهو غير هارون النبي شقيق موسىٰ – عليه السلام.

وذكر رسول الله ﷺ أن عيسىٰ ويحيىٰ – عليهما السلام – هما أبناء الخالة، وهذا معناه أن زكريا – عليه السلام – كان متزوجـًا أخت مريم.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢: ٥٧٦، وانظر الأحاديث الصحيحة رقم: ٢٢٦.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ١٦٥، وانظر الأحاديث الصحيحة رقم: ١٨٢ .

(٣) الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني، المجلد الرابع، ص ١٦٩ – ١٧٠، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، ص ٣٣٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذا معناه أن أسرة عمران الثاني المذكورة في القرآن والحديث كانت مكونة من خمسة أشخاص أيضاً، عرفنا أسماء ثلاثة منهم، وهم عمران الأب، وهارون الابن، ومريم الابنة، أما اسم امرأة عمران وابنته الأخرىٰ فهذا من مبهمات القرآن.

وإذا كان عمران الأول قد عاش في مصر زمن الفراعنة، في بداية تاريخ بني إسرائيل، فإنّ عمران الثاني قد عاش في بيت المقدس في آخر تاريخ بني إسرائيل، وبينهما عدّة قرون.

وقد أخبرنا الله أنه اصطفىٰ آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[1].

فاصطفىٰ آدم – عليه السلام – خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلّمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة، ثم أهبطه منها لما له في ذلك من الحكمة.

واصطفىٰ نوحاً – عليه السلام – وجعله أول رسول بعثة إلىٰ أهل الأرض...

واصطفىٰ آل إبراهيم، ومنهم سيّد البشر خاتم الأنبياء علىٰ الإطلاق، محمد ﷺ.

واصطفىٰ آل عمران، والمراد بعمران هذا هو والد مريم ابنة عمران، أم عيسىٰ – عليه السلام.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣، ٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والراجح أن آل عمران المذكورين هنا هم آل عمران والد مريم – رضي الله عنها.

ولو كانوا هم آل عمران والد موسىٰ – عليه السلام – لكان في الآية تكرار، لأن أنبياء بني إسرائيل الذين هم من ذرية موسىٰ وهارون داخلون في قوله: "آل إبراهيم" لأن إبراهيم هو أبو الأنبياء – عليه السلام.

وأخبر الله أن هؤلاء المفضلين علىٰ العالمين ذريّة بعضها من بعض، أي أنّ السلسلة متّصلة في هؤلاء، والموكب الكريم مستمرّ فيهم، فكانوا ذريّة طيّبة مؤمنة صالحة، بعضهم يتناسل من بعض.

وآل عمران هم أسرة عمران، وقد علمنا قبل قليل أن عمران أنجب ابنًا وابنتين، الابن هو هارون، ولم نعرف عنه شيئًا، والابنتان هما: مريم وأختها امرأة زكريا – عليه السلام.

ولادة مريم وكفالة زكريا لها(١):

امرأة عمران تنذر ما في بطنها لله:

أشارت آيات سورة آل عمران إلىٰ نذر امرأة عمران ما في بطنها لله، وإلىٰ أن حملها كان أنثىٰ، وأنها لما وضعتها سمّتها مريم واستلمها وكفلها زكريا:

قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١٧٢ – ١٨٧، بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1].

أرادت امرأة عمران أن يكون ما في بطنها منذوراً لله، موقوفـًا علىٰ عبادة الله، خالصـًا لدين الله، محرّراً من كلّ قيد يُقيّده في هذه الحياة.

إنّ الناس أحرار من حيث الرق، ليسوا أرقاء ولا عبيداً، ولكن ليس هذا كل شيء.

إنّ الحرية الحقيقية للإنسان هي تحرّره من قيود الذلّ والاستعباد المعنوي، هي أن لا تقيّده أهواؤه وشهواته وملذاته، وأن لا تستعبده الدنيا وما فيها، وأن لا ينشغل بما فيها عمّا أوجبه الله عليه وكلّفه به، وأن يستعلي علىٰ كل القيود التي تقيّده، وتعيق عبادته.

إن كان المؤمن هكذا فهو الحرّ المحرّر الخالص لله، وإن لم يكن كذلك فهو عبد الدنيا والشهوة، وأسير الهوىٰ والضرورة.

وطلبت من الله أن يتقبّل منها نذرها: ﴿ فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾.

وندعو إلىٰ ملاحظة التناسق بين الآيتين في خاتمتهما:

﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [2].

﴿ فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [3].

حيث ختمت كل آية بنفس الاسمين من أسماء الله: ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾.

كان حملها انثىٰ:

ولعل امرأة عمران كانت تأمل أن يكون ما في بطنها ذكراً، ليصلح أن يكون منذوراً لله.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٥-٣٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي الآية جملتان معترضتان، أدخلتا ضمن كلام امرأة عمران: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾[1].

الجملة الأولىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾: والهدف من هذه الجملة التأكيد علىٰ علم الله بما وضعت، وعلم الله بما في بطنها عندما نذرت نذرها، وعلم الله بما ستحمل وتضع قبل أن تحمل وتضع.

إنّ الله هو الذي قدَّر أن يرزقها أنثىٰ، لحكمة يريدها، وهو العالم بذلك، وعلم الله شامل لكل شيء، محيط بكل شيء، يعلم الأشياء قبل وقوعها، ويوجدها وفق علمه بها.

فمعنىٰ جملة ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾: الله أعلم بالمولود الذي وضعته، وأنه أنثىٰ، وأنه جاء علىٰ غير ما توقّعته وأرادته.

ليس الذكر كالأنثىٰ في الشدة، ودلالة معناهما اللغوي علىٰ ذلك:

والجملة الثانية: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ وهي أيضاً ليست من كلام امرأة عمران، وإنما هي تقرير لحقيقة قاطعة، أراد الله بيانها في هذا الموطن.

والمعنىٰ: ليس الذكر كالأنثىٰ في هذا المجال، لأن خدمة بيت الله، والتفرغ لعبادة الله في بيت الله، لا يتساوىٰ فيه الذكر والأنثىٰ، فهو يحتاج إلىٰ مزيد من الجهد، والقوة والجلد، والتحمل والصبر، يبذل فيه صاحبه كثيراً من الطاقة البدنيّة.

وليس الذكر كالأنثىٰ في هذا المجال، فالأنثىٰ قد لا تقدر علىٰ أداء ذلك بصورة جيدة، فالذكر أكثر قوّة وجلداً من الأنثىٰ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا نرىٰ أن تُعمم هذه الجملة: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ لتشمل جميع مجالات الحياة بين الرجال والنساء، ولا نرىٰ استنطاق هذه الجملة لتدل علىٰ التفضيل المطلق للرجال علىٰ النساء في كل شيء.

ولا يوجد نص صريح في تفضيل الذكور علىٰ الإناث تفضيلاً ذكورياً، الذكر أفضل باعتباره ذكراً من الأنثىٰ باعتبارها أنثىٰ، لا يوجد نصّ علىٰ ذلك، بل القرآن صريح في اعتماد التقوىٰ أساس التفضيل والتفاضل والتكريم: قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1].

أكرمكم عند الله أتقاكم، سواء كان ذكراً أم أنثىٰ.

إنّ الله حكيم في خلق كلّ من الذكر والأنثىٰ، فلم يجعلهما متماثلان في كل شيء.. وفي موضوع الشدة والصلابة جعل الذكر أقوىٰ من الأنثىٰ.

الذكر هو الأشدّ والأمتن والأقوىٰ والأصلب، ليؤدّي رسالته في الحياة.

والأنثىٰ هي الأكثر ليونة وسهولة، هي المتكسرة الرقيقة اللطيفة، لتؤدي وظيفتها، وتكون مطلوبة مرغوباً فيها.

الله أعاذ مريم وابنها من الشيطان:

وأعاذت امرأة عمران ابنتها مريم وذريتها من الشيطان: ﴿**وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ**﴾.

لجأت هذه المرأة المؤمنة إلىٰ الله، ليحمي ويُعيذ ابنتها من شرّ الشيطان الرجيم. وهذا من قوّة إيمانها بالله، واعتمادها عليه.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعندما ننظر في الآيات التي سجلت دعاء امرأة عمران، فإننا ندرك منها صفاء روحها، وعظمة إيمانها، وحرارة اتصالها بالله، يظهر ذلك من قولها: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ومن قولها: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾.

وذرّيتها: محصورة في ابنها عيسىٰ – عليه السلام – لأنّ ظاهر السياق القرآني علىٰ أنّ مريم لم تتزوج، وأنها أنجبت عيسىٰ بأمر من الله، وعيسىٰ – عليه السلام – رُفع إلىٰ السماء ولم يتزوّج، فليس له ذرّيّة ولا نسل.

وقد استجاب الله دعاء امرأة عمران فأعاذ مريم من الشيطان الرجيم، وأعاذ ذرّيتها – ابنها عيسىٰ – من الشيطان الرّجيم أيضاً.

لم يكن للشيطان سبيل لمريم وابنها عيسىٰ، ولم يكن له سلطان عليهما، فحفظهما الله من وساوسه ونزغاته.

بل إنه لم يمسّ مريم حين ولادتها، ولم يمسّ عيسىٰ أيضاً حين ولادته، وصرّح بهذه الحقيقة رسولنا ﷺ.

بكاء المولود حين ولادته بسبب طعن الشيطان له:

روىٰ البخاري ومسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: «ما من بني آدم مولود إلا يمسّه الشيطان حين يولد، فيستهلّ صارخاً من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها».

ثم قرأ أبو هريرة قول الله: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[1].

يُفسر لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث سرّ بكاء المولود عندما يخرج من بطن أمه، ويبيّن أنه بسبب مسّ الشيطان له، وطعنه في بدنه! ولا بدّ أن نأخذ

(١) أخرجه البخاري برقم: ٣٤٣١، ومسلم برقم: ٢٣٦٦، وانظر الأحاديث الصحيحة رقم: ٢٧١ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كلامه بالتصديق، وليس بالشكّ والريب، فإننا نعلم أنّ العداوة بين الإنسان والشيطان متأصّلة، وأنّ الشيطان حريص علىٰ إيذاء الإنسان وإبعاده عن الله، وإغوائه وإضلاله، وأنّ الله جعل له بعض القدرة علىٰ ذلك، امتحانـًا من الله للإنسان.

ولا يتعارض هذا الحديث الصحيح مع أيّ تعليل ولا تفسير علميّ يقيني، لسرّ بكاء الطفل عند خروجه من بطن أمه، باعتباره سببـًا آخر يُضاف إلىٰ مسّ الشيطان له وطعنه في بدنه.

أمّا مريم وابنها عيسىٰ – عليه السلام – فإن الله قد حماهما من هـذه الطعنة الشـيطانية، بفضـل دعـاء أمّهـا الصـالحة: ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾.

ولما ولد عيسىٰ – عليه السلام – وأراد الشيطان أن يمسّه ويطعنه، حماه الله منه، فلم تُصبه طعنةُ الشيطان.

روىٰ أحمد عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**كلّ بني آدم يَطعنُ الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسىٰ ابن مريم، ذهب يطعن، فطعن في الحجاب**»(١).

إخبار الله عن تنازع العابدين في كفالة مريم دليل علىٰ النبوة:

وبعدما وضعت امرأة عمران ابنتها مريم، قامت بالوفاء بنذرها، وأرسلتها إلىٰ مكان العبادة.

ولما شاهد العابدون الطفلة تنازعوها واختلفوا فيها، فكلّ واحد منهم

(١) أخرجه أحمد في المسند ٢: ٥٢٣، انظر الأحاديث الصحيحة رقم: ٢٨١ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يريد أن ينال شرف كفالتها والإشراف عليها، واختصموا في ذلك ولم يجدوا حلاّ إلا بالقرعة.

وقد أخبر الله محمداً ﷺ في القرآن بهذه المعلومة، واعتبرها دليلاً على النبوّة والوحي، وإثبات أنّ القرآن الكريم كلام الله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَۚ ﴾: هذه الأخبار من أنباء الغيب، واعتبرتها الآية غيباً لأنها وقعت في الماضي، وحدثت قبل قرون من حياة الرسول ﷺ وبما أنه لم يكن موجوداً عند حدوثها فهي غيب بالنسبة له، والله هو الذي أوحى بهذه الأنباء لرسوله ﷺ، وأخبره بها وهذا يُثبت نبوة محمد ﷺ.

ووجه دلالتها على النبوة والوحي أنّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعلمون أنّ محمداً ﷺ أمّي، لا يكتب ولا يقرأ، وهذا معناه أنه لم يعلم بهذه الأخبار من الكتب، ولم يصاحب أحبار ورهبان أهل الكتاب، فكيف علمَ بهذه الأخبار الخفيّة التي لا يعلمها إلاّ عددّ قليل من الأحبار والرهبان؟

إنّ الله هو الذي أوحى إليه بها، فهو رسول الله ﷺ.

وقال الله لمحمد ﷺ: «**وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون**».

وتشير هذه الآية إشارة موجزة مبهمة إلى اختصام واختلاف وتنازع العابدين في المعبد في كفالة الطفلة الصغيرة مريم، فلم يتفقوا على واحدٍ منهم، لذلك كان لا بد من القرعة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله كفل مريم زكريا:

قدر الله أن يتكفّل زكريا مريم، فأخرج سهمه في القرعة، ورضيَ العابدون الآخرون بهذا، لأنهم مؤمنون صالحون، يعلمون أنّ الله هو الذي قدّر هذا وأراده.

وهكذا كانت الطفلة في كفالة زكريا – عليه السلام.

ومن حكمة الله الحكيم في هذا أنّ زكريا هو الأحقّ والأولىٰ بكفالتها، لأنه أقرب الناس إليها، فهو زوج أختها، أي أنّ مريم ستكون عند أختها الأكبر منها، وأختها حريصة عليها، فكأنّها عند أمّها!.

قال تعالىٰ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾.

والمعنىٰ أنّ الله استجاب دعاء أمّها الصالحة، فتقبل الطفلة مريم بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً.

جعل الله زكريا كافلاً لمريم، وهو النبيّ الكريم –عليه السلام– لأن الله يُعِدَّها لأمر عظيم، ولهذا عاشت مريم طفولتها وشبابها عند زكريا – عليه السلام – واقتبست منه العلم والمعرفة، واقتدت به في العبادة والذكر، واستفادت منه الخلق والسلوك، فنشأت نشأة إيمانيّة صالحة، وكانت عابده ذاكرة زاهدة، مقبلة علىٰ الله، متّصلة به سبحانه.

ومضت السنوات ومريم في كفالة زكريا، حتىٰ صارت فتاة بالغة واعية ناضجة، وهي مقبلة علىٰ عبادتها واتصالها بالله وذكرها له.

كرامة لمريم برزق الله لها وهي في المحراب:

وقد أكرمها الله إكراماً، حيث كان يرزقها رزقاً خاصّاً، وهي عابدة معتكفة في المحراب، ورأىٰ زكريا – عليه السلام – ذلك: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وكلمة "كلما" تدلّ علىٰ التكرار، أي أنّ الرزق كان يأتي مريم وهي في المحراب باستمرار، بدون كدّ ولا سعي ولا كسب منها، فهي في المحراب، متفرغة فيه للعبادة والذكر والصلاة والمناجاة، والله يكرمها بتقديم الرزق لها بخارقة ليست مألوفة ولا معروفة.

وكلّما دخل عليها زكريا المحراب يجد عندها ذلك الرزق، وهو يعلم أنه لم يقدّمه هو لها، وهو المتكفل بتقديم الطعام لها، فيتعجب من ذلك ويسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ أي من أيّ مصدر ووجه جاءك هذا الرزق؟

إنه يعلم أنّ هذا الرزق لم يأتها من عند الناس، وسيكون من عند الله، وسؤاله ليسمع الجواب منها، وهو عالم به.

فتجيبه بصراحة قائلة: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أي الله هو الذي ساق لها الرزق، وأوصله إليها وهي في المحراب، بدون سعي ولا تحصيل منها.

قال الحسن البصري: كان زكريا إذا دخل علىٰ مريم المحراب، وجد عندها رزقًا من السماء، من الله، ليس من عند الناس، ولو أنّ زكريا كان يعلم أنّ ذلك الرزق من عنده لما سألها عنه!.

وعقّب القرآن علىٰ جواب مريم بالتذكير بحقيقة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فهذه الجملة ليست من تمام جواب مريم، بل هي خبر من الله، يخبرنا فيه أنه يسوق الرزق إلىٰ من يشاء من خلقه، بغير حساب ولا إحصاء ولا عد يحسبه عليه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أنّ الله لا يحصي ولا يحاسب عبده علىٰ ما يرزقه إياه، لأنّ إخراج ذلك الرزق لا يُنقص خزائنه سبحانه، فالذي يحسب ويحاسب ويعد ويحصي هو الذي يخشىٰ النقصان من رزقه.

كرامات الأولياء غير معجزات الأنبياء:

وتقديم الرزق إلىٰ مريم وهي في المحراب إثبات للكرامة التي ساقها الله لها، لأنه كان بطريقة خارقة غير مألوفة، ومريم ليست نبيةً لنعتبر هذه الخارقة معجزة، فالمعجزات مختصة بالأنبياء، وإذا وقعت الخوارق من الله لغير الأنبياء تُسمىٰ كرامات.

وهذا دليل قرآنيّ علىٰ إمكانية الكرامة للأولياء، بل علىٰ وقوعها وحدوثها، وهناك أدلةٌ قرآنيةٌ أخرىٰ علىٰ إثبات الكرامة للأولياء الصالحين، كما حصل لأصحاب الكهف الصالحين.

ونحن نُثبت الكرامات للأولياء، كما نُثبت المعجزات للأنبياء، ونُؤمن بحصولها لهم، وأنّها من فعل الله تكريمًا لهم، وشرطنا في قبولها ذكرها في آية صريحة، أو في حديث صحيح مرفوع، ولا نلتفت إلىٰ كلام الذين يُنكرون الكرامات للأولياء، لأنه يتعارض مع كلام الله وكلام رسوله ﷺ!.

اصطفاء مريم علىٰ النساء وما ترتب عليه[1]:

الملائكة تخبر مريم باصطفاء الله لها:

أخبرت الملائكة مريم – رضي الله عنها – بأن الله اصطفاها وفضّلها علىٰ نساء العالمين، وطالبتها بالصلاة والعبادة.

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١٨٨ - ١٩٤، بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1].

أرسل الله ملائكة لتخبر مريم باصطفائها، كما أرسل ملائكة من قبل لزكريا لتبشره بيحيىٰ – عليهما السلام: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[2].

ولا غرابة في خطاب الملائكة لمريم، مع أنها ليست نبيّة، لأنّ هذا كان بأمر الله، إنّ الله يرسل الملائكة لتخاطب الأنبياء، وهذا معروف، وقد يرسل ملائكة لتخاطب صالحين وصالحات، كما خاطبت امرأة إبراهيم – عليه وسلم – وأزالت استغرابها من حملها بإسحاق وهي عجوز عقيم.

المهم أنّ مريم – رضي الله عنها – رأت أمامها ملائكة، ولعلّها رأتهم بعدما تحوّلوا من صورتهم الملائكية إلىٰ صورة بشرية.

ولم تُبين الآية عدد الملائكة الذين خاطبوها، ولم تذكر أسماءهم، فهذا من مبهمات القرآن الذي لا نخوض فيه.

أخبرت الملائكة مريم باصطفاء الله لها وتطهيرها واصطفائها علىٰ نساء العالمين: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

اصطفاك: اختارك واجتباك لطاعته، وخصّك لكرامته.

طهرك: طهّر بدنك من الرّيب والأدناس والأرجاس التي قد تكون في أبدان بعض النساء.

واصطفاك علىٰ نساء العالمين: فضّلك علىٰ نساء العالمين في زمانك.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإخبارُها باصطفاء الله لها وتطهيرها وتفضيلها علىٰ نساء العالمين تمهيد للأمر بعبادتها وقنوتها وطاعتها: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

وقيامها بالعبادة والركوع والسجود والصلاة والقنوت شكرٌ منها لله الذي اصطفاها واختارها، فهي تُقابل فضل الله عليها بطاعته وعبادته.

كما أنّ قيامها بذلك تهيئةٌ وإعدادٌ لتلقّي أمر الله، حيث سيحقّق فيها إرادته، ويجعلها تنجب ولداً مباشرة.

اصطفىٰ الله مريم وانتقاها من بين النساء، ونشّأها نشأةً حسنة، وأنبتها نباتاً حسناً، وأسبغ عليها نعمه وتوفيقه ورعايته، وألهم أمها أن تنذرها له وهي في بطنها، ليجعلها خالصة محرّرة له، وهيّأ لها الحياة والعيش تحت كنف ورعاية نبيّ كريم – عليه السلام – وقدّم لها الرزق المنوّع الشامل وهي في المحراب تكريماً لها.

فقد روىٰ أحمد والحاكم وغيرهما عن ابن عباس – رضىٰ الله عنهما – قال: «خطّ رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط، فقال: أتدرون ما هذا؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال عليه الصلاة والسلام: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، امرأة فرعون»(١).

وقد شهد رسول الله ﷺ لمريم بكمالها ورجاحة عقلها، فروىٰ البخاري ومسلم عن أبي موسىٰ الأشعري – رضي الله عنه – قال: «**كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية أمرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وإنّ فضل**

(١) أخرجه أحمد ١: ٢٩٣، والحاكم ٢: ٥٩٤ – ٥٩٥، وانظر الأحاديث الصحيحة رقم: ٢٧٢ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام...».

كمل عقلُ مريم لأنّ الله أجرىٰ لها خارقة في ولادتها عيسىٰ.

وكمل عقل آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، لأنها اختارت الإيمان بالله، رغم أنها امرأة لأظلم حاكم، وأعتىٰ كافر، الذي ادعىٰ الألوهية والربوبية.

ولعائشة فضلٌ علىٰ باقي النساء كفضل الثريد علىٰ باقي الطعام، والثريد هو الخبز يُقَطّعُ ويُفَتّت، ثم يُسكبُ عليه اللحمُ بالمرق.

إذن فضّل الله عائشة علىٰ نساء العالمين، وجعلها من خير وأفضل نساء العالمين، وهي خامسة أربع نساء ذكر رسول الله ﷺ فضلهن علىٰ باقي النساء المؤمنات: آسية بنت مزاحم، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وعائشة بنت أبي بكر، رضي الله عنهن جميعاً.

قنوت مريم وسجودها وركوعها مع الراكعين:

ماذا ترتّب علىٰ اصطفاء مريم واختيارها؟

عليها أن تقابل هذا بالشكر، وشكرها يكون بالإكثار من القنوت والعبادة، ولهذا قالت لها الملائكة: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[1].

والقنوت هو الطاعة مع الخشوع، والاستمرار علىٰ ذلك، والإخلاص في طاعة الله والخضوع له.

والسجود والركوع معروفان، باعتبارهما ركنين من أركان الصلاة.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقدّم السجود على الركوع في الآية: ﴿ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.

وحكمة تقديمه على الركوع أنه هو الأنسب مع القنوت.

فالقنوت: هو لزوم الطاعة مع الخضوع، كما قال الإمام الراغب في كتاب المفردات وهذا يناسبه ذكر السجود بعده، لأنّ السجود حركة عملية تمثل غاية القنوت، وذروة الخضوع والخشوع.

فالإنسان عندما يسجد، ويضع جبهته على الأرض، ويُناجي ربّه بخشوع، يكون قانتاً خاضعاً خاشعاً.

جبريل يبشّر مريم بعيسى[1]:

كان إخبار الملائكة مريم باصطفاء الله لها وتفضيلها على نساء العالمين تمهيداً لإخبارها أنها ستنجب ولداً بأمر الله.

ولذلك بعث الله الملائكة إلى مريم مرّة ثانية، لتبشّرها بذلك الولد المعجزة، وكان هذا بعد فترة من الإخبار الأول، الله أعلم بمدّتها.

المراد بالملائكة جبريل وحده:

قال الله – عزّ وجل: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾[2].

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص١٩٦- ٢١٠. بتصرف.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ٤٥-٤٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد سبق مجيء جبريل إلىٰ مريم في المرّتين مجيء الملائكة لها لتخبرها باصطفاء الله لها وتطهيرها، ومطالبتها بالعبادة والقنوت والركوع والسجود.

ولعلّ الحكمة من هذه الزيارات المتكرّرة من الملائكة لمريم رضي الله عنها، تهيئتها وإعدادها للمعجزة القادمة، لتستعد لها نفسياً، فلا تكون مفاجأتها بها قاضية عليها عندما تقع.

إنّ الله يُمهّد للحدث العظيم القادم، فقدّم لمريم كرامات متتابعة: فها هو رزقها يأتيها من عند الله بدون كسب ولا سعي، وها هي الملائكة تبشّرها بأنّ الله فضّلها علىٰ نساء العالمين، وها هو جبريل يبشّرها بأنها ستلد ولداً من غير أب.

ورؤية غير النبي للملائكة كرامة له، ومخاطبة الملائكة للولي كرامة أخرىٰ له.

جبريل يبشر مريم بعيسىٰ:

بشّرها بعيسىٰ – عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾.

هذه البشارة من الله لمريم، ولهذا أسندت في الآية إلىٰ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ ودور جبريل هو نقل البشرىٰ وتوصيلها لها.

والتبشير: هو إخبار المرء بالخير الذي يسرّه.

الله يبشّر مريم: ويقدّم لها الخبر السار، بأنها ستنجب ولداً من غير أب، ورغم أنّ الحدث عظيم مدهش، يهزّ صاحبه هزاً، إلاّ أنه سارٌّ مُؤثّر، لأنه يرفع مريم – رضي الله عنها – عند الله، ويُعلي منزلتها عنده... ويكفيها فخراً ونعمة وذكراً أنّ الله اصطفاها من بين جميع النساء، وجعلها المرأة الوحيدة في الدنيا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التي تحمل من غير زوج، وهي بكر عذراء، وتُنجب بدون زواج، ويكون ابنُها نبيّـًا رسولاً – عليه السلام.

إنّها بشرىٰ عظيمة، تحمل نعمة من الله غامرة، رغم عظم دهشة ومفاجأة الحدث، ولهذا أرسل الله جبريل – عليه السلام – إلىٰ مريم – رضي الله عنها – ليزفّ لها البشارة.

قال الله لمريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾.

كيف يكون عيسىٰ كلمة الله؟:

وسمىٰ الله عيسىٰ – عليه السلام – بأنه كلمتُه في هذه الآية: ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ لأنّ عيسىٰ خُلق ووجد بكلمة الله "كُنْ" حيث أراد أن يخلقه خلقـًا خاصّـًا مباشراً، فقال له "كن"، وهذه هي الكلمة الإلهية، فكان ووجد كما أمر الله.

وهي الكلمة الواردة في قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

خلق الله عيسىٰ – عليه السلام – بكلمة "كُنْ" وعبّر عنه بأنه كلمة منه، كما خلق آدم بكلمة "كن".

وأحال القرآن المستغربين من خلق عيسىٰ علىٰ خلق آدم، الذي خلقه الله بكلمة "كن" بدون أب أو أم. قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٥٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لماذا وصف عيسىٰ بأنه مسيح؟:

أمامنا ثلاث كلمات: المسيح، وعيسىٰ، وابن مريم.

المسيح لقب، وعيسىٰ هو الاسم، وابن مريم هو الوصف.

إنّ الاسم الصّريح هو عيسىٰ، وهو النبيّ الرسول المذكور اسمه ضمن أسماء الأنبياء المذكورين في القرآن. كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ ﴾[1].

ولقب عيسىٰ هو "المسيح" وورد هذا اللقب إحدىٰ عشرة مرة في القرآن.

سُمي عيسىٰ – عليه السلام – مسيحًا لكونه ماسِحًا في الأرض، أي ذاهبًا فيها.

وقيل: سُمي مسيحًا لأنه كان يمسح ذا العاهة فيبرأ.

لماذا نسب عيسىٰ إلىٰ أمه:

"وابن مريم" لقب لعيسىٰ – عليه السلام.

ونسب إلىٰ أمه لأنّه لا أب له – عليه السلام.

ووردت جملة "ابن مريم" ثلاثًا وعشرين مرة في القرآن، يُنسب عيسىٰ فيها كلها إلىٰ أمه مريم.

إنّ القرآن حريص علىٰ تمييز عيسىٰ – عليه السلام – بالكلمات الثلاثة، لما رافق خلقه وولادته وحياته من معجزات، ليؤكد علىٰ بشريته، وينقض

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مزاعم النصارىٰ حول ألوهيته.

اسمه عيسىٰ، ولقبه ابن مريم، ونسبته إلىٰ أمه مقصودةُ ومراده، ليكذّب النصارىٰ في زعمهم أنه ابن الله، فهم يقولون: عيسىٰ ابن الله، تعالىٰ الله عن كفرهم علوّاً كبيراً.

والقرآن يقول لهم: إنه ابن مريم، وأمه معروفة، أنتم تعرفونها عن يقين، فكيف صار ابناً لله مع أنه ابن مريم؟

وهو مسيح في أعماله، ممسوح مسحه الله بالبركة، وماسحٌ يَمسحُ علىٰ المرضىٰ ويعالجهم ويشفون بإذن الله.

خمس صفات لعيسىٰ ابن مريم:

بشر جبريل – عليه السلام – مريم – رضي الله عنها – بعيسىٰ، ذاكراً اسمه ووصفه ولقبه: ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ وذكر بعد ذلك أحواله فقال: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

ومن صفات عيسىٰ – عليه السلام – المذكورة في هذه الآيات:

١- ﴿ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾: إنه ذو وجاهة ومنزلة عالية، وذو شرف وكرامة عند الله، في الدنيا حيث حفظه وحماه من أعدائه، وفي الآخرة، حيث جعله في أعلىٰ منازل الجنة مع سائر المرسلين.

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾: عيسىٰ - عليه السلام - من عباد الله المقربين، الذين قرَّبهم الله منه، وأعلىٰ منازلهم عنده. والمقرّبون هم السابقون، الذين يسبقون أصحاب اليمين إلىٰ الجنة، ومنازلهم في الجنة أعلىٰ من منازل أصحاب اليمين، والمرسلون هم أئمة المقرّبين السابقين.

٣- ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾: عيسىٰ - عليه السلام - سيكلم الناس في المهد، فور ولادته، وذلك عندما يفاجأون بمريم تحمله، وتذهب بهم الظنون كلّ مذهب، فينطقه الله وهو ابن ساعات، ويكلم الناس، ويقدّم نفسه إليهم، ويبرئ أمه من كل تهمة.

٤- ﴿وَكَهْلًا﴾: كما أنه سيكلّمهم في حال كهولته وشيخوخته: "وكهلاً" ولعل هذه إشارة إلىٰ نزول عيسىٰ -عليه السلام - في آخر الزمان، عند نزوله من السماء إلىٰ الأرض.

ويكون الإخبار عن صفات وأحوال عيسىٰ - عليه السلام - هكذا: إن الله يبشرك بعيسىٰ المسيح: وجيهاً في الدنيا والآخرة، ومقرّباً عند الله في الدنيا والآخرة، وكلّم الناس طفلاً في المهد، ومكلّماً الناس كهلاً شيخاً، وصالحاً من الصالحين!

وعرفت مريم - رضي الله عنها - صفات ابنها عيسىٰ - عليه السلام - بهذه البشارة قبل ولادتها له.

وذكر هذه الأحوال والصفات والتقلّبات والتغيّرات علىٰ عيسىٰ -عليه السلام - يؤكد علىٰ بشريته.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

دهشة مريم من البشارة واستغرابها:

لما سمعت مريم البشارة من جبريل – عليه السلام – بأنها ستنجب عيسىٰ، فوجئت ودهشت واستغربت، إنها فتاة عذراء، ولم تتزوّج، فمن أين يأتيها ذلك الولد؟

ولقد صارحت جبريل باستغرابها، قال تعالىٰ: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾[1].

تركت جبريل، وتوجهت إلىٰ الله، وناجته ونادته ودعته، "ربّ" أي: يا ربي يا الله.

﴿ أَنَّىٰ ﴾: اسم استفهام بمعنىٰ كيف، ويدل علىٰ المفاجأة والدهشة.

﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ﴾: المراد باللمس هنا: المعاشرة الزوجية بالجماع والاتصال الجنسي، والمراد بالبشر أي رجل ذكر.

إزالة استغرابها بالإحالة علىٰ قدرة الله المطلقة:

وجاءها الجواب فوراً، ليزيل استغرابها ودهشتها، حيث أمر الله جبريل – عليه السلام – الواقف أمامها أن يقول لها: ﴿ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[2].

أي: كما قدّر الله أن يرزقك ولداً بدون بشر ولا زوج ولا بعل، كذلك يخلق ما يشاء، ويوجد ما يشاء.

لا يقف شيء أمام إرادة الله، ولا يمنعه أي شيء من فعل ما يشاء، فإذا قضىٰ أمراً، وإذا أراد إيجاد شيء، فإنه يوجده ويخلقه مباشرة، ويقول له مباشرة:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كن واحْدُث، فيلبّي الأمر ويكون ويَحدثُ ويحصل في الواقع، كما قضىٰ الله وأراد.

وجواب جبريل علىٰ تساؤل مريم لإزالة استغرابها: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ ﴾ ، يذكرنا بجواب الملائكة علىٰ تساؤل زكريا – عليه السلام – لإزالة استغرابه عندما بُشر بيحيىٰ: ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ ﴾[1].

وكانت الإحالة في الجوابَيْن علىٰ قدرة الله المطلقة، وإرادته النافذه، ومشيئته الطليقة، التي لا يقيّدها مألوف ولا عرف.

الحوار بين جبريل ومريم قبل النفخ[2]:

إرسال جبريل لها لتنفيذ البشارة:

وعد الله مريم أن يهبها ولداً من غير بعل، وجاء هذا الوعد علىٰ لسان جبريل – عليه السلام – عندما بشرها بذلك.

وما بقي إلا تحقيق ذلك الوعد، وتنفيذ تلك البشارة عملياً.

وكان ذلك عندما أرسل الله جبريل – عليه السلام – إلىٰ مريم – رضي الله عنها – ووقف أمامها في صورة بشر، وحاورها ثم نفخ فيها من روح الله، فحملت بعيسىٰ – عليه السلام.

وهذا المشهد المؤثر لم يَرِدْ إلاّ في آيات سورة مريم.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٢) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢١٢- ٢٢٦، بتصرف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مريم تبتعد عن أهلها إلىٰ مكان شرقي للخلوة والعبادة:

وقد فارقت مريم – رضي الله عنها – أهلها يوماً ما: ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾[1].

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾[2]: لما ذهبت إلىٰ ذلك المكان الشرقي، اتخذت حجاباً ساتراً، يسترها عن أهلها وعن الناس الآخرين.

ولم تحدد الآيات السبب الذي دفع مريم إلىٰ الانتباذ من أهلها، وهذا من مبهمات القرآن، التي لا نخوض في بيانها، ولسنا مع المفسرين الذين قالوا: إنها ابتعدت عن أهلها لما جاءها الحيض، فهذا مما لا دليل عليه.

كذلك لم تُحدد الآيات المكان الذي كان يُقيم فيه أهلها، ولا المكان الذي انتبذت منهم إليه، ولا المسافة بين المكانين، وهذا أيضاً من مبهمات القرآن، فقد كان المكانان في بيت المقدس، وقد يكون ذهابُها إلىٰ مكان قريب منه، أو إلىٰ مكان آخر، فهذا ما لا نخوض فيه، ولا إمكانية لمعرفته الجازمة، ولا فائدة من ذلك!

إنّ قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ يدل علىٰ أنّ مريم – رضي الله عنها – كانت تحبّ أن تخلو إلىٰ نفسها، وأن تنفرّد عن أهلها والناس الآخرين، وأن تُقْبِل علىٰ عبادة الله وذكره ومناجاته، وهذا هو دأب العابدين الزاهدين، المنقطعين لعبادة الله.

وكان لمريم حجاب ساتر يحجبها عن أهلها، لئلا تنشغل بهم عن ذكرها، ولتتفرغ لعبادة الله وذكره. ولعلها كانت في "صومعة" أو ما شابهها. ولعلّها كانت

---

(١) سورة مريم، الآية: ١٦.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تمكث في ذلك "المكان الشرقي" فترات متباعدة في العبادة والذكر، ولعلّ أهلها كانوا يعرفون ذلك منها، ويَعرفون أنه من عادتها، ولهذا ما كان انتباذُها منهم، وابتعادُها عنهم، وانفرادُها في ذلك المكان دونهم، ما كان يثيرُ انتباههم، أو خوفهم عليها!.

جبريل أمامها في صورة رجل بشر:

﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ وتحوّل الملك جبريل – عليه السلام – إلىٰ بشر سويّ، دليل علىٰ قدرة الملائكة علىٰ التحوّل من صورتهم الملائكيّة إلىٰ صورة بشريّة، وأنهم يفعلون ذلك بإذن الله ومشيئته سبحانه، وأنهم عندما تنتهي مهمتهم التي كلّفهم الله بها، يعودون إلىٰ صورتهم الملائكيّة الحقيقيّة.

وعندما يتحوّلون إلىٰ الصورة البشرية فإنهم يتمثّلون في صورة رجال، وليس في صورة نساء، كما جاءت الملائكة إبراهيم ولوطًا عليهما – الصلاة والسلام.

وعدَم تمثلهم في صورة نساء ليؤكّدوا علىٰ تكذيب الكفار الذين زعموا أنّ الكفار بناتُ الله، تعالىٰ الله عن قولهم عُلُواً كبيراً.

مريم تعوذ بالله وتناشد تقواه:

وفوجئت مريم العذراء البتول برجل غريب واقف أمامها، وهي وحيدة بعيدةٌ عن أهلها، وأصابتها "هزةٌ" شديدة، وخوفٌ كبير.

ماذا تفعل؟ هل تصرخ وتستنجد بالناس؟ إنهم بعيدون عنها! هل تقاوم هذا الرجل؟ إنها فتاة ضعيفة لا تقدر علىٰ دفعه ومقاومته، لأنه أقوىٰ منها!

ليس أمامها إلا أن تلجأ إلىٰ الله ربها، وأن تعوذ وتحتمي به، وهي توقن أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الله سيحميها ويعيذها، ولذلك خاطبت هذا الرجل بأنها تعوذ بالله الرحمن منه، واستحيت التقوىٰ في قلبه!

قال تعالىٰ: ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾[1].

قالت للرجل الغريب: إني أعوذ بربي الرحمن منك، وأطلب من ربي أن يحيمني منك.

و﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾: أي إن كنت تقياً تخاف الله، فلا تقرب مني، ولا تمسّني بأذىٰ.

وبينما كانت مريم عائذة بالله، تناشد التقوىٰ في قلب هذا الرجل، وهي تحت تأثير الهزة المفاجئة، هزّ الرجل مسامعها هزةً ثانيةً أعنف، وذلك عندما صارحها بهدفه منها: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾[2].

أخبرها أنه رسول من الله، أرسله الله إليها، وهو مكلف بمهمّة محدّدة، إنه يريد أن يهبها غلاماً!!

مفاجأة مريم من هدف جبريل ومهمته:

فوجئت بهذه المصارحة، هي وحدها، وهو رجل أمامها، ويريد أن يهب لها غلاماً، وأن تحمل هي بغلام!

لقد سبق أن جاءها جبريل متمثّلاً في صورة رجل، وأخبرها ببشرىٰ سارة، وهي أنّ الله سجعلها تحمل بولدٍ من غير بعل، عند كلامنا عن قوله تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ

(١) سورة مريم، الآية: ١٨.

(٢) سورة مريم، الآية: ١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

فهي قد سبق علمها بذلك، ولكن لعلّها مع الهزّة المفاجئة، والخوف الشديد، والخجل البالغ من رؤية الرجل الغريب أمامها نسيت ذلك، وسيطر عليها الفزع والتوتّر والقَلَق والخَجَل.

إنه يخبرها أنه رسول من ربّها، فهل تثق به وتطمئن إليه؟

وبما أنه صارحها بأنه سيهب لها غلامًا زكيًا، والزكي هو الطاهر من الذنوب، والمطهر من الخبائث والمعاصي والنقائص، فلا بدّ أن تستعلي علىٰ خجلها وهي العذراء البتول العفيفة، ولا بدّ أن تصارحه، فهذا الموقف لا ينفع فيه إلا المصارحة.

قال تعالىٰ: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[2].

فنفخنا فيها من روحنا:

أخبرنا الله أن جبريل – عليه السلام – نفخ في مريم من روح الله، فحملت بعيسىٰ – عليه السلام.

وورد ذلك في معرض الثناء علىٰ مريم – رضي الله عنها – والإشادة بعفتها وإحصانها.

قال تعالىٰ: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٤٥-٤٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

معنىٰ كون عيسىٰ "كلمة الله وروح منه":

وبما أنّ جبريل – عليه السلام – نفخ في مريم من روح الله، وتَكَوَّنَ من تلك النفخة عيسىٰ – عليه السلام – فقد اعتُبر عيسىٰ كلمة الله التي ألقاها إلىٰ مريم، كما اعتبر روحـًا من الله سبحانه.

قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١ ﴾[1].

النفخ في مريم غيبي لا يخضع لتكييف العقل:

ونفخ جبريل في مريم بطريقة غيبيّة، لا نعرف كيفيّتها، وعقولنا لا تدركُها.. وانتقلت هذه الروح النفخة من فرج مريم إلىٰ رحمها، وهناك صارت هذه النفخة الروح جنينـًا حيـًا، ولا نعرف كيف انتقلت، ولا كيف صارت جنينـًا حيـًا، ولا ما الذي جرىٰ في رحم مريم من تطورات وتفاعلات لتتحول هذه النفخة الروح إلىٰ جنين حي.

لا نعرف ذلك لأنه في عالم الغيب، وعقولنا البشرية لم تجهّز بوسائل للخوض في عالم الغيب، لأنّ الله زوّدها بالوسائل التي تعينُها علىٰ تحقيق خلافة الإنسان في الأرض.

أما عالم الغيب فطريق العقل المسلم إلىٰ معرفته هو النص، المتمثل في الكتاب والسنة، حيث يؤمن بما ورد في النص، ويكون دوره هو تدبّر النصّ، وحسن فهمه وفقهه وتأويله.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٧١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهكذا حملت مريم – رضي الله عنها – وهي البكر العذراء البتول الطاهرة بابنها عيسىٰ، بعدما نفخ جبريل فيها من روح الله.

مريم تلد عيسىٰ – عليه السلام[1]:

قابل جبريل – عليه السلام – مريم، وهي منفردة عن أهلها، منتبذة منهم مكانًا شرقيًا، ونفخ فيها نفخة بأمر الله، وكان في النفخة كلمة الله الأزلية "كن"، وفيها روح من عند الله، وشاء الله أن يتخلق الجنين في رحمها بتلك النفخة، فحملت بعيسىٰ – عليه السلام.

حديث القرآن عن ولادة مريم لعيسىٰ:

وقد أشارت آيات القرآن بإيجاز إلىٰ مشهد ولادة مريم الفتاة العذراء لابنها عيسىٰ – عليه السلام.

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

وعرضت الآيات لقطات هذا المشهد المؤثر متتابعة متعاقبة، معطوف بعضها علىٰ بعض بحرف الفاء الذي يدل علىٰ الترتيب والتعقيب الفوري.

لقد ذكرت الآيات انتباذين لمريم، يقومان علىٰ المرحلية والتدرج:

الأول: انتباذ عام، وهو المذكور في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٣٧- ٢٥١ بتصرف.

(٢) سورة مريم، الآيات: ٢٢-٢٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾[1].

وهذا انتباذ اعتادته، واعتاده منها أهلها، حيث كانت تقوم به، وتبتعد عن أهلها إلىٰ مكان يقع شرقي أماكنهم، وكان لها فيه حجاب أو بناء أو صومعة، وكانت تعبد الله وتناجيه في ذلك المكان الشرقي.

الثاني: انتباذ خاص، وهو المذكور في قوله: ﴿ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾[2].

وهكذا كانت بعدما حملت بعيسىٰ، وحملت به عندما كانت في حجابها في المكان الشرقي.

وذهبت إلىٰ ذلك المكان القصيّ، رغبة منها في المبالغة في الابتعاد عن أهلها، لأنها خشيت الفضيحة، وخافت من كلامهم ونظراتهم واتهامهم، وتوقعت استغرابهم ودهشتهم.

المكان القصي هو بيت لحم والدليل من الحديث:

روىٰ النسائي عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل، خطوها عند منتهىٰ طرفها، فركبت، ومعي جبريل – عليه السلام.

فسِرْتُ: فقال: انزل فصلِّ، فنزلت فصلّيت.

فقال: أتدري أين صَلَّيْتَ؟ صليت بطَيْبَة، وإليها المُهاجر!

ثم قال: انزل فصلِّ، فنزلت فصليت.

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ١٦، ١٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء، حيث كلّم الله – عزّ وجل – موسىٰ – عليه السلام.

ثم قال: انزل فصلي، فنزلت فصليت.

فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم، حيث ولد عيسىٰ – عليه السلام.

ثم دخلت بيت المقدس، فجُمِعَ لي الأنبياء – عليهم السلام – فقدّمني جبريل حتىٰ أَمَمْتُهم...))[1].

حملها وولادتها في ساعات والدليل علىٰ ذلك:

ولما ذهبت مريم إلىٰ المكان القصيّ في بيت لحم، منتبذة بابنها من أهلها، أحست هناك بآلام المخاض والطلق والوضع. قال تعالىٰ: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾.

﴿ **فَأَجَآءَهَا** ﴾: الفاء حرف عطف، يدل علىٰ الترتيب والتعقيب الفوري. فحملته، فانتبذت به، فأجاءها المخاض...!!

والتعبير عن مراحل حملها بعيسىٰ وولادته بالفاء، الدالة أصلاً علىٰ الترتيب مع التعقيب الفوري، جعل العلماء يختلفون في مدّة حملها بعيسىٰ، هل حملته حملاً طبيعيًّا، استمرّ مدّة تسعة أشهر. كما تحمل النساء، أم كان حملاً خاصًا لم يستمرّ أكثر من ساعات؟.

وقال ابن كثير[2] أن حملها استمرّ تسعة أشهر، وحملَ الفاء الدالة علىٰ التعقيب، علىٰ ترتيب وتعقيب مراحل الحمل التي يمرّ بها الجنين، علىٰ

(١) أخرجه النسائي، برقم: ٤٥٠، ورواه البيهقي بألفاظ أخرىٰ عن شداد بن أوس .

(٢) تفسير ابن كثير، ٣: ١١٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التفاوت الزمنّي بينها. فالفاء الدالة علىٰ التعقيب، لكن تعقيب علىٰ كل شيء بحسبه، وهي كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

فالمشهور الظاهر – والله علىٰ كل شيء قدير – أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن.

وجاءت بذلك أراء كثيرة وتفاسير والله أعلم.

نخلة بيت لحم عند ولادة عيسىٰ:

وإذا كنّا رجّحنا أن المكان القصيّ الذي شهد ولادتها لعيسىٰ عليه السلام هو بيت لحم، فإنّ هذه الآية تشير إلىٰ أنه كان في بيت لحم نخلة حيّة نامية في ذلك الوقت.

ولا يستغربنّ ذلك أحد، ولا يَقيسه علىٰ الواقع الآن، فالمعلوم عند الناس في هذه الأيام أنه لا يوجد في بيت لحم نخلة، ولكن لا يُقاس الماضي البعيد علىٰ الواقع القائم، فتلك النخلة التي شهدت ميلاد عيسىٰ –عليه السلام– قد تكون عَدَتْ عليها عوادي الزمن فأيبستها وأماتتها.

آلام مريم عند الوضع وتمنّيها الموت:

وهناك عند جذع النخلة أخذها الطلق، واشتدّت بها آلام المخاض، وأطلقت زفرة شديدة موجعة، قائلة: ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾.

تمنّت مريم – رضي الله عنها – لو كانت ماتت قبل هذا الحال المكروب

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشديد الذي هي فيه، وكانت نسياً منسياً، قالت هذا في حال الطلق، استحياء من الناس.

قال تعالىٰ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾.

ففي قوله: ﴿من تحتها﴾ قراءتان:

الأولىٰ: قراءة أبي عمرو وابن كثير وابن عامر وأبي بكر عن عاصم: " فناداها مَنْ تَحْتِها" أي ناداها الشخص الذي تحتها.

والثانية: "مِنْ تَحْتِها" أي ناداها المنادي مِنْ تحتها.

ولكن من هو الذي ناداها؟ هل هو جبريل أم وليدها عيسىٰ؟

ذهب بعض العلماء إلىٰ أنّ الذي ناداها مِن تحتها هو جبريل. فقد كان جبريل قريباً منها، ولما وضعت مولودَها جاءَها ووقفَ بين يديها. وكان في مكان أسفل منها، ولهذا اعتُبرت مناداته لها من تحتها، لأنه كان أسفل منها.

توجيه الوليد أمه لحظة ولادته:

ماذا قال لها ابنُها؟

قال تعالىٰ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾[1].

إنّ الله هو الذي ألهم عيسىٰ أن يقول لأمّه هذا القول، وأنطقه بهذا الكلام، وإلا فما أدراه بهذه الخطة العلمية الحكيمة، ولم تَمضِ علىٰ ولادته إلا لحظات.

﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾: نهاها عن الحزن، ودعاها إلىٰ إزالة ما اعتراها من همّ وكرب، ودعاها إلىٰ الهدوء والطمأنينة، وعدم التوتّر والقلق والانفعال.

لا تحزني مما حصل، فإنّ الله معكِ، يحفظك ويرعاك، فها هو الطعام

(١) سورة مريم، الآيات: ٢٤-٢٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والشراب عندك، قدّمه الله لك بمعجزة من معجزاته.

ولا تحزني في التفكير بمواجهة أهلك، فإنّ الله سيقدّم لهم معجزة أيضـاً، يعلمون منها براءتك، ويوقنون أن الأمر من الله.

لماذا تهزّ جذع النخلة الكبير؟[1]:

أمر عيسىٰ أمّه أن تهزّ جذع النخلة، وأن تُميلَها إليها، ليتساقط عليها الرّطب الجنيُّ منها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾.

فلماذا أمرها بذلك؟ ولماذا لم يُسقط الله عليها الرطب الجنيُّ بدون هزّ النخلة؟

لقد أوجد الله لمريم عدّة معجزات خوارق، بدون جهد منها، منذ أن كانت متبتّلة في المحراب، حيث آتاها الرزق المنوّع، إلىٰ أن أنبع لها سَرِيَّ الماء، وأثمر النخلة بالرطب.

فلماذا تهزُّ هي جذع النخلة ليتساقط عليها الرطب الجنيُّ؟

ولا ننسىٰ أنها كانت ضعيفة البدن، واهية القوىٰ، لأنها نفاسٌ وضعت ابنَها قبل لحظات، وجسمُ النفاس يكون ضعيفـاً، فهي لا تكادُ تتحرك لضعفها، فكيف تُؤْمَرُ بهزَّ جذع النخلة وهي علىٰ هذه الحال؟

وجذع النخلة عريضٌ سميك، لا تقدر مجموعة الرجال الأقوياء علىٰ هزّه وتحريكه، ومريم النفاسُ الضعيفة عاجزة عن تحريك غصن شجرة رفيع، فكيف تهزُّ جذع نخلة كبيراً سميكـاً؟

لقد كان الله قادراً علىٰ إنزال الرطب عليها بدون جهد ولا حركة منها،

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٥٦- ٢٥٧. بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولكنه أراد أن تتحرّك هي بحركة مادية خفيفة، وأن تلمسَ جذع النخلة بيديها، والباقي ليس عليها، بل علىٰ الله.

لم تهزَّ هي جذع النخلة في الحقيقة، لأنها ضعيفة، وإنما الله هو الذي هزَّها وحرَّكها في الحقيقة. هي كانت سببًا مباشراً في تحريك النخلة، عندما وضعت يديها عليها، والله هو المسبّب والمقدّر، أوجد في النخلة التحريك، وأمرها أن تُسقطَ الرطب الجنيّ، فتحرّكت، وأسقطت!!

أمرها الله بهزّ جذع النخلة، لتأخذ بالأسباب، حيث رتَّب تساقط الرطب عليها علىٰ هزّها جذع النخلة.

وهذا درس إيمانيّ عقيديّ لها، لتربطَ بين التوكّل علىٰ الله، وبين الأخذ بالأسباب، والأهمّ من هذا أنه درس إيماني عقيديّ لنا، لنربط بين الأسباب والمسبّبات، وننسِّقَ بين الأخذ بالأسباب والتوكّل علىٰ الله.

فكل مؤمن يعتقد جازمًا أنّ الله هو المعطي، وأنه لا مانع لما أعطىٰ الله، ولامعطي لما منع الله، ومن ثمّ يتوكّل علىٰ الله، ويفوّض أمره إليه، ويوقن أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وهذا التوكّل والتفويض يوجب عليه أن يأخذ بالأسباب، ويبذل الجهود، ليأتيه ما قدّره الله به.

وحركة مريم –رضي الله عنها– دليلٌ علىٰ وجوب الأخذ بالأسباب، لتأتي المقادير والأرزاق.

وأمر الله النخلة أن تساقط علىٰ مريم رُطبًا جنيًّا، وذلك لأهميّة الرطب والتمر للمرأة النفساء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إني نذرت للرحمن صوماً[1]:

قال عيسىٰ – عليه السلام – لأمّه: اذهبي إلىٰ أهلك، وأنت تحملينني، فإن شاهدت أحداً من البشر، سواء كان من أهلك أو من غيرهم، واستغرب منك لأنك تحملين علىٰ حضنك ولداً، وسألك عن سرّ الأمر، فلا تُجاوبيه ولا تكلّميه، وأعطيه إشارة يفهمُ منها أنك صائمة عن الكلام، وناذرة أن لا تكلّمي أيَّ إنسان! وأحيلي عليّ، وأنا سأتولّىٰ الكلام والشرح!!

هذا هو المعنىٰ المفهوم من هذه الجملة الشرطية القرآنية: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾.

﴿ فَقُولِيٓ ﴾: بمعنىٰ أشيري لمن يكلمك ويسألك إشارات باليد أو غيرها، يفهم منها أنك صائمة عن الكلام، ممتنعة عن مخاطبة الناس.

وبعض الإشارات باليدين والعينين واللسان وغيرها، قد تعبّر عن ما في النفس، وتُفهم الشخص المقابل، مثل الكلام الخارج من الفم، أو أكثر.

تُشير لمن يسألونها وتُفهمهم أنها نذرت للرحمن صوماً.

والنذر هو قربة وعبادة، يتقرّب بها الناذر إلىٰ الله بأداء المنذور، وذكر النذر في قصة مريم – رضي الله عنها – دليل علىٰ أنه كان عبادة يعرفها المؤمنون السابقون، ويتقرّبون بها إلىٰ الله.

واعتبرت الآية الصمت والامتناع عن الكلام صوماً: ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾.

والمعنىٰ أن كل من أمسك عن شيء، وامتنع عن فعله، فهو صائم عنه،

---

(١) الخالدي، صلاح، القصص القرآني، الجزء الرابع، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٦٣- ٢٧٤. بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهناك من صام عن الطعام، وهناك من صام عن الكلام، وهكذا.

عيسىٰ يكلم الناس في المهد:

أخذت مريم – رضي الله عنها – بإرشادات وليدها عيسىٰ – عليه السلام – فأكلت من الرطب، وشربت من الماء، وبعدها رجعت لها قوتها، حملت ابنها معها، وتوجهت إلىٰ أهلها.

وهناك كانت الدهشة والمفاجأة لهم. وقد صوّرت الآيات بعض ما جرىٰ. قال تعالىٰ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ﴾: أتت مريم – رضي الله عنها – قومها وأهلها المقرّبين، وكانت تحمل ابنها عيسىٰ – عليه السلام.

وكانت في غاية القوّة والشجاعة والثقة والطمأنينة، لأنها توقن أنّ الله معها، وتعلم أنها لم ترتكب خطأ، والله هو الذي خلق في رحمها عيسىٰ، فلماذا تخشىٰ مواجهتهم؟

خرجت من عندهم وهي وحيدة، وعادت إليهم الآن وهي تحمل ابنها علىٰ حضنها، والمدّة بين مغادرتها لهم وعودتها إليهم مدةٌ قصيرة، لكن لا يعلم مقدارها إلا الله.

وصلَتْ مريم أهلها، ونظروا إليها وقد سيطرت الدهشة عليهم! إنّ ابنتهم

(١) سورة مريم، الآيات: ٢٧-٣٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

طاهرةٌ عذراء عفيفة، وهم يعلمون هذا عن يقين، فما الذي يرونه منها؟

لقد أنطقَتْهم الدهشة والمفاجأة بعبارة ساخرة مُتّهمة. قال تعالىٰ: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

وعبارتهم فيها اتهام غير صريح لمريم، والذي دفعهم إلىٰ عدم اتهامها بصراحة، فلم يقولوا لها: لقد ارتكبت فاحشة الزنا – هو إيمانهم بالله، وتقواهم لله، وتحرّجُهم من قذف الصالحة بالفاحشة، ثم ما عرفت به مريم من صلاح وعبادة وعفاف وطهارة، مما يجعلها بعيدة عن الفاحشة.

لكنهم رأوا وليداً علىٰ حضنها، وهو أمرٌ غريبٌ مريب، يَدعو إلىٰ الريبة، فكيف يُوَفّون بين ما يعرفونه عنها من عفّة وطهارة، وبين ما يشاهدونه بين يديها؟

اكتفوا بقولهم لها بأنها جاءت بأمر عظيم فظيع، لا يتّفق مع ماضيها الذي عهدوه منها، ولا مع أسرتها التي نشأت فيها، بين والدين صالحين وأخ صالح!!

استغراب قومها من إشارتها إلىٰ وليدها ودهشتهم من سماعه:

ولما سمعت مريم كلام قومها، عزّ عليها اتهامهم الضمنيُّ لها، ولو تكلّمت فقد لا يسمعون لها، ثم هي ناذرة للرحمن صوماً عن الكلام.

وبما أنها سمعت كلام وليدها لها، فور ولادته، فإنها أحالت الجواب عليه!

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾: أشارت إلىٰ عيسىٰ، وكأنها تقول لهم: لا تسألوني أنا، بل اسألوه وكلّموه.

---

(١) سورة مريم، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والإشارة قد تكون باليد أو العين أو الرأس أو غيرها، لتدلّ علىٰ معنىً من المعاني.

وفهم القوم إشارتها.. إنها تدعوهم لسؤاله هو، فزاد استغرابهم وتعجّبهم وغيظهم، إنهم يسألونها مستنكرين، وهي تسخر منهم، وتُقابل سؤالهم بالصمت، وتشير إلىٰ وليد لم تمض علىٰ ولادته إلا ساعات، ليتولىٰ هو الكلام معهم.

ولهذا سألوها مستنكرين: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ؟

كيف نسأل طفلاً؟ وهل يفهم سؤالنا؟ وهل يقدر أن يجيبنا؟

كان عيسىٰ – عليه السلام – وهو في حضن أمّه لم تمض علىٰ ولادته إلا عدّة ساعات، يعي ما يجري حوله وعيـًا معجزيّـًا، ويسمع كلام القوم إلىٰ أمه سمعـًا معجزيّـًا، وكان هذا الوعي والفهم والسماع معجزة من الله، لأنه لم يعهد أن يصدر عن طفل مثله في حياة البشر.

ولما سمع سؤالهم لأمه: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ؟

فتطوّع هو للإجابة، وقدّم نفسه إلىٰ القوم، وعرّف علىٰ نفسه، وعلىٰ ما سيكون منه في المستقبل!

وفتح القوم عيونهم مبهورين ممّا يشاهدون، وأصغوا سمعهم مشدوهين ممّا يسمعون، وسيطرت المفاجأة علىٰ كيانهم كلّه! أهذه حقيقة أم خيال؟ أحقـًا يشاهدون طفلاً يتكلّم؟ أحقـًا هذا صوت طفل عمره ساعات يدخل آذانهم ومسامعهم؟ أم هم متخيّلون واهمون؟

إنها حقيقة قاطعة، وإن كلام هذا الطفل معجزة، يسمعه هؤلاء القوم المؤمنون، فيزداد إيمانهم بالله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ماذا قال عيسىٰ – عليه السلام – في تقديم نفسه إليهم؟:

قال تعالىٰ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

بدأ عيسىٰ – عليه السلام – كلامه بتقرير حقيقة عقيدية إيمانية: الألوهية لله، والعبودية لغيره: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾.

الله وحده هو الإله الربّ، لا يشاركه أحد في ألوهيّته وربوبيّته.

وأنا عبد الله، عبدٌ مخلوق، خلقني الله خلقاً خاصاً بمعجزة خارقة، بدون أب، ومع أنّ خلقي معجزة، ومع أن كلامي معكم معجزة، فإنني عبد الله، لست شريكاً ولا ابناً له.

إن الدين – أيَّ دين – يقوم علىٰ الفصل الدقيق بين الألوهية والعبودية، فالله وحده هو الربّ الإله، وكلّ ما سواه له عبد.

وأي خلط بين الإله والعبد يعتبر كفراً بالله وشركاً به، فإذا ما رفع قوم عبداً من عبيد الله وجعلوه نداً لله، صاروا كفاراً مشركين بالله.

وهذه البداية الإيمانيّة لعيسىٰ عليه السلام، التي بدأ بها وهو طفل في المهد، يقرّر فيها أنه عبدالله، وأن الله وحده هو الربّ، وتكذيب مبكر لما سيقوم به النصارىٰ فيما بعد، عندما يدّعون أنه ابن الله.

وبعدما نص علىٰ عبوديته لله، تحدّث عما سيعطيه الله في المستقبل، فقال: ﴿ ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[2].

---

(١) سورة مريم، الآيات: ٣٠-٣٣.

(٢) سورة مريم، الآية: ٣٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمراد بالكتاب هنا الإنجيل، الذي سيؤتيه الله إياه، ويجعله مصدّقا للتوراة قبله.

لم يتكلم عيسىٰ الوليد بهذا الكلام من نفسه، وإنما كان بإلهام من الله، ألهمه أن يقول هذا القول، وأخبره أنه سينزل عليه الإنجيل، وسيجعله نبيًا رسولاً.

وقول عيسىٰ بعد ولادته: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾، هو تطبيقي عملي للوعد الذي بشر به جبريل – عليه السلام – مريم، قبل فترة من حملها بعيسىٰ ووضعها له، وهو الذي ذكره قوله تعالىٰ: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [1]، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [2].

***

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الخاتمة

وفي ختام كتابنا هذا نساء مؤمنات عبر التاريخ قبل الإسلام في ضوء القرآن الكريم والسنة.

أهمس في أذنك ما أحوجنا اليوم لسماع مثل هذه القصص، لنعود إلىٰ جادة الصواب والسير علىٰ الصراط المستقيم الذي أمرنا الله عز وجل بالسير عليه: من فوائد القصص التفكير وتشغيل العقل بأسباب الوقائع ونتائجها ومعرفة أن قانون الله تعالىٰ ثابت لا يتغيّر ولا يتبدّل .

والمتفكّر يستفيد من القصص القرآني فوائد كثيرة منها:

١- معرفة أسباب المشكلة.

٢- معرفة العلاج عن طريق التجربة الناجحة والفاشلة بتتبع أحداث القصة.

٣- معرفة الوقاية من التجارب الخاطئة.

٤- معرفة قوانين الله الثابتة [1].

فقصص الأنبياء وغيرها في القرآن الكريم هي لك أيضـًا أيتها المرأة، لمراجعة مسار حياتك، فعندما تقفين مع قَصص نساء مؤمنات، تجدين المرأة

(١) المطوع، نسيبة عبد العزيز، القصة سحر العقول والقلوب، رؤية تربوية، الكويت، ٢٠٠٤هـ/ ١٤٢٥م، ص ٥١ بتصرف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المؤمنة قد وقفت أمام الطغاة بعزّ وكرامة معلنة أمامهم، ومن غير خوف أو وجل، أنها تؤمن بربّ العالمين ربّ السموات والأرض، ولم تلتفت إلىٰ مباهج الدنيا وزينتها، فهي آمنت بالله الواحد الأحد الذي بيده ملكوت السموات والأرض وآمنت أنه يحي ويميت ويرزق بيده من يشاء بغير حساب.

فلم الخوف؟ ولم القلق علىٰ المستقبل وهو مضمون عند الله للمؤمنين الصالحين؟ ولِمَ تخاف الحاكم الطاغي والظالم مهما كانت قوّته وقد آمنت بعقلها وقلبها أن الله هو القوي، وهو الذي يحيي ويميت، وهو الذي يرزق، وهو المغني وهو المعطي! ... إيمانها الغيبيّ هذا جعلها أقوىٰ من الحاكم القوي، وأصلب من الأداة التي سيستعملها لايذائها وإيقاع الضرر بها...

هذه القوّة، هذه الحكمة، هذه القدرة علىٰ التقرير والمواجهة وإبداء الرأي، ورفض الظلم، ونفض رداء الذلّ والضعف، كلُّ ذلك برز في لحظة تحدّ من حاكم متسلّط نحو عاملة ضعيفة في قصره، وانتصر الإيمان بالله والإيمان بالغيب لتعبق الكتب السماوية بأريج المواقف البطولية التي ظهرت جلية واضحة في مواقف عديدة لأكثر من امرأة مؤمنة...

سيدتي المرأة، اِقرئي هذا الكتاب لتستعيدي دورك القياديّ والإيمانيّ المشرّف، ولتقفي بقوّة بوجه كل من اتخذ المرأة سلعة للإعلام والإعلان عن بضاعته أو مشاريعه أو منتجاته...

*****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسماء المصادر والمراجع

١. أحمد بن علي بن حجر السقلاني، **عقيدة التوحيد في فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٧٨٧ صفحة.

٢. ابن كثير، الحافظ، **تفسير القرآن العظيم**، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، الطبعة الثالثة، أربع مجلدات.

٣. صلاح الخالدي، **القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث**، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٨م، الدار الشامية، بيروت.

٤. الميداني، حسن حبنكه الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ١٥ مجلد.

٥. الإمام محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي، **الجامع الصحيح**، (٢٥٦هـ)، بيت الأفكار الدولية للنشر، الأردن، الطبعة الأولىٰ، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، لا.ت، ١٧٥١ صفحة.

٦. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، (ت٢٧٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مجلدين.

٧. الإمام أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، (ت٢٦١هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ١٤٦٢ صفحة.

٨. أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيدباني، **مسند الإمام أحمد**، (ت٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، لا.ت، وبتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٣٧٥هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩. أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي، **سنن الترمذي**، (ت٢٧٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ضبطه وصححه خالد عبد الغني محفوظ، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، ٩٣٤ صفحة.

١٠. ابن عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ٢٠ جزء.

١١. حسن حبنكه الميداني، **روائع من أقوال الرسول**، دار القلم، دمشق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٢. صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيرة آدم عليه الصلاة والسلام**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣م.

١٣. شهاب الدين العسقلاني، **فتح الباري**، إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ط٤.

١٤. محمود عبدالرزاق الرضواني، **أسماء الله الحسنىٰ الثابتة في الكتاب المقدس دراسة مقارنة**، مكتبة سلسبيل، القاهرة، الطبعة الأولىٰ.

١٥. عبدالرحمن حسن الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ط٣.

١٦. عبدالرحمن حبنكه الميداني، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، الطبعة الأولىٰ.

١٧. وحيد بن عبد السلام بالي، **وقاية الإنسان، من الجن والشيطان**، دار ابن رجب، القاهرة فرع المنصورة، ٤٢٢هـ/ ٢٠٠٦م، الطبعة الحادية عشر.

١٨. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، طبعة دار صادر بيروت، وطبعة أخرىٰ إعداد وترتيب: يوسف خياط.

*****

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

خطة الكتاب ١٣
التمهيد: ١٥
الفصل الأول: المرأة عبر التاريخ ما لها وما عليها ٢٥
المبحث الأول: مقدمة تاريخية ٢٧
المبحث الثاني: حقوق المرأة عبر التاريخ: ٣٢
المبحث الثالث: المرأة قبل الإسلام في شبه الجزيرة العربية: ٥٥
الفصل الثاني: نساء مؤمنات في عهد إبراهيم -عليه السلام ٦٥
المبحث الأول: المقدمـــة ٦٧
المبحث الثاني: قصة سارة -رضي الله عنها ٧٢
المبحث الثالث: قصة هاجر -رضي الله عنها: ٨١
الفصل الثالث: في عهد موسىٰ - عليه السلام ٨٩
المبحث الأول :المقدمة. ٩١
المبحث الثاني: أم موسىٰ وأخته وأمرأة فرعون وماشطة ابنة فرعون ١٠٦
قصة أخت موسىٰ عليه السلام ١١٣
المبحث الثالث: من مصر إلىٰ مَدْين ١٣٤
الفصل الرابع: ملكة سبأ ١٤٧
المبحث الأول: مقدمـــة ١٤٩
المبحث الثاني: الهدهد وملكة سبأ ١٥٨
المبحث الثالث: ملكة سبأ مع سليمان -عليه السلام ١٦٨
الفصل الخامس: في عهد زكريا وعيسىٰ -عليهما السلام. ١٩١
المبحث الأول: مقدمة ١٩٣
المبحث الثاني: زوجة زكريا وزوجة عمران (أم مريم) ٢٠٢
فهرس المصادر والمراجع ٢٧٢
الفهرس ٢٧٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في